وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغـداد
كلية التربية ـ ابن رشد
قسم التـأريخ

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر

في ظل الدولة الأيوبية

(٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م)

أطروحة تقدمت بها

أزهار غازي مطر

إلى مجلس كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة

في التاريخ الإسلامي

إشراف

الأستاذة الدكتورة

سهيلة مزبان حسن

١٤٣٤ هـ ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٠]

((الإهداء))

إلى الروح التي فــارق بريقها سماء أرض العراق ...

إلى الإنسان الذي لا يزال جداول أحزانه تتدفق من الأعماق ودموع الحزن عليه متجمدة في الأحداق ...

إلــى روح خالي المرحوم .. ((**عباس**))....

(تغمده الله بواسع رحمته)

إلى من وقف بجانبي بقلبه وروحه وبذل الكثير من أجل أن أصل إلى ما أصبوا إليه .... (**زوجـــي**)

إليكم أهدي ثمرة جهدي المتواضع

(**أزهـــار**)

((الشكر والتقدير))

إذا كان الشكر اعترافاً بالجميل فإن كل ما أتقدم به من عبارات الشكر لا يمكن أن توازي الجميل الذي قدمته لي الدكتورة (سهيلة مزبان) فقد كانت لتوجيهاتها القيمة ومتابعتها المستمرة اثر كبير في إكمال هذه الأطروحة فجزاها الله خير الجزاء.

وأتقدم بجزيل شكري إلى أساتذتي الأفاضل في السنة التحضيرية لما قدموه من عون في هذه المرحلة وعلى رأسهم الدكتور (نعمة شهاب) رئيس القسم المحترم والدكتور (أ.د. عبد الحسين مهدي رحيم) والدكتور (عبد الرزاق الأنباري) والدكتور (محمود اللهيبي) والدكتور (عبد الأمير دكسن) فلهم مني جميعاً خالص الشكر والتقدير .

ومن العرفان بالجميل يدعوني دافع الاحترام والتقدير أن أسجل شكري وتقديري إلى الدكتور (مشتاق كاظم المياحي) الذي كان سبباً في اختيار موضوع الأطروحة وكان من باب الاعتراف بالفضل لأهله أجد لزاماً علي أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسدى لي قبساً من علمٍ أو مدَّ لي العون والمساعدة في إعداد هذه الرسالة وأخص بالذكر منهم أستاذي الفاضل الدكتور (تحسين حميد مجيد) جامعة ديالى ـ كلية التربية ، الذي وضع مكتبته في تصرف طلبة العلم ، فله مني كل الاعتزاز والتقدير .

كما اتقدم بوافر شكري وتقديري إلى زملائي في السنة التحضيرية وأخص منهم بالذكر (سمية ـ رغد ـ ظافر) لما أبدوه من تعاون ومساعدة ، فلهم مني كل الود والاحترام .

وأتوجه بالشكر إلى كادر المكتبة المركزية ـ جامعة بغداد وكادر مكتبة الآداب ـ جامعة بغداد ، وأتقدم بالشكر إلى ملاك المكتبة المركزية في بعقوبة ، فلهم مني كل التقدير .

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير لكل من مدَّ لي يد العون والمساعدة وأبدى لي التشجيع للاستمرار في مواصلة دراستي .

أرجو من الله عز وجل أن يتقبل من عملي هذا ويضعه في صالح أعمالي ويجازي بالخير والفلاح كل من ساعد على إنجاح هذا العمل .

ومن الله التوفيق

الباحثة

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الاطروحة الموسومة بـ (الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في ظل العصر الايوبي (٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ)) التي تقدمت بها طالبة الدكتــوراه (أزهار غازي مطــر) كان بأشرافي في كلية التربية / ابن رشد – جامعة بغداد ، وهــي جزء من متطلبات نيل درجة دكتــوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي .

التوقيـــــع :

أ . د . سهيلة مزبان حسن

المشرفة على الاطروحة

التاريخ : / / ٢٠١٣

بنـــــاءاً على التعليمات والتوصيات المتوفرة نرشح هذه الاطروحة للمناقشة .

التوقيـــع :

د . نعمة شهاب جمعة

رئيس قسم التاريخ

كلية التربية / ابن رشد – جامعة بغداد

التاريخ : / / ٢٠١٣

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أني راجعت الاطروحة الموسومة بـ (الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في ظل العصر الايوبي (٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ)) من الناحية اللغوية وأصبحت مؤلفة بأسلوب علمي سليم خالٍ من الاخطاء النحوية والتعبيرات اللغوية غير الصحيحة ولأجلـه وقعت .

التوقيـــــع :

أ.د.ساجدة مزبان حسن

المقوم اللغوي

جامعة بغداد - كلية التربية / ابن رشد

التاريخ : / / ٢٠١٣

إقرار المقوم العلمي

أشهد أني راجعت هذه الاطروحة الموسومة بـ (الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في ظل العصر الايوبي (٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ)) من الناحية العلمية تحت إشرافي ، وأصبحت خالية من الاخطاء العلمية ولأجلــه وقعت .

التوقيـــــع :

المقوم العلمي

التاريخ : / / ٢٠١٣

الحمد لله رب العامين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد :

يشكل التاريخ الاجتماعي عنصراً أساسياً في الأبحاث التاريخية لاسيما المعاصرة منها ذلك فأن مصادرنا الأولية لم تهتم بالتاريخ الاجتماعي بشكل كبير وكل ما جاء حول هذا الموضوع عن معلومات متناثرة في بطون المصادر التاريخية.

وهذا البحث بحث في تاريخ الاجتماعي يهدف إلى إعطاء صورة متكاملة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر خلال الفترة الأيوبية ، إذ تركزت مشكلة البحث في معرفة التغيرات الاجتماعية التي طرأت على مصر بمجيء الأيوبيين بنهاية الفترة الفاطمية ، الذي رافقه التحول الحاصل من المذهب الشيعي إلى المذهب السني .

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء صورة واضحة وجلية للحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في العهد الدولة الأيوبية في فترة زمنية قاربت الثمانين عاماً ، (٥٦٧ - ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م) ، ونظراً لعناية الباحثين في تاريخ مصر بالجوانب السياسية والعسكرية بشكل عام ، وبعدهم عن دراسة الجانب الاجتماعي بشكل خاص ، عمد الباحث إلى تسليط الضوء على هذا الجانب في محاولة منه إلى الإسهام بدراسة تاريخ المنطقة في فترة تاريخية كثرت فيها حركات التمرد والعصيان والمحاولات الانفصالية ، وانتشار وظاهرة البذل والرشوة لشراء المناصب حتى الدينية منها ولاسيما القضاء ، فضلا عن أن هذه المدة الزمنية لم يتم تناولها بشكل مفصل .

تختلف دراسة الحياة الاجتماعية إلى حد كبير عن دراسة الجوانب السياسية والعسكرية التي تتميز بالتغيير والتبديل وعدم الاستقرار ، في حين أن النشاطات الاجتماعية تتصف بشيء من الثبات والبطء الشديدين في التغيير ، لذا فقد وجد الباحث نفسه مضطراً إلى اللجوء إلى بعض المصادر المتقدمة أو المتأخرة قليلاً عن العصر الذي يبحث فيه لاستكمال الصورة الناقصة أو العثور على حلقة مفقودة ، وإن كان استعمال هذه المصادر يتطلب الحذر والحيطة .

ولكون دراسة الحياة الاجتماعية لشعب معين في منطقة ومدة زمنية معينة يتطلب الإلمام بمختلف نواحي النشاطات الإنسانية المتعددة والمتشابكة والمتنوعة ، مما يصعب على الباحث الإحاطة بجميع جوانبها وتحديد موضوعاتها وعناصرها ، فضلاً عن قلة المادة ذات المضامين الاجتماعية وتشتتها وربما كانت في بطون الكتب وبين سطور المصادر المعاصرة ، وذلك لتركيز المؤرخين على الأوضاع السياسية والحربية ، خاصة وأن فترة كتابة الأطروحة عاصرة فترة الحروب الصليبية التي حفلت بالكثير من الأحداث السياسية وانشغالهم بها ونظرتهم إلى أن الأمور الاجتماعية المتعلقة بالأحوال العائلية والأسرية والاحتفالات والمناسبات وغيرها من الأنشطة الاجتماعية هي أحداث مألوفة وعادية ، فلا تستحق بذل الجهد وإضاعة الوقت في تسجيلها وتدوينها ، لهذا جاء الحديث عنها عرضاً أثناء تدوين حدث سياسي أو قضية اقتصادية أو ربما ترجمتهم لشخصية معينة لإظهار دورها ونفوذها وتأثيرها في الأحداث ومكانتها الاجتماعية .

أما عن الحياة الاقتصادية فمن الجدير بالذكر إن الدراسات التي اهتمت بالجانب الاقتصادي والحضاري يأتي الحديث فيها عن الأوضاع الاقتصادية بشكل جزئي أو موجز لا يعطي صورة واضحة عن الحياة الاقتصادية كباقي الفترات .

لذا جاءت هذه الاطروحة التي تهدف إلى تقديم دراسة متكاملة عن الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ/ ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) ومحاولة التعرف على مدى اهتمام الأيوبيين بالأوضاع الاقتصادية ، وما هي مجالات اهتمامهم بالزراعة في مصر ، والسياسة التي اتبعوها في إقطاع الأراضي الزراعية التي كانت قائمة في مصر في العصر الأيوبي .

على أن المتصدي لدراسة هذا الموضوع يواجه عدة مشكلات أبرزها: ندرة المعلومات في بعض الجوانب مثل بعض الصناعات والحرف، كالدباغة وطحن الحبوب وصناعة الخزف والزجاج، مما اضطر الباحث إلى الرجوع إلى مراجع حديثة تعين وتساعد على التوضيح.

أن الحياة الاقتصادية تقوم أساساً على النشاط الزراعي والصناعي والتبادل التجاري ، ففي المدن العربية الإسلامية التي اتجه فيها المسلمين إلى الحياة الاستقرار والبناء الحضاري ، تحولت فيها المجتمعات إلى مجتمعات حضرية نشطة تمارس مختلف الفعاليات المدنية ، وقد تمثل هذا التحول في النواحي الزراعية والتجارية الحرفية التي ساعدت على ازدهار هذه المدن .

والتوقف حتى الجمود أحياناً بسبب الأزمات الاقتصادية وكثرة الفتن الداخلية أو الحروب مع البيزنطيين ، أو مما عاناه المواطنون من القحط والأوبئة من جهة والغلاء من جهة أخرى .

ولأهمية التجارة إذ تعد مظهراً من ابرز مظاهر النشاط الاقتصادي ، وهي سفيرة الحضارة بين الشعوب والأمم وقد أدت دوراً في حضارة العالم وانفتاحه على بعضه ، لكونها المظهر الوحيد الذي حمل معه جميع العناصر الدينية والثقافية والحضارية من شعب إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر إلى جانب مواد التجارة فهي أولى وسائل الاتصال ، فمنذ أن بدأ الإنسان يشعر بحاجته إلى المواد لم تكن متوفرة لديه ، كان التنوع الإنتاجي من دولة إلى أخرى سبباً في قيام حركة التبادل التجاري بينهما ، فإذا كانت الحاجة هي أول احساس بشري دفع الإنسان للتجارة فعليه ستكون التجارة من أقدم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها الإنسان .

فلقد ساعد موقع مصر الجغرافي منذ أقدم العصور على أن تكون مركزاً تجارياً مهماً . فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد وهي تعد حلقة الوصل بين الشرق والغرب تحتل مركز الصدارة في التجارة العالمية ، ولم تكتف مصر بكونها وسيطاً تجارياً تمر عبر أراضيها بضائع الشرق والغرب بل ساهمت بالجزء الأكبر من الانتاج الزراعي حيث كانت محاصيلها الزراعية وبخاصة القمح تغزو العالم القديم ، وكذلك الأقمشة سواء كانت الكتانية أو الصوفية التي كانت لها شهرة عالمية .

وقد اشتملت هذه الأطروحة على بابين ، الباب الاول عن الحياة الاجتماعية ويضم أربعة فصول ، والباب الثاني عن الحياة الاقتصادية ويضم ثلاثة فصول ، سبقها عرض وتحليل المصادر التي اعتمدت عليها ، ومقدمة ، فضلا عن خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الأطروحة وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الإنكليزية .

تناول الفصل الأول الفئات الاجتماعية في عهد الأيوبيين في مصر وذلك بيان الأوضاع الاجتماعية للناس سواء أكانوا من الطبقة العامة أو الخاصة أو أهل الذمة ، كما تناول عناصر السكان من المصريون والعرب والأرمن والأكراد والمماليك والمغاربة وغيرهم إضافة إلى الطبقات المجتمع المصري .

أما الفصل الثاني فتناول الحديث عن الحياة العامة في المجتمع المصري ، إذ أبرز دور الأسرة ومكانة المرأة ودورها ومشاركتها الفاعلة في كافة الأنشطة البشرية وفق تقاليد المجتمع الإسلامي ، كذلك تعرض الفصل إلى العادات والتقاليد والمراسيم المتبعة في كل من الزواج والمصاهرة والولادة ، وأدوات الزينة الخاصة بالمرأة ، إضافة إلى زيارة القبور والأضرحة ، وأثر السحر والتعاويذ على المجتمع المصري والجنائز . كذلك تطرق هذا الفصل إلى التحول الحاصل في المذهب من الشيعي إلى السني ، وظهور التصوف ، ودور علماء الأزهر في الحياة الاجتماعية بعد انتهاء العصر الفاطمي . كما عالج الحمامات والنواحي الصحية وأنشطتها الاجتماعية غذ كان للحمامات دور اجتماعي فقد كانت غالباً ما تتم فيه خطبة النساء عن طريق ذهابهن إلى الحمامات بأبهى زينة وملابس جميلة ، إضافة إلى دور العلاج (البيمارستانات) بأنواعها الثابتة والمتحولة والدائمية ، والمشاكل الاجتماعية التي أثرت على المجتمع المصري من فساد الأخلاق وتعاطي الحشيش وشرب الخمر وغيرها .

أما الفصل الثالث تناول المظاهر الاحتفالية التي كان يمارسها سكان مصر مسلمين وأهل ذمة أثناء احتفالهم بالأعياد الدينية والمناسبات الأخرى ، فضلاً عن ذلك أشتمل أيضاً على مراسيم استقبال السلاطين والمراسم الأسبوعية لمواكب الأيوبيين وغيرها من المواكب التي كانت تشارك فيها جميع فئات السكان نساءً ورجالاً وفق ترتيبات معينة . كما تطرق إلى الألعاب التي كانت سائدة في تلك المدة وكيفية أدائها ودورها في التدريب على بعض المهارات التي تتطلبها طبيعة المجتمع العسكرية كالرماية والفروسية ، وتعرض إلى أماكن اللهو والمتنزهات الأيوبية .

وعرض الفصل الرابع تنوع الملابس واختلافها باختلاف الجنس والمعتقد وفئات السكان الاجتماعية ، فقد تميزت كل فئة بلباس خاص بها من حيث المواد الداخلة في صناعتها وطريقة خياطتها وكيفية لبسها ، كما تطرقت إلى الأطعمة والأشربة .

أما الباب الثاني فمحوره الحياة الاقتصادية ويضم على فصلين الاول : الزراعة ويتضمن تعريف بموقع مصر الجغرافي وما تحويه من مقومات طبيعية ساعدتها على ديمومة الإنتاج الزراعي . واختص الفصل بالزراعة ، وعن الري ووسائله ، كما تناول المحاصيل الزراعية ومناطق زراعتها ، كما تطرق إلى إحدى الثروات

المهمة التي شكلت اقتصاداً مهماً وهي الثروة الحيوانية ، غذ كانت مصدراً من مصادر غذاء السكان ومادة أساسية للزراعة والنقل بما كانت تنتجه من اللحوم والجلود .

وأفرد الفصل الثاني في الصناعات والفنون الصناعية في مصر وأهمها الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية والصناعات الغذائية والصناعات الحربية وصناعة الصابون وغيرها .

ومن الجدير بالذكر أن الباحث لم يغفل عن كتابة الجانب الفكري ، على الرغم من أنه أحد جوانب الحياة الاجتماعية إلا أن هناك أطروحة دكتوراه عن هذا الشأن والموسومة بـ (الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) مقدمة من قبل مشتاق كاظم عاكول المياحي إلى جامعة بغداد ـ كلية الآداب ، ولهذا لم يتطرق الباحث إلى هذا الجانب .

عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع :

اعتمدت الدراسة في بيان مضامين المادة على العديد من المصادر الأصلية التي كان لها الأثر الكبير في إغناء الأطروحة بالمادة العلمية من خلال المعلومات القيمة الموجودة بين ثناياها ، وقد اشتملت على مصادر متنوعة من كتب الجغرافيا والرحلات وكتب التراجم والسير والحوليات وغيرها ، إضافة إلى المراجع الحديثة العربية والأجنبية فضلا عن الرسائل الجامعية والدوريات ، وسأحاول إلقاء الضوء على أهمية المادة المتوفرة من حيث نوعيتها ومعاصرتها على مسرح الأحداث .

أولاً : الكتب التاريخية : كان لهذه الكتب أهمية كبيرة بالنسبة للأطروحة ، ويأتي في مقدمتها كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) جمال محمد بن سالم ابن واصل (ت ٦٩٧هـ، ١٢٩٧م) وتتبع أهمية هذا المصدر من أن مؤلفه قد استعان بعدد كبير من الوثائق الرسمية نقلها ليؤكد الحقائق التاريخية التي يرويها أو يزيدها إيضاحاً وتوثيقاً .

ويعد كتاب ((قوانين الدواوين)) للأسعد ابن مماتي (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) من أهم المصادر الأيوبية التي أعانت الباحث ، لأن مؤلفه شغل نظارة ديوان الجيش ثم ناظر الدواوين لفترة طويلة من عام ٥٦٤هـ ، ٥٦٩هـ ولذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسئولين ، وقد فصل ابن مماتي أحوال مصر الاقتصادية في هذا العصر و كما أورد كثيراً من الأمثال العامية التي ارتبطت بالشهور القبطية وساعدت الباحث على معرفة كثير من عادات وتقاليد العامة في مصر .

كذلك كتاب (الإفادة والاعتبار) لمؤلفه عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ، ١٢٣١م) كتب ما شاهده بعينه ووصف لنا أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية وحالتها العمرانية ثم تناول بالتفصيل المجاعات التي ألمت بمصر وأثارها على المجتمع المصري بصفة عامة وعلى العامة بصفة خاصة. ويأتي كتاب (تأريخ الفيوم وبلاده) من أن مؤلفه أبا عثمان النابلسي (ت بعد ٦٣٢هـ) ، تولى الكثير من الوظائف الهامة في الدولة الأيوبية وأشرف على إقليم الفيوم بتكليف من السلطان الصالح نجم الدين أيوب فأعطى صورة واضحة عن الأحوال الاقتصادية والعلاقة بين الفلاحين والمقطعين . كذلك كتابه الثاني (لمع القوانين المضية) ينتقد به أحوال الولاة وإهمالهم لشؤون الرعية ومعاناة العامة من فسادهم .

كما استفاد الباحث من مصادر أبي شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥هـ، ١٢٦٦) وكتابه الأول (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) الذي أفاد في معرفة الأحوال السياسية لعصر وتأثيرها على الحياة الاجتماعية ، وأما كتابه الثاني (تراجم رجال القريتين السادس والسابع) المعروف بالذيل على الروضتين ، الذي أكمل فيه ما فاته في الروضتين .

ويأتي في نفس الأهمية ما ألقاه ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ، ١٢٨٦م) في كتابه (النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة) والذي استقر بمصر فترة طويلة في أواخر العصر الأيوبي (٦٣٩ ـ ٦٤٤هـ / ١٢٤١ ـ ١٢٤٦م) من أضواء على الأحوال الاجتماعية والثقافية لهذا العصر .

وأما كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت ٨٢١هـ، ١٤١٨م) ، فهو عبارة عن وسوعة علمية كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها ، حيث أورد فيه العديد من المعلومات المفيدة والهامة .

أما كتب المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) وفي مقدمتها كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) حيث يعد المرجع الأول عن الأسواق المصرية فضلا عن المنشآت التجارية في ذلك العصر ، كما تناول في المهن والآثار المصرية القديمة والوسيطة وعنى عناية خاصة بالفسطاط والقاهرة . وكتابه الأخر (السلوك لمعرفة دول الملوك) ، الذي تناول فيه العديد من الأحداث التي مرت بها البلاد كالأعياد والمناسبات والمواكب ، ولم يغفل عن ذكر الأوبئة والكوارث .

وكتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لأبي المحاسن جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (ت : ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) فقد اشتملت مادته على موضوعات إدارية واقتصادية واجتماعية .

ثانياً : كتب الجغرافيـــا :

أفادت هذه الكتب الأطروحة بالتعريف بالمدن والأماكن والبقاع ومن هذه الكتب (صورة الأرض) لأبن حوقل (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) و(مراصد الاطلاع على أسما الأمكنة والبقاع) لأبن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) (وكتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار) لأبن دقماق (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) .

ثالثاً : كتب الرحلات :

تعد كتب الرحلات ذات فائدة كبيرة بالنسبة للنشاط التجاري ، حيث يتم التعرف من خلال رحلاتهم على الفعاليات التجارية التي تحصل في البلاد التي يزورونها :

ومن هذه الكتب (رحلة بنيامين التطيلي) لمؤلفه ابن يونه النباري الأندلسي المعروف بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) . وكاتب (رحلة ابن جبير) لأبي الحسن بن أحمد الكناني الأندلسي المعروف بابن جبير (ت ٦١٤، ١٢١٧م) فقد أغنوا البحث بالمعلومات ، فكل منهم دون ما شاهده فأثرت مشاهداتهم البحث في مختلف فصوله .

وأما كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن إبراهيم اللواتي المشهور بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ، ١٣٧٧م) ولأبن بطوطة في رحلته خصائص تمثلت في أنه لم يحفل بوصف الأرض والمدن كثيراً ولكنه صب جل اهتمامه بالناس ولاسيما العلماء كما وصف المؤسسات الدينية كالمساجد والزوايا كذلك احتواء كتابه معلومات عن الأسعار والمواد الغذائية .

رابعاً : كتب التراجم :

تعد كتب التراجم من المصادر الرئيسة لدراسة تاريخ الحياة الاجتماعية وذلك لأنها لم تقتصر على سير الأشخاص بل تعدت إلى ذكر بعض المعلومات السياسية والإدارية والاجتماعية ومن هذه الكتب :

(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر المعروف بابن خلكان (ت ٦٨١هـ، ١٢٨٢م) وكتاب (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) وكتاب (أنباء الغمر بأنباء العمر) لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣هـ، ١٤٤٩م) إذ تحوي كتب معلومات قيمة أفادت الباحث في أطروحته .

خامساً : كتب الحسبة :

فقد امتازت هذه الكتب بوصفها الدقيق عن مراقبة الأسواق وما اتخذه المحتسب من إجراءات ومن هذه الكتب :

(نهاية الرتبة في طلب الحسبة) لأبن بسام (ت الربع الأول من القرن ٧هـ، ١٣م) وكتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) لعبد الرحمن بن نصر الشيرزي (ت ٥٩٠هـ، ١١٩٣م) وكتاب (معالم القرية في أحكام الحسبة) لمؤلفه محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة (٧٢٩هـ، ١٣٢٨م) ، وتتبع أهمية هذه الكتب من خلال عرضهما للنشاط الاقتصادي والاجتماعي وطبيعة التنظيمات الحرفية وذكر الأوزان والمكاييل الشرعية .

أما المراجع العربية الحديثة التي استفادت منها الدراسة فمنها (تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب) لمؤلفه ايمن فؤاد سيد ، وكتاب (الدولة الأيوبية تاريخها السياسي والحضاري) لعرب دعكور ، وكتاب (تاريخ الأيوبيين في مصر والشام) لمحمد سهيل طقوس ، وكتاب (القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها) لحسن الباشا ، وكتاب (العامة في مصر في العصر الأيوبي) لشبلي إبراهيم الجعيدي ، وكتاب (القاهرة مدينة الفن والتجارة) لجاستون فيين ، وكتاب (الدولة الأيوبية) لأبن الشاطئ .

أما الرسائل الجامعية فهي الأخرى كان لها الأثر في مسار الأطروحة من خلال المعلومات الواردة فيها ومن هذه الأطاريح (الحياة الاجتماعية في عصر المماليك الجراكسة) لمبارك محمد سالم الطراونة من كلية الآداب ـ جامعة الموصل ، و(تجارة مصر خلال العصر الفاطمي) لريم هادي مرهج الذهبي مقدمة إلى كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد ، و(النشاط التجاري في مصر والشام خلال عصر المماليك) لعمار مرضي علاوي الجميلي مقدمة إلى كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد ، وغيرها من الرسائل . إضافة إلى الدوريات والمصادر الأجنبية والتي سنجدها في فصول الدراسة مثبتة في هوامشها وفي قائمة المصادر والمراجع .

وأخيراً وليس آخراً نأمل أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر في ظل الدولة الأيوبية ، على الرغم من أنني بذلت كل ما استطعت من جهد ووقت لإخراج بحثي في صورته المتكاملة ، إلا أننا لا ندعي الإبداع في كل ما أتينا إلى ذكره أو تقديمه في الصفحات التالية ، ولا ندعي أن هذه الرسالة قد بلغت درجة الكمال ، وخير ما أنهي به هذه المقدمة قوله تعالى :
((**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**)) [هود : ٨٨]

خرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها :

- أوضحت الدراسة أن العصر الأيوبي تميز بأحداث تغيير جوهري في التكوين العنصري والبناء الطبقي للمجتمع إذ انزوى نفوذ بعض العناصر التي كانت تحتل قمة الهرم الطبقي للمجتمع وحل محلها عناصر أخرى مما يؤكد حدوث حراك اجتماعي بين طبقات المجتمع وعناصره ، كما أوضحت أن المصريين بصفة عامة كانوا يحتلون قاع الطبقة العامة لا يستثنى من ذلك سوى بعض الأشخاص الذين انظموا للسلطة الحاكمة بحكم مواقعهم الوظيفية وقربهم من الأسرة الأيوبية .

- كما نال عامة مصر رعاية صحية بشقيها الوقائي والعلاجي ، وأوضحت الدراسة أن معظم هذه الرعاية تركزت في المدن دون الريف الذي عانى أهله من الإهمال .

- كما أوضحت الدراسة حال العامة من أهل الذمة أنهم لم يكونوا بمعزل عن الحركة المجتمع ونشاطه إذ كان لهم حق ملكية الحوانيت وساهموا بتنصيب وافر في مجالات الحياة المختلفة وشكلوا في بعضها أغلبية ساحقة وتمتعوا بحرية كبيرة في ظل سياسة تسامح الحكام الأيوبيين بصفة عامة إلا أنها لا تقارن بما كان عليه حالهم في العصر الفاطمي .

- كما أوضحت الدراسة المظاهر الاحتفالية التي كان يمارسها سكان مصر مسلمين وأهل ذمة في الأعياد والمناسبات المتعددة ، إذ يتضح التآزر الاجتماعي والمشاركة المتبادلة بين مختلف فئات المجتمع الدينية والعرقية ، من حيث التزاور وتبادل التهنئة في الأفراح والمواساة في الأتراح .

- كما بينت الدراسة بنية المجتمع المصري ، إذ يتضح وجود تعددية دينية وعرقية ، فهناك الديانات السماوية الإسلامية والنصرانية واليهودية ، وكان الإسلام دين الأغلبية لمختلف سكان مصر ، نظراً لطبيعة الدين الإسلام القائم على مبدأ التسامح الديني فقد مارس أصحاب الديانات السماوية الأخرى طقوسهم الدينية فيظل الإسلام بحرية تامة .

- إذ تضمن المجتمع المصري عدة قوميات أخرى غير العرب كالأكراد والمماليك والسودانيين والمغاربة وغيرهم ، ورغم تعدد القوميات وتباينها العرقي فقد تعايشت مع بعضها البعض متآلفة متآزرة ومنضبطة بقيم وتعاليم الإسلام مدركة أهمية وحدتها الاجتماعية للوقوف في وجه التحديات الخارجية .

ـ وأبرزت الدراسة مكانة المرأة المصرية ودورها الاجتماعي ومشاركتها الرجال في معظم الأنشطة الاجتماعية ، كما تعرض للاحتفالات العائلية مثل مناسبات الخطوبة والزواج والاحتفال بالمولد النبوي والأتراح التي تختلف مظاهرها الاجتماعية باختلاف الفئات السكانية والدينية ، وتضمن العديد من الألعاب التي كان يمارسها المجتمع والهادفة ، كالتدريب على أساليب وفنون القتال ، وعرضت الدراسة أيضاً الأزياء والملابس التي كانت تشكل من حيث مادتها ولونها تمييزاً لفئات أبناء المجتمع المصري الاجتماعية والدينية .

ـ كذلك بينت الدراسة المظاهر الاحتفالية التي كانت تقام احتفاءً باستقبال السلاطين الأيوبيين أثناء زيارتهم لمصر ، كما كانت تقام العديد من المراسيم الرسمية التي يشارك فيها ابناء المجتمع المصري بمختلف شرائحه الاجتماعية والعرقية والدينية ، احتفالا بتعيين نواب جدد ، ووصول خلعة الاستمرار لبعض النواب ، فضلا عن الوافدين من بلاد الشام إلى مصر والوفود الأجنبية من الأقطار المجاورة .

ـ ففي المجال الاقتصادي كان لموقع مصر اثر كبير في تقدم الحياة الاقتصادية بشكل عام ، فمصر كانت مشرفة على البحر المتوسط والأحمر والنيل ، إضافة إلى توسطها القارات الثلاث .

بالرغم من انشغال الأيوبيين بالجهاد ضد الصليبيين خلال فترة حكمهم لمصر ، إلا أنهم أولوا الجوانب الاقتصادية عناية خاصة ، ففي مجال الزراعة اهتموا بوسائل الري السائدة منذ القدم وأدخلوا عليها بعض التحسينات ، ولما كان نهر النيل المصدر الرئيس للري ، فقد أولاه الأيوبيين عناية خاصة فعملوا على حفر الترع وإقامة الجسور وبروز العديد من المدن المصرية في تنوع المحاصيل المزروعة على أراضيها وتبادلها وتصديرها إلى الخارج

أوضحت الدراسة أن سكان مصر من العامة لم يحصلوا على إقطاعات ولم يتملكوا أرضاً واقتصرت استفادتهم من الأرض الزراعية على قيام الفلاحين بزراعتها والحصول على جزء ضئيل من ريعها ، غالباً ما كان يقل عن احتياجاتهم الضرورية .

امتازت الأراضي المصرية بوجود المعادن الغنية التي احتكر البعض منها السلاطين وذلك لندرتها وغلاءها ، كذلك تنوع الصناعات كالنسيجية ، وصناعة السفن والصناعات الغذائية ، كل هذه الصناعات تواجدت بكثرة وأعطت لمصر مركزاً مرموقاً على الصعيد الخارجي بفضل صناعاتها المحلية

برزت ظاهرة الأسواق المصرية ، إذ أن الأسواق تعد الظاهرة الاقتصادية المهمة لأي دولة ، لذا فأن الأسواق كانت مزدهرة ونشطة وتبادلت فيها البائع والسلع المتنوعة سواء داخل المدن المصرية أو المدن الخارجية ، وكانت هذه الأسواق مقسمة إلى موسمية وسنوية ومحلية ، حيث تعددت فيها الاختصاصات وذلك لما تقتضيه حاجة السكان ، فكانت هناك أسواق للثياب والسلاح والغذاء وأسواق عديدة أخرى لمزاولة نشاطهم التجاري .

حظيت التجارة باهتمام الأيوبيين ، فعملوا على تأمين الطرق التجارية من خطر اللصوص وقطاع الطرق ، في الوقت الذي بذلوا فيه جهوداً كبيرة في مجال تحسين علاقاتهم التجارية الخارجية مع الدول الأوربية ، من خلال عقد المعاهدات التجارية التي منحت تجار هذه المدن الأمان على أنفسهم وتجارتهم ، وقدمت لهم تسهيلات تجارية تمثلت بإعفاء بعض سلعهم التي كانت تحتاجها الدولة ، كالحديد والخشب من الضرائب ، وإقامة العمائر التجارية كالفنادق والقياسر والوكالات التي كانت بمنزلة الأسواق التجارية .

جميع العمليات التجارية لابد أن تخضع لمسؤول يشرف عليهم ويقيم أداؤها حتى تتم العملية بإتقان وأمان ، فكان للمحتسب دور كبير في مراقبة عمل الأسواق والإشراف عليها ومعاقبة المقصرين ، فكان اختيارهم يتم عن طريق السلاطين وغالباً ما يكون المحتسب من العلماء لأنه يكون عالماً بهذه الأحكام ، فكان المحتسب يمنع الغش وحالات نقص الميزان إضافة إلى قضية التسعير .

أوضحت دراسة النقود الأيوبية مدى الضرر الذي لحق بمصر جراء انخفاض قيمتها ، والتغير المستمر في نوعيتها ، وفقد الناس ثقتهم بالدولة ، لعدم ثباتها على سياسة نقدية واضحة ، وازدياد قلقهم من سرعة تغير النقود ، وعدم استقرار صرفها فتكرر الإعلان عن ضرب نقود جديدة وإلغاء التعامل بسابقتها ، وتحديد سعر صرف جديد لكل عملة .

وأخيراً وليس آخراً فقد كان للضرورة العسكرية أثر بالغ في اهتمام الأيوبيين بصناعة السفن والأساطيل الحربية ، فأفردوا ديواناً يعرف بـ (ديوان الأسطول) للإنفاق على دور صناعة السفن ، وخصصوا لهذا الديوان جهات مالية متعددة ، ولتشجيع الناس على الخدمة في الأسطول ، عملوا على رفع رواتب العاملين فيه لمواجهة الخطر الصليبي القائم آنذاك .

هذا ما توصلت إليه هذه الدراسة المتواضعة والتي أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في تقديم الشيء اليسير منها، فما كان من صواب فمن فضل الله وتوفيقه وما كان من خطأ فمن نفسي.

الفصل الاول

الباب الثاني

الحياة الاقتصادية

١ – الفصل الاول : الزراعـــــــــــــة

٢ – الفصل الثاني : الصناعـــــــــــة

الفصل الاول : الزراعـــة

١ـ موقع مصر الجغرافي .

٢ـ نظام الري ووسائله .

٣ـ المحاصيل الزراعية في مصر .

أـ الحبوب

ب ـ الخضراوات

٤ـ الفواكهه والأشجار .

٥ـ الثروة الحيوانية .

٦ـ المجاعات والأوبئة والأمراض .

موقع مصر* الجغرافي : ترتب على موقع مصر * " وسط الدنيا " بحسب نظرية " الأقاليم السبعة " التي كانت سائدة في العصور الوسطى [(١)] ، على أن تغدو مركزاً تجارياً هاماً مما دعا المقدسي بوصفها ((بأنها بلد التجارات)) [(٢)] ، فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد هي حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، وقد احتلت مركز الصدارة في التجارة العالمية إذ تقع بين قارات العالم الثلاث (آسيا ـ أفريقيا ـ أوربا) [(٣)] .

وأزداد هذا النشاط منذ الفتح العربي الإسلامي لها نتيجة أهتمام العرب بالتجارة إذ وصفت بالقــول " أن من فضائل مصر أنها فرضة الدنيا تحمل من خيرها إلى سواحلها وذلك أن من ساحلها بالقلزم **

---

* مصر : لها أربعة حدود القبلي القبلي إلى عيذاب على الجنادل إلى جبال عدن وصحراء الحبشة ، والشرقي إلى بحر القلزم (الأحمر) والسويس إلى أطراف بلاد لشام والشمالي ، وتسمية أهل مصر البحري إلى الزعقة والعريش على ساحل الغربي على الإسكندرية والعقبة منعطفاً على الواحات والصعيد ويلتقي آخره بالمد القبلي وتشمل مصر أربعة عشر إقليماً بالوجه القبلي سبعة أقاليم وبالوجه البحري سبعة ، وهي من أشهر أقطار الدنيا وأقدمها ذكراً في التاريخ وأبعدها عهداً بالمدينة والعلم موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقيا وهي عبارة عن واد ضيق بين سلسلتي جبال العرب من جهة الشرق وليبيا من جهة الغرب . ينظر : الصوفي ، محمد أبي الفتح ، كتاب الصفوة في وصف المملكة المصرية ، مخطوط بالمجمع العلمي ، بغداد ، تحت رقم ٩٤٤ ، ص١٣ـ ١٥. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٢٧.

١ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٤٠.

٢ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠٢.

٣ـ العبادي ، أحمد المختار وعبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، (بيروت ـ ١٩٧٢) ، ص٢٠١.

** القلزم : بلدة تقع على ساحل بحر اليمن قرب إيليا والطور ومدين وإلى هذه المدينة ينسب هذا البحر وموضعها أقرب موضع إلى البحر الغربي . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٨٧.

ينقل إلى الحرمين وإلى جدة * وإلى عمان وإلى الهند والصين وعدن ** والشمر *** والسند **** وجزائر المحيط الهندي والبحر المتوسط ، ومن جهة تتيس ***** ودمياط ****** والفرما *******

* جدة : بلد على ساحل اليمن وهي فرضة مكة بينهما يوم وليلة وبين جدة وعدن نحو شهر بينهما ساحل الجحفة خمس مراحل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص١١٥.

** عدن : وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن روئه لا ماء فيها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو يوم . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٨٩.

*** الشمر : الشط وهو يقع على ساحل البحر الهندي ، من ناحية اليمن ، وهو بين عدن وعمان . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٢٧.

**** السند : بلاد كبيرة بين بلاد الهند وكرمان وسجستان وقصبة السند مدينة يقال لها المنصورة ومن مدنها ديبل على ضفة بحر الهند والتيز وهي ايضا على ساحل البحر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٦٧. الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٢٧.

***** تتيس : جزيرة في وسط بحيرة مفرودة عن البحر الأعظم (المتوسط) يحيط بهذه البحر من كل جهة وبينها وبين البحر المتوسط بر أخر مستطيل ، جزيرة بين بحرين قريبة من البر بين الفرما ودمياط وفيها تعمل الثياب الملونة والفرش ويصنع لصاحب قميص لا يدخل فيه من الغزل سدى وكمة عنبر أو قيتين وينسج من الذهب أربعمائة دينار . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٥١ـ ٥٤. الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٧.

****** دمياط : مدينة بين تتيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والني وتعمل بها الثياب الشرب . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٤٧٤.

******* الفرما : مدينة قديمة بين العريش والفسطاط فتحها عمر بن العاص عنوة سنة (١٨هـ، ٦٣٧م) وهي الساحل من ناحية مصر وهي أول مدن مصر من الشمال وبها أخلاط من الناس وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٥٥ـ ٢٥٦. الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٣٩.

إبلا حدود العراق ، ومن جهة الإسكندرية فرضة أقريطش * وصقلية ** وبلد الروم*** والمغرب **** كله إلى طنجة ومغرب الشمس من جهة الصعيد *****

---

* أقريطش : جزيرة في البحر الشامي وهي جزيرة عامرة كثيرة الخصب وبها معدن الذهب وأشجار وفواكهه . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ٢٢٦. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥١.

** صقلية : جزيرة في البحر الشامي بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلاً افتتحها المسلمون في صدر الإسلام وفيها معادن الذهب والشب والكحل والفضة والحديد والرصاص وفيها فواكهه وزعفران وغيرها . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٤١٦ـ ٤١٩. الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٣٦ـ ٣٣٨.

*** بلد الروم : بلاد واسعة تشمل الإمبراطورية الرومانية (إيطاليا الحالية) فمشرقهم وشمالهم بلاد الترك والمتزر والروس وجنوبهم الشام والإسكندرية ومغاربهم البحر والأندلس " تضاف إليهما فيقال بلاد الروم " حيث نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكاً ثم نزل بعمورية منهم ملكان ثم استقلت مملكتهم إلى روما فنزلها ملكان ثم ملك بها قسطنطين الأكبر فانتقل إلى القسطنطينية . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٩٧ـ ٩٨. الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٧٤.

**** المغرب : وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة حدها من مدينة مليانا وهي آخر حدود أفريقيا إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٦١.

***** الصعيد : بمصر بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفط وأخيم والبهنسا وغير ذلك وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام الصعيد الأعلى وحده أسوان وآخره أخيم والثاني من أخيم البهنسا ، والأدنى من البهنسا إلى الفسطاط . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٤٠٨. الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٦١.

فرضة بلد النوبة * والبجة ** والحبشة والحجاز واليمن [١]. وكان لموقع مصر الجغرافي أثر مهم في الحياة الاقتصادية القائمة على التجارة وتبادل السلع والبضائع بين دول الشرق والغرب ، إذ تشرف على البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر شرقاً ثم نهر النيل الذي يربط بين أجزائها وبين شعوب أفريقيا جنوباً [٢]، فضلاً عن الصلات الوثيقة بالنوبة والسودان وأوساط افريقية عن طريق الملاحة في نهر النيل [٣]، إذ يبلغ امتداد إقليمها (١٠٣٠) كم طولاً ، وساحتها نحو (٩٠٠) كم٢ ويقسم سطحها من الناحية الطبيعية إلى قسمين الأول الدلتا أو مصر السفلى (الوجه البحري) ، والثاني الوجه القبلي أو الصعيد (مصر العليا) [٤]. كذلك فإن لموقع مصر أثر كبير في إبعادها من جشع المستغلين من جهة ، وغارات الروم من جهة أخرى [٥] .

---

* النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العين ، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٣٠٨.

** البجة : وهي بلدة تبدأ من قرية حزية معدن الومرد في صحراء قوص وآخرها أول بلاد الحبشة نزلها قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر . ألوانهم أشد سواداً من الحبشة يتزينون بزي العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل من أرض الحبشة والنوبة ومصر . ينظر: المقريزي ، الخطط ، ج١، ص١٩٤ـ ١٩٧.

١ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج١، ص٣٤١. المقريزي ، ج١، ص٢٨.

٢ـ الخربوطلي ، علي حسين ، مصر العربية الإسلامية ، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة ـ ١٩٦٣) ، ص٦٣. العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٢٠١.

٣ـ العبادي ، تاريخ البحرية ، ص٢٠١.

٤ـ الجميلي ، عامر مرضي علاوي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام خلا عصر المماليك البحرية (٦٤٨ـ ٧٨٤هـ، ١٢٥٠ـ ١٣٨٢م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد ـ كلية التربية لأبن رشد ، (بغداد ـ ٢٠١٠) ، ص٣١.

٥ـ حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسوريا وبلاد العرب ، ط٢، مطبعة النهضة ، (القاهرة ـ ١٩٥٨) ، ص١١٨.

كما أهتم العرب المسلمون بطريق البريد والحج فكما هو معروف أن طريق الحج كانت مسلكاً للتجارة ، وكان خليج أمير المؤمنين * مستعملاً لملاحة السفن وقد استخدمه الحجاج عند ذهابهم وإيابهم [١]. كانت أيلة * مع بلاد الحجاز ملتقى الناس والتجار على السواء حيث كانت البضائع الشرقية تباع إلى الحجاز ثم إلى السوق في غرب أفريقيا بواسطة التجار المصريين الذين يرافقون الحجاج عند عودتهم إلى مصر أو بفضل التجار السوريين عن عودتهم إلى دمشق [٢].

نظام الري ووسائله : كانت الزراعة في مصر تعتمد بشكل رئيسي على فيضانات النيل ، إذ كانت زيـادات النيل تبـدأ في شهر (يونيه) وتستمر طـوال شهري (يوليو ـ أغسطس) ثم تأخذ مياه الفيضان بالتوقف في العشرة الأخيرة من (أكتوبر) وهذا يعني أن زيادات النيل كانت تستمر حوالي أربعة أشهر [٣]. وكان المصريون ينتظرون فيضان النيل بكل اهتمام ويترقبون ميعاده لذلك كانت حالات تأخر الفيضان أو مجيئه مبكراً عن موعده من الحالات النادرة التي حظيت بتسجيل المصريين لها [٤].

---

* خليج أمير المؤمنين : هي قناة تربط نهر النيل بالبحر الأحمر عبر الصحراء جدد حفرها عمرو بن العاص سنة (٢٣هـ، ٦٤٣م) وردمت أيام الخليفة أبي جعفر المنصور لأسباب سياسية وأعاد الحاكم لأمر الله الفاطمي حفرها ولكن لم يلبث طويلاً أن أهملت فطمرتها الرمال . ينظر : عطية الله و أحمد القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ـ ١٩٦٣) ، ج٢، ص٢٧٨.

١ـ الخربوطلي ، مصر العربية الإسلامية ، ص٦٤. الذهبي ، ريم هادي مرهج ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨هـ ـ ٥٦٧ هـ، ٩٦٩ ـ ١١٧١م) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد ، (بغداد ـ ٢٠٠٨) ، ص٢٠.

* أيلة : مدينة تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام وهي مدينة عامرة ، بها زرع يسير . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص٢٩٢.

٢ـ عبد الحميد ، عفاف عبد الجبار ، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي من (٣٠٠هـ ـ ٨٧٤هـ ، ٩١٢ـ ١٤٦٩م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد ـ كلية التربية للبنات ، (بغداد ـ ٢٠٠٦) ، ص٢٠٩.

٣ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٢٩٣. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٥٤ـ ٥٨.

٤ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٦٠. النويري ، نهاية الأرب ، ج٣، ص١٠٣ـ ١٠٤.

إذ يعد نهر النيل المصدر الأساس للري في مصر باستثناء بعض المناطق الشمالية التي تعتمد نوعاً ما على مياه الأمطار في بعض زراعتها [1]، ومناطق الواحات التي تعتمد في زراعتها على مياه الآبار والعيون [2]، وقد أفاضت المصادر العربية في فضل النيل على مصر ، منهم البكري " وليس نهر في الدنيا يفيض على الأرض ويزرع عليه ويغني عن المطر غير النيل مصر " [3] كذلك العمري وصف نهر النيل بقوله " ساقه الله تعالى وأحيا به بلداً ميتاً وسقاه أمة عظمى ، وإن لم تكن هي المتفردة بنفعه فإنها المتفردة به لا يعرف بمصر قاطبة نهر سواه " [4] أما النويري فيضيف " ولولا ما جعل الله تعالى في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج ، حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء وقت الزراعة لفسد أمر هذا الإقليم ، وتعذرت سكناه ، إذ ليس فيه أمطار كافية ولا عيون سارحة (جارية) تعم أراضيه وليس ذلك إلا في بعض أقاليم الفيوم " [5].

١ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت ٢٨٤هـ) ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت ـ ٢٠٠٢) ، ص١٧٨.

٢ـ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد (ت بالقرن ٤هـ) ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ـ ١٩٦٤) ، ص١٤٥. شيخ الربوة ، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية (بطرسبرغ ـ ١٨٥٦) ، ص٣٢. أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ) ، تقديم ، البلدان ، تصحيح ، ينود والياورن ماك كوين ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس ـ ١٨٤٠) ، ص١٠٥. الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦٠٠.

٣ـ البكري ، أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ) ، المالك والممالك ، تحقيق ادريان فان ليوفن ـ المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، (تونس ـ ١٩٩٢) ، ج٢، ص٨٤٠. وانظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٣٣٤. القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ) ، آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر و (بيروت ـ ١٩٦٠) و ص٦٥. ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ) ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق عبد الهادي التازي ، (د.ت ـ ١٩٩٧) ، ج١، ص٢٠٧. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٢٧٢.

٤ـ العمري ، ابن فضل الله شهاب الدين أبي العباس أحمد (ت ٧٤٩هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، العهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة ـ ١٩٨٥) ، ج١، ص٦٧.

٥ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج٨، ص١٨١. وانظر: المقريزي ، الخطط ، ج١، ص١٨٤. ابن إياس ، محمد بن احمد (ت ٩٣٠هـ) ، نزهة الأمم في العجائب والحكم ، تحقيق محمد زينهم ، ط١، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ـ ١٩٩٥) ، ص١٠٤.

وقد تأثر ري الأراضي الزراعية في مصر بمستوى سطح الأرض لأن بعضها كان يحتاج لفيضانات قليلة لانخفاض مستواها ، ومنها ما يحتاج لفيضانات عالية لارتفاع مستواها وكانت مياه الفيضان أثناء ري الأرض تغطي المساحة المراد زراعتها فتبدو من خلال ذلك كالجراد المنتشرة وسط الماء ، وبعد أن يتأكد القائمون على حراسة السدود المحيطة بالأرض [١]، من اكتمال ريها كانوا الجسور لتصريف المياه الزائدة عن حاجة الأرض الزراعية في أماكن معينة ثم يأخذ الفلاحون في زراعة أرضهم عن طريق حرثها ، وهي لينة من أجل نمو البذور فيها [٢]. ولأهمية معرفة مقدار زيادة مياه النيل وقت الفيضان وما يترتب على هذه الزيادة من خصب للبلاد ، عندما تكون بالمستوى اللازم لري الأراضي الزراعية ، والضرر بالمزروعات عندما تكون أقل أو أكثر مياه النيل ، وقد اشارت بعض المصادر إلى عدد من المقاييس التي تعود إلى ما قبل الإسلام والفترة الإسلامية [٣] ، ومن أهمها في العصر الأيوبي (٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ) المقياس الهاشمي ، الذي بناؤه إلى سنة ٢٤٧هـ /٨٦١ م عندما أمر الخليفة المتوكل واليه على مصر يزيد بن عبد الله بن دينار ببنائه ، كما عرف هذا المقياس بعدة أسماء ، أهمها مقياس الروضة نسبة إلى جزيرة الروضة التي تقع فيها دار المقياس ، والمقياس الجديد و الكبير [٤].

١ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٠٠. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٥٨ـ ٦٠.

٢ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٥٨ـ ٦٠.

٣ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٧٥. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٧٨. ابن دقماق ، الانتصار ، ج٥، ص١٧. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٢٧.

٤ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٧٥. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٢٧. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٦٩ـ ١٧٠. ابن ظهيرة ، (ت ق ٩هـ، ١٥م) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق محمد السقا ، كامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ، (د.م ـ ١٩٦٩) ، ص١٧٨.

وكانت النصارى تتولى قياسه ، فعزلهم المتوكل وعين أبا الرداد * المعلم ، واستقر قياسه في بنيه من بعده منذ ذلك التاريخ [١] . ومقياس النيل عبارة عن عمود رخام أبيض مثمن وهذا العمود مفصل غلى اثنين وعشرين ذراعاً ، كل ذراع مفصل غلى أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالأصابع ، ما عدا الاثني عشر ذراعاً الأولى مفصلة إلى ثمانية وعشرين أصبعاً كل ذراع [٢]، ويدخل الماء إلى فسيقة المقياس بواسطة ثلاث مسارب بعضها فوق بعض طول كل منها نحو السبعين ذراعاً [٣].

وتبدأ زيادة النيل في الثاني عشر من بونه (حزيران) وتنتهي في الثامن من بابه (تشرين الأول) وبذلك تكون مدة زيادته ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، وهي أشهر أبيب (تموز) ومسرى (آب) وتوت (أيلول) [٤].

١ـ ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص٢٣. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٢٧. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٧٠.

*أبو الرداد :ـ عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرداد المؤذن (ت ٢٤٧هـ) ، أصله من البصرة ، قدم مصر وجعل على قياس النيل ولم يزل المقياس في يد ولد ابن أبي الرداد حتى العصر الأيوبي . ينظر : ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٧٦. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص ٧٣. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٧٠.

٢ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٧٦. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٢٧ـ ٣٢٨. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٧٤. ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص٧٨. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص١٥٤.

٣ـ الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد (من علماء القرن ٦هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة المصرية ، (مصر ـ د.ت) ، ج١، ص٣٢٥. ابن دقماق ، الانتصار ، ج٤، ص١١٤.

٤ـ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٣٠. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٢٧ـ ٣٢٠. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٣٦.

وقد كان المصريون يحتفلون بوفاء النيل ، ويبتهجون به ، إذ تقام الاحتفالات بهذه المناسبة ، فهناك احتفال تخليق المقياس (دهانه بالمسك والزعفران) ثم الاحتفال بيوم ركوب السلطان لفتح سد خليج أبي المنجا ، إذ يعد هذا اليوم من أعظم الأيام في مصر [١].

أما في وقت الفيضان أي فيضان النيل ، فقد احتاجت بلاد الوجه البحري إلى إنشاء الجسور ، لحماية الأراضي المنخفضة من التحول إلى مستنقعات ولضمان ري المناطق الزراعية المرتفعة احتاجت بلاد الصعيد إلى حفر الترع ، إذ يذكر المقريزي " ولذلك احتيج في بلاد الصعيد حفر الترع وفي أسفل الأرض (الوجه البحري) إلى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروي أهل النواحي على قدر احتياجهم " [٢]، كذلك يذكر النويري " ولولا إتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل " [٣].

كما أدلت الدولة عناية خاصة لإقامة الجسور وصيانتها والمحافظة عليها ، فقد كان هناك نوعان من الجسور : الجسور السلطانية ، تقيمها الدولة " وهي عامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة إلى حين يستغنى عنه ، ولها رسوم موظفة على الأعمال الشرقية والأعمال الغربية ، وكانت في القديم تعمل من أموال النواحي ، ويتولى عملها مستقبلو الأرض " [٤] .

١ـ ابن دقماق ، الانتصار ، ج٤، ص١١٤ـ ١١٥. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٥٩٠ـ ٥٩٣. المقريزي ، الخطط ، ج٢، ص ٣٤٣. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص ٧٣ ، ص١٤٢.

٢ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٧٦.

٣ـ نهاية الأرب ، ج١، ص٢٤٦.

٤ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٢. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٢٩٠.

فيذكر أنه " كان يرصد ربع خراج مصر لعمارة جسورها وحفر ترعها ، وحفر خلجانها وبناء قناطرها ، لأنه يترتب على عملها ري البلاد الذي فيه مصلحة العباد " [١].

في سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م ، أسند السلطان صلاح الدين أمر الجسور إلى والي الغربية ووالي الشرقية ، ليتوافر على عمارتها وكتب إلى الأمر خر الدين بن فرحون والي البحيرة ومشارفها بذلك [٢]. كما أمر السلطان الكامل في سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م النابلسي بالإقامة في الجيزة لحفظ جسورها وتدبير مياهها فضلا عن تعيين ثلاثة أو أربعة أمراء لمساعدة المسؤول عن إقامة الجسور [٣]. وكن السلطان الكامل يخرج بنفسه للكشف عن الجسور ويرتب في كل جسر من الأمراء من يتولاه ، ويجتمع الرجال لعمله ثم يشرف على الجسور بعد عملها ، ومتى اختل جسر عاقب متوليه أشد عقوبة لذلك عمرت أرض مصر في أيامه [٤].

أما النوع الثاني من الجسور فهي جسور البلدية ، الخاصة النفع بناحية دون أخرى يقيمها المقطوعون والفلاحون من أصل مال الناحية لأن منفعتها خاصة " وجرت العادة أن المقطع إذا انفصل أثناء السنة ، وكان قد انفق شيئاً من إقطاعه في لإقامة جسر لأجل عمارة السنة التي انتقل فيها الإقطاع عنه فإن له أن يستعيد من المقطع الجديد نظير ما انفق من سنته في عمارة سنة غيره " [٥].

١ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج١، ص٢٤٦. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٢١٧. ابن شاهين ، غرس الدين خليل (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) ، زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، المطبعة الجمهورية ، (باريس ـ ١٨٩٤م) ص٣٩.

٢ـ المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٧٤ـ ٧٥.

٣ـ النابلسي ، عثمان بن إبراهيم (ت بعد ٦٣٢هـ، ١٢٣٤م) لمع القوانين المصنية في دواوين الديار المصرية ، تحقيق كلود كاهن ، مكتبة الثقافة الدينية ، (مصر ـ ١٩٨٨) ، ص٣٩ـ ٤٠.

٤ـ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٥، ص١٥٧. أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج٢، ص٢٣٦. المقريزي ، الخطط ، ج٣، ص ٤٣٤. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص ٢٦٠.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٢. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٥١٦. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٢٩٠. ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص١٢٩.

وقد أفاض ابن مماتي في وصفه للجسور بقوله " فمحل الجسور السلطانية محل سور المدينة الذي يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية أمره ، ومحل الجسور البلدية محل الدور التي داخل السور ، يلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها " [١] وأضاف أيضاً " وهذه الجسور لا غنى عنها حيث تحتاج البلاد إلى لإقامة الجسور عليها ، لتحصيل المنفعة العامة بسوق المياه إليها أو صرفه عنها " [٢] ، فتعمل الجسور على دخول الماء في الأحواض الزراعية ، واستمراره فيها حتى تأخذ حاجته منها ، ثم تصرف هذه المياه عن الأحواض وحمايتها من الزائد عن حاجتها [٣].

أما وسائل الري المعروفة بمصر فلم تتغير على مر العصور ، وهي نظام الري بالأحواض ويعرف نظام الرية الواحدة [٤]، إذ تقسم الأراضي الزراعية إلى أحواض تقام حولها الجسور بمساحات ومناسيب محددة ، وكان ري هذه الأراضي يتم على مراحل مختلفة إذ كانت الأراضي الزراعية بمصر متفاوتة في الارتفاع والانخفاض [٥] . فعند وفاء النيل (تمام زيادة ستة عشر ذراعاً) ، بفتح جسر خليج أبي المنجا لتسير المياه إلى حد معين تقف عنده لتروي البلاد التي تحته ، والتي لا تصل إليها المياه إلا من زيادة كبيرة [٦]، أما في يوم النوروز أول توت (٢٧آب) يفتح الحد الثاني الذي وقفت عنده المياه ليروي الأراضي الواقعة تحت هذا المنسوب ، إذ تسمى السدود التي تفتح في هذا اليوم باسم (النوروزية) [٧]، وفي عيد الصليب ١٧توت (١٤ أيلول) تفتـح السـدود

١ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٢ـ ٢٣٣. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٥١٦. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٢٩٠.

٢ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٢ـ ٢٣٣.

٣ـ ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص١٢٩.

٤ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٢٩٤.

٥ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج١، ص٢٤٦.

٦ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٦٧.

٧ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٣٢١. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٦٧. ابن إياس ، نزهة المشتاق ، ص٤٨.

الصليبية ، حتى تروي تحت هذا المنسوب من الأراضي [١]. وفي المرحلة الأخيرة تفتح بقية الترع التي تحت هذا المنسوب الأخير ، وبذلك يتم ري بقية الأراضي الزراعية [٢].

أما الزراعة في الأراضي العالية فتعتمد على الري بواسطة الآلات ، خاصة عندما يكون فيضان النيل منخفضاً [٣]، ومن هذه الآلات السواقي * وتعرف بالهمايل والدواليب [٤] ، وتستخدم في رفع الماء من الترع والخلجان والآبار [٥] ، والأراضي المتبحرة [٦] ، وفي ذلك يذكر النويري " ويركبون على أفواه الآبار السواقي المتخذة من أخشاب السنط وما ناسبه المشهور بالحزير التي تعين على رفع الماء " [٧] ، ومقدار ما تسقي الهمالية من الفدن القريبة عشرة فدادين إلى أكثر ، وإذا كانت بعيدة فسبعة فدادين

١ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٥. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٣٢١.

٢ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٥. ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص٢٣٤. ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج١، ص٢١٩. ابن إياس ، نزهة المشتاق ، ص٤٩.

٣ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٣٩٤.

* الساقية : عبارة عن دولاب يحيط به حبل ، تربط به أوان من فخار تسمى القواديس ، ويحرك الدولاب عجلة مسننة تدور حول محور تحركه الأبقار ، فإذا دارت العجلة تحرك الحبل فتعمق القواديس في الماء وتخرج محملة بالمياه من الجهة الأخرى ، وتفرغ ما فيها من المياه في الحوض الموصل إلى ترعه الأرض المراد ريها . ينظر : كلوت بك ، لمحة عامة لمصر ، دار الموفق العربي ، (د.م ـ ١٩٨١) ، ج١، ص١٣.

٤ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج٨، ص١٨٥.

٥ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج٨، ص١٨٥. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٣٠٢.

٦ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٠٤. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٥١٩. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٢٩٤.

٧ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج٨، ص١٨٥.

إلى ما دونها ، وفي الآبار من أربعة فدادين إلى ما حولها ، ويكون لكل همالتين سائق واحد وتجرها الأبقار [١].

وتذكر المصادر التاريخية أن الأراضي الزراعية في مصر كانت تتميز في كل فصل من فصول السنة بلون ومظهر مختلف ، فوصفت بأنها ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء ، وثلاثة اشهر سبيكة حمراء [٢].

أما الؤلؤة البيضاء هي فترة فيضان النيل وغمره بالأراضي الزراعية ، فتبدو من إنعكاس الشمس وكأنها لؤلؤة ، وهذه الفترة من السنة تشمل شهور أبيب ومسرى وتوت (تموز ـ آب ـ أيلول) [٢]، وأما المسكة السوداء فإنه خلال شهور بايه وهاتور وكيهك (تشرين الأول ـ تشرين الثاني ـ كانون الأول) ، ينكشف ماء النيل عن الأراضي الزراعية تاركاً خلفه الطمي الأسود الذي يكسب التربة الخصب والنماء فيأخذ الفلاح في لإعدادها بالحرث استعداداً للبذار ، وتصبح للأرض رائحة طيبة بما يظهر فيها من نبات ، وأما الزمردة الخضراء ، فهي شهور طوبة وأمشير وبرمهات (كانون الثاني وشباط وآذار) حيث يزداد فيها نمو النبات واخضراره ، فتضير الأرض مخضرة تماماً ، أما السبيكة الحمراء ، فهي أشهر برموه وبشنش وبوتة (نيسان وآذار وحزيران) يكتمل نمو النبات وتأخذ أعواده في اليبس والجفاف ، ومع نضج المحاصيل ، ومع نضج المحاصيل تصبح الأرض سبيكة حمراء [٣].

١ـ المسعودي ، مروج الذهب ، ج١، ص٣٥٦. القزويني ، آثار البلاد ، ص٢٦٤. الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ، ١٢١٦م) ، الإشارات إلى معارف الزيادات ، تحقيق جاتين سورويل ـ طومني ، (دمشق ـ ١٩٥٣) ، ص٥١. النويري ، نهاية الأرب ، ج١، ص٣٣٠. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٢٨٢. ابن إياس ، نزهة المشتاق ، ص٢٦.

٢ـ القزويني ، آثار البلاد ، ص٢٦٤. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٨٧. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٨٧. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٢٨٢.

٣ـ القزويني ، آثار البلاد ، ص٢٦٤. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ٨٧. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٨٧. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٢٨٢.

المحاصيل الزراعية في مصر : لقد تعددت المحاصيل الزراعية في مصر إذ كانت تقسم إلى محاصيل شتوية وصيفية ومن هذه المحاصيل التي كانت تزرع في مصر :

أ ـ الحبوب : يعد القمح من أهم المحاصيل الزراعية في مصر إذ يحتل المكان الأول بين محاصيل الحبوب التي استخدمها الإنسان غذاءً له في مصر ، إذ تشغل زراعته الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة الشتوية (١)، ويذكر ابن زولاق " امتازت مصر بزراعة أنواع جيدة من القمح ومنها القمح اليوسفي ، وهو من أعظم أنواع القمح حباً ، وأطوله شكلاً وأثقله وزناً " (٢)، وتكثر زراعته في بلاد الصعيد إذ بلغ غلة الفدان الواحد أردبين * إلى عشرين (٣).

كذلك يزرع في منطقة أسوان ** إذ وصفت بأنها عامرة كثيرة الحنطة وسائر الحبوب (٤) ، أما المنطقة الممتدة من دماميل *** شرقي النيل كثيرة الزراعات من الحنطة وسائر الحبوب (٥).

١ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص ١٦٣.

٢ـ فضائل مصر ، ص٣١. ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص١٣٣.ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص٤٤.

* الإردب : مكيال مصري للحنطة والشعير ، ويساوي ٧٣،١٢٥ كغم حنطة والشعير ٥٦كغم . ينظر : هنتس ، فالتر ، الأوزان والمكاييل الإسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، (الأردن ـ ١٩٧١) ، ص٥٨.

٣ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١، ص ١٦٥.

** أسوان : وهي أكبر مدن الصعيد الأعلى ، وهي مدينة صغيرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكهه ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٧.

٤ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص٣٩. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٧.

*** دماميل : مدينة بينها وبين قوص من أرض مصر سبعة أميال ، وهي محدثة حسنة البناء طيبة الهواء كثيرة الزراعات ممكنة الحنطة وسائر الحبوب ، وأهلها أخلاط . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٣٧.

٥ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٩.

أما منطقة الشجور * بها القمح اليوسفي المميزع [١] أما منفلوط ** اشتهرت بإنتاج أفضل أنواع القمح " وقمحها يجلب إلى مصر لطيبة ورزانة حبته ، والتجار يصعدون إلى المراكب لإستجلابه " [٢] . وهناك بعض المناطق التي اشتهرت أيضا بإنتاج الحبوب مثل قوص *** وأسيوط **** [٣] ، كذلك الفيوم ***** التي اشتهرت بإنتاج القمح الموصوف [٤].

* الشجور : كورة بمصر قرب دمياط وفيها قرى وريف وغياض ، ليس في الدنيا مثلها عظماً وحسناً . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١، ص٣٠٧.

١ـ اليعقوبي ، الفضائل الباهرة ، ص١٣٣.

** منفلوط : بلدة في الصعيد في غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٤، ص١٧٤.

٢ـ ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، (بيروت ـ ١٩٥٩) ، ص٣٥.

*** قوص : وهي مدينة عظيمة كبيرة واسعة قصبة صعيد مصر ، أهلها ارباب ثروة واسعة وهي محط التجار القادمين من عدن ، وهي شديدة الحر لقربها من المناطق الجنوبية . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٤، ص٤١٣.

**** أسيوط : مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر ، كثيرة الخيرات والبساتين واسعة الأرضيين جميلة حسنة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١، ص١٩٣. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٨.

٣ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٨.

***** الفيوم : وهي ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٤، ص٢٨٦. الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٤٥.

٤ـ اليعقوبي ، البلدان ، ص١٧٠.

وكانت الأوقاف تصرف من رواتب لموظفيها والتابعين إليها عن طريق كمية من الغلال ، إذ كانت المدرسة القمحية التي عرفت بهذا الاسم نسبة إلى القمح الفيومي الذي كان يوزع على مدرسيها وطلبتها ، فقد أوقف السلطان صلاح الدين بلدة الحنبوشية بالفيوم التي كان أغلب متحصلها من القمح على هذه المدرسة [١].

ومن مناطق زراعة القمح في مصر أيضاً ، سخا * التي امتازت بإنتاج أنواع جيدة من القمح [٢]، كذلك منطقة بلبيس** التي يحمل منها أكثر ميرة في الحجاز من الدقيق والكعك [٣]، أما بلاد الواحات فيها من القمح والقطاني ما يزيد عن حاجتهم [٤].

أما عن أوقات زراعة القمح فيزرع في مدة لها نصف شهر بايه (١١ ايلول وأخرها كيهك (٢ كانون الأول) [٥]، أما حقوله فتنظف من الحشائش في شهر طوبة (كانون الثاني) . ويبتدئ حصاد البدري منه في برمودة (نيسان) ، ويستمر حتى بشنس (أيار) [٦].

١ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٤٣٩.

* سخا : مدينة بأسفل مصر وهي قصبة الكورة الغربية . ينظر : : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٣، ص١٩٦.

٢ـ ابن حوقل، صورة الأرض ، ص١٣١.

** بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ عن طريق الشام ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١، ص٤٧٩.

٣ـ المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله (ت ق ٤هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢، مطبعة بريل ، (د.م ـ ١٩٦٧) ، ص١٩٥.

٤ـ ابن حوقل، صورة الأرض ، ص١٤٦.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٥٨. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢، ص ١١١. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص١٥٧.

٦ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٥٨. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢، ص ٤١٤.

أما عن احتياج الفدان * من بذر القمح فكان من إردب إلى خمس ويبات ** ، وهناك اراضي زراعية تحتاج إلى اقل من هذا خاصة في منطقة الصعيد ، أما في منطقة كفور حوف رمسيس من اعمال البحيرة فهناك مواضع لا يحتاج الفدان من البذار إلا إلى ويبتين إلى ما حولها [١]. ويبلغ إنتاج الفدان الواحد من القمح من إردبين إلى عشرين إردباً وسبب هذا التفاوت في الإنتاج نتيجة لاختلاف خصوبة الأرض من منطقة لأخرى ومقدار ما يصل إليها من ماء النيل [٢].

أما زراعة الشعير فقد انتشرت في جميع أراضي مصر ، من أسوان جنوباً حتى سواحل البحر (المتوسط) شمالاً [٣]، ويزرع في الأراضي المنخفضة التي شربت الماء الكثير وهي الأراضي الرطبة [٤]، وتتقدم زراعة الشعير على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده [٥]، ويعتمد أهالي الأرياف على الخبز المصنوع من الشعير ، وقد تخلط الذرة والشعير بنسبة معينة من القمح ليتماسك الخبز [٦]، وكان إنتاج الفدان في أسوان إردباً من الشعير [٧]، كذلك اشتهرت منطقة قوص وأسيوط وزماضر على فم خليج الفيوم بإنتاج الشعير [٨].

---

* الفدان : يساوي أربعمائة قصبة حاكمية طولا في عرض قصبة واحدة ، والقصبة تساوي خمسة أذرع بخاري ، وتبلغ مسافة الفدان ٦٣٨٣م٢ . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٩٦. هنتس ، المكاييل والأوزان ، ص٩٨.

** الويبة : تساوي ١١,٦ كغم . ينظر : هنتس ، المكاييل والأوزان ، ص٨٠.

١ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٥٩.

٢ـ المصدر السابق ، ص٢٥٩.

٣ـ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٤٥.

٤ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٤٦٥.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٥٩.

٦ـ الشربيني ، هز القحوف ، ص٢٣٦.

٧ـ الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص١٢٨.

٨ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٨.

من المحاصيل الزراعية الأخرى الفول الذي يزرع في ضواحي القاهرة [١] ، وتتم زراعته في أول شهر بايه (تشرين الأول) ، وغالباً ما يحتاج الفدان من البذر إلى ثلاث ويبات ، ويبلغ محصول الفدان الواحد ما بين إردبين إلى عشرين إردبا من الفول حسب جودة الأرض [٢]، وكان يؤكل أخضر في شهر كيهك (كانون الأول) ويتم نضجه وحصاده في شهر برمهات (آذار) [٣].

أما عن زراعة الأرز فاشتهرت منطقة الصعيد عموماً بإنتاجه وكذلك المنطقة الممتدة بين عين الشمس والفرما [٤]، ويبذر الأرز في شهر بشنس (أيار) ويحصد في بايه (تشرين الأول) [٥].

أما الحمص والعدس والترمس فتتوزع زراعته في مناطق عدة ، ففي الصعيد يزرع الحمص ، وتمتد زراعة العدس بين أدفو والجيزة ، وبخاصة منطقتي أسيوط والمتيا في حين تندر زراعته في الوجه البحري [٦] ، وتبدأ زراعة الحمص والعدس في هاتور (تشرين الثاني) ، وينضج في برمودة (نيسان) [٧].

١ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٣٨ـ ٢٦٠.

٢ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٦٠.

٣ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٢٤٨. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٧٥٣.ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص٢٤٧.

٤ـ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص٥٤.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٢. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص ٤١٠. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٧٥٤. ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص٢٤٥.

٦ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٨.

٧ـ ابن مماتي ، قوانين ، ص٢٦١ـ ٢٦٣. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٩٢.

أما الترمس فهو من أجناس الباقلاء ويصف شكله بـ " ساقه قوية مستقيمة زهرية بنفسجية ، قرونه عريضة كثيفة تحتوي على حبات مرت الطعم ، تؤكل بعد أن تنقع وتحلا " [١]، وكانت زراعته في بابه (كانون الثاني) وينضج في برمودة (نيسان) ، عشرون إردباً تقريباً [٢].

ب- **الخضراوات** : لقد زرعت في مصر شتى انواع الخضراوات وذلك لأهميتها كمحصول غذائي في الوجبة اليومية لسكان المدن والأرياف ، ومنها الباميا و وهي ثمر بقدر إبهام اليد يطبخها أهل مصر مع اللحم [٣] ، إضافة إلى الوبياء والباذنجان يزرع في شهر برمهات (آذار) وتستمر زراعته ثلاثة أشهر وتنضج في شهر بونة و أبيب ومسرى (حزيران ـ تموز ـ آب) [٤].

كذلك الملوخية وتسمى الملوكية [٥]، " وهي كثيرة اللعابرة ويطبخ بها اللحم [٦]، إضافة إلى الجرجير [٧] والجزر [٨] ، أما الخس والفجل واللفت فيزرع في شهر مسرى (آب) وينضج في شهر توت (أيلول) [٩] ، وتشتهر أسيوط وأخميم وقفط [١٠] ، والأشمونين بزراعته [١١] .

١ـ البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص٩٠. المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠٤.

٢ـ ابن مماتي ، قوانين ، ص ٢٦٤. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٩٣. ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص١٤٠.

٣ـ البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص٧٤.

٤ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٢٦. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢، ص ٣٤٤. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٧٢٩.

٥ـ البغدادي ، الإفادة ، ص٧٤.

٦ـ المصدر السابق ، ص٧٤. الدواداري ، كنز الدرر ، ج٤، ص٢٥٧.

٧ـ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص٤٢.

٨ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٤٢. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٧٥٢. ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص٢٤٧.

٩ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٦٩. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٧٤٩.

١٠ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٨.

١١ـ ابن ظهيرة الفضائل الباهرة ،ص٦٢.

أما القلقاس فيزرع بنفس الطريقة التي يزرع فيها قصب السكر وهو من محاصيل مصر الهامة و ويصف بانه " شيء ينبت على المياه ورقه كبير أملس كورق الموز لكنه أقصر منه ، ليس له ساق ويشبه الأترج ويشاكل الموز " [١] ، وهو من المأكولات الشتوية [٢] ، واشتهرت دمياط البرلس بزراعته [٣].

وهناك محاصيل زراعية كالبصل والثوم [٤]، إذ تبدأ زراعة البصل والثوم في شهر كيهك (كانون الأول) ، وتنتهي في الشهر نفسه [٥] ، ويشتل البصل وتزرع رؤوسه للحصول على تقادي في الوجه البحري في شهر طوبه (كانون الثاني) [٦].ويبلغ إنتاج الفدان من البصل نحو عشرة أرادب ، أما الثوم فينتج الفدان بين مائة إلى مائة وخمسين حزمة [٧].

أما السمسم فيعرف بأنه " نبات مفسد للأرض " [٨] ، وتكثر زراعته في بلاد الصعيد وخاصة قستا * وبعض قرى الفيوم [٩] .

١ـ العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢١، ص٢٧١.

٢ـ الشربيني ، هز القحوف ، ص٢١٢.

٣ـ ابن ظهيرة الفضائل الباهرة ،ص٥٣. ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص١٣٤. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص١٣٤.

٤ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢، ص ٣٤٤.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٦٣. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٧٥٠.

٦ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٦٣.

٧ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٦٣.

٨ـ الوطواط ، جمال الدين محمد بن إبراهيم الكتبي (ت ٧١٨هـ، ١٣١٨م) ، مباهج الفكر ومناهج العبر ، تحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي ، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، (الكويت ـ ١٩٨١) ، ص٨١.

* قستا : وهي مدينة بالصعيد بينها وبين قوص يوم واحد ، ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٩٩.

٩ـ موسى ـ عامر نجيب ، الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي ، دار الشرق ، (د.م ٢٠٠٣) ، ٢٦٢.

كما اشتهرت قرية المعصيرة على بع عشرين ميلا إلى الشمال من القاهرة بكثرة معاصر استخراج زيت السمسم [٢]، المعروف باسم " الشيرج " [١]، وتبدأ زراعته في بداية شهر برمهات (آذار) [٣]، ويحتاج الفدان إلى ويبة من البذار ، ويتم حصاده في شهري أبيب ومسرى (تموز وآب) وينتج الفدان الواحد من إردب إلى ستة أرادب [٤].

الفواكهه والأشجار : تنتشر زراعة النخيل في جميع أنحاء مصر وخاصة بلاد الصعيد إذ قدرت المساحة المزروعة نخلاً فيه بحوالي عشرين ألف فدان [٥]، وتعد أسوان وضواحيها من أهم مراكز زراعة النخيل [٦]، وهناك أنواع عديدة للتمور في أسوان " وفيها من التمور المختلفة الأنواع ، وأنواع الأرطاب ، فمنها رطباً أشد ما يكون خضرة من السلق ، وفيها تمر يعرف بقرن الغزال ، ملوي مثله والنوع الأحمر المعنبر اللون ، ونوع لين يثمر بعد أن يصير رطباً ، والنوع الأبيض الذي يثمر وهو بلح ، ونوع شديد اليبوسة لا يقدر على أكله حتى يدق في الهاون مثل السكر فيكون عوضاً عن السكر " [٧]، كما امتدت زراعة النخيل لتشمل منطقة الواحات التي تتميز بكثرة نخيلها وتمورها ، إذ يصفها الإدريسي بقوله " بها نخل كثير وأنـــواع التمور والخيـــرات الكثيرة " [٨]

١ـ ليون الأفريقي ، (٩٥٧هـ /١٥٥٠م) ، وصف أفريقيا ، ترجمة من الفرنسية عبد الرحمن حميدة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (السعودية ـ ١٣٣٩هـ) ، ص٦٠٩.

٢ـ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٦١.

٣ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢، ص ٤١٣.

٤ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٥٦. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٩٣.

٥ـ الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٢٥. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٧.

٦ـ ابن حولق ، صورة الأرض ، ص١٤٨. الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٣٢. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٨. ابن ظهيرة الفضائل الباهرة ،ص٦٥.

٧ـ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص١٩٢. الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٢٧. ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص١٩٤.

٨ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٤. الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٠.

ووصفت أيضاً " وهذا العمل من أخصب بلاد الدنيا وأكثرها تموراً " [١] . أما في الوجه البحري فتعد الفرما من أشهر مناطق غنتاج التمور غذ وصفت " إن نخل الفرما يثمر حين ينقطع البسر والرطب في جميع البلاد فيكون رطب نخل الفرما في كانون الأول ، فلا ينقطع أربعة أشهر ، ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرما و وهو تمر كبير ليس هو في الحجاز ولا في البصرة ، وربما زنت التمرة عشرين درهماً * وطولها فتر "[٢]، ويكثر في مصر شجر الجميز [٣] ، إذ يصفها المقدسي " والجميز أشجار عظيمة الكبر ، لا ترى اغلظ من سيقانها ، يثمر شجرها سبعة بطون بالسنة وثمره أصغر من التين وله ذنب طويل أحمر ، طعمه غير طعم التين [٤]، وتكون ثماره على الجذع تحت الأوراق ، وينضج الجميز عندما يقوم الفلاح بعمل ثقب في الثمر في المساء فيخرج منها لبن ابيض ثم يود موضع الثقب ، فيجدها في الصباح وقد نضجت [٥]، وينضج البطن الأول من الجميز في شهر برمودة (نيسان) [٦].

أما أصناف الفواكهه فقد تعددت في مصر ، إذ يصفها ناصر خسرو بقولـــه " شاهدت ترتجا ونارنجاً وليموناً وحمضيات وتفاح وسفرجل ورماناً وخوخاً وبطيخاً وموزاً ... وكل ما لا يخطر على البال من أنواع الفواكهه مع أن بعضها شتوي وبعضها ربيعي وبعضها صيفي ، رأيتها كلها في يوم واحد ، في مكان واحد ... فإن مصر بلد واسع فيه كل الأجواء والمناخات تتراوح بين الطقس البارد والطقس الحار " [٧].

١ـ الوطواط ، من مباهج الفكر ، ص٤٢.

٢ـ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٣٩. ابن ظهيرة الفضائل الباهرة ،ص٥٤. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٥٩٢. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص١٥.

* الدرهم : يساوي ٣,١٢٥غم وعليه يكون وزن التمرة ٢٠ × ٣,١٢٥ = ٦٢,٥ غم . ينظر : فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان ، ص٣٢.

٣ـ البغدادي ، الإفادة ، ص٧٧. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٣٢١.

٤ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠٤. وانظر : العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢، ص١٧٢.

٥ـ البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص٧٧. العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢، ص١٧٢.

٦ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٧٥. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢، ص ١٧٢.

٧ـ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٣٠. الوطواط ، من مباهج الفكر ، ص٣٧. العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢، ص١٧. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص ٣٤٤.

فقد اشتهرت الواحات بزراعة أنواع ممتازة من العنب والتفاح والكمثري والرمان الكثير [١] . وتوجد أشجاره في جميع أنحاء مصر ، أما أصناف العنب المشهورة : المدور والرزاقي والسكري ، وعيون البقر ، وهي وهو كالجوز والعذاري [٢]، كما امتازت منطقة أسنا* بكثرة غنتاج العنب ، إذ يعمل منه الزبيب بكميات كبيرة وينقل إلى جميع أرض مصر [٣]، إذ بلغ إنتاجها من الزبيب أثني عشر ألف إردب في السنة[٤] ، ومن مناطق إنتاج العنب الأخرى منطقة الإسكندرية فيذكر الإدريسي " الإسكندرية جيدة الفواكهه والأعناب كثيرة الكروم والأشجار " [٥].

كذلك اشتهرت بعض مناطق مصر بزراعة الأجاص في منطقة قمولة في القوصية [٦]، إذ يصفه البغدادي بقوله " في مصر صنف من الأجاص صغير جداً " [٧] ، كذلك التين من أنواعه البرشومي والبوني [٨]، إذ تكثر زراعته في الفيوم وخاصته في سنورس وفانو [٩].

١ـ الوطواط ، من مباهج الفكر ، ص٤٢.

Abu saleh : the Churche and monasteries of Egypt
(for a – 1895) , p. 197

٢ـ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص١٤٦.

* أسنا مدينة بأقصى الصعيد وهي على شاطئ النيل من الجانب الغربي وهي مدينة عامرة طيبة كثيرة النخل والبساتين والتجارة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص١٨٩.

٣ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص٣٤٣. الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٢٦.

٤ـ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص٦٥. ابن دقماق ، الانتصار ، ج٥، ص٣١.

٥ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص٣٤١. العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢، ص٩.

٦ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٩.

٧ـ البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص٩٤.

٨ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين و ص٢٧٥. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص٤١٤.

٩ـ النابلسي ، عثمان بن إبراهيم (ت بعد ٦٣٢هـ، ١٢٣٤م) ، تاريخ الفيوم وبلاده ، ط١، دار الجبل ، (بيروت ـ ١٩٧٤) ، ص١٠٧، ١٣٠.

أما عن الحمضيات في مصر فتشكل معظم محاصيل الوجه البحري في مصر ، ومنها النارنج والأترج (الأطرنج) ويعد من عجائب مصر [١] ، شجره طويل ناعم الأغصان والورق وثمره كالليمون الكبير ، ذهبي اللون طيب الرائحة حامض الماء [٢]، ومن أنواعه الأحمر الحافي ، والأترج المركب [٣]، أما البطيخ فتكثر زراعته في أدفو * وفي أسوان [٤] ، كما ينسب إلى دميرة ** إحدى قرى تنسب البطيخ الدميري ، ويسمى العبدلي وله أعناق ملتوية قشرته خفيفة ، قليل الحلاوة ، غالباً ما يتراوح وزن ثماره ما بين رطلين إلى عشرة أرطال *** [٥].

الثروة الحيوانية : لم يقف نشاط المزارع المصري ومساهمته في اقتصاد البلاد عند حد زراعة المحاصيل المختلفة ، بل قام بتربية الحيوانات يدفعه ذلك حاجته المستمرة إليها في أعمال الحقل وإستفادته منها في الطعام ، وفرض الديوان السلطاني أو المقطع على المزارع تربيتها ، وساعد المزارع على ذلك وفرة المراعي رغم ما كانت تفرضه الدولة على من يستفيد منها رسوماً مقابل ذلك [٦].

١ـ النويري ، نهاية الأرب و ج١، ص٣٢٩. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣١، ص ٣٤٥. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٩١.

٢ـ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص٥٤.

٣ـ الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٣٣. ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص١٩ـ ٥٤.

*أدفو :ـ اسم قرية بصعيد مصر الأعلى بين أسوان وقوص وهي كثيرة النخل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١، ص٧٨.

٤ـ الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٧. ابن ظهيرة الفضائل الباهرة ،ص٦٧.

** دميرة : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٢، ص٤٧٢.

٥ـ البغدادي ، ألإفادة والاعتبار ، ص٩١ـ ٩٢.

*** الرطل : يساوي ٤٣٧,٥ غم . ينظر : فالترهتنس ، المكاييل ، ص٣٢.

٦ـ الجعيدي ، العامة في مصر في العصر الأيوبي ، ص٣٦.

فقد اهتم المصريون بتربية الأغنام ، فتميزت بلاد الصعيد بتربية الأغنام إذ يذكر النابلسي " أن كل مائة رأس تنتج من مائة إلى مائة وخمسين رأس في السنة [(١)]، وتعد أسوان من أهم مراكز تربية الأغنام ، التي اشتهرت بطيب لحومها وسمن أغنامها [(٣)]، كما شكلت الأغنام جزءاً من ثروات السلطين الأيوبيين ، فقد بلغ عدد أغنام السلطان الكامل في الوجه البحري ما يزيد على ٣٠,٠٠٠ راس [(٢)]، وبلغ استهلاك المطابخ السلطانية في كل عام بت ١٢,٠٠٠ رأس [(٣)]، أما في سنة ٦٣٦هـ، ١٢٣٨م قام السلطان العادل الثاني بعمل ذبح فيه ١٠,٠٠٠ رأس من الغنم وعدد من الأبل والبقر [(٤)].

كذلك اهتم المزارعون بتربية الجاموس والأبقار ، لاستخدامها في الأعمال الزراعية المختلفة ، كالحرث ودرس الحبوب ،وإدارة الآلات الري كالسواقي [(٥)]، ومن أشهر أنواع الأبقار ، وأغلاها قيمة ما يسمى بالبقر بالخيسية * وذلك لكثرة لحومها وغزارة ألبانها [(٦)]،

١ـ النابلسي ، لمع القوانين ، ص٥٨.

٢ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص٣٩ـ ٤٠. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٥٥١. الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٧. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص٤٤. النابلسي ، لمع القوانين ، ص٥٨.

٣ـ النابلسي ، لمع القوانين ، ص٦٠.

٤ـ النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٩، ص١٦٥. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٢٩٠.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين و ص٢٧٧.

Abu saleh : the Churches and monasteries . p 197 – 198 .

* الخيسية : نسبة إلى خيس من أعمال الشرقية ، وكلمة تخيس تعني ظهر شحمه ولحمه من السمن ، والمقصود بها أبقار غزيرة الألبان . ينظر: ابن مماتي قوانين الدواوين ، ص٤٥١. وللمزيد ينظر : ياقوت الحموي و معجم البلدان ، ج٢، ص٤١١ـ ٤١٢. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص٤٤.

٦ـ الجعيدي ، العامة في مصر في العصر الأيوبي ، ص٣٦.

إذ يصفها البغدادي " أما بقرهم عظيمة الخلق حسنة الصدر ، ومنها صنف أحسنها قيمة يسمى البقر الخيسية ، غزيرة اللبن ولها قرون كبيرة " [١]. يعمل من حليبها جبن الخيس ويحمل منه إلى سائر البلاد [٢].

كما اهتم المصريون بتربية الجمال والحمير التي استخدمت في تجهيز القوافل التجارية ونقل الحجاج لأداء فريضة الحج كما استخدمت للنقل داخل المدينة وحمل المياه إلى المنازل وغير ذلك [٣].

فقد استخدمت الجمال في نقل مياه الشرب من النيل ، فقد وصفت " أن في القاهرة أثنين وخمسين ألف جمل يحمل السقاؤون عليها الروايا " [٤]، أما الحمير فهي أيضاً من الحيوانات التي استعملها الفلاح المصري لنقل بعض المواد الغذائية ، ويركبها لقضاء بعض أعماله فقد وصفها ناصر خسرو " أنه رأى كثيراً من الحمير البلق كالخيل ، بل اجمل ، وأن أهل السوق وأصحاب الدكاكين يركبون هذه الحمير المسرجة في ذهبهم وإيابهم من البيوت إلى السوق وفي كل حي على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها برادع مزينة ، ويقدر عددها بخمسين ألف بهيمة مسرجة تريد في كل يوم " [٥].

أما عن الخيول فقد اعتنى الأيوبيين بتربية الخيول كما لها من دور هام في الجهاد ، إذ بلغ عدد الخيول في سلطنة صلاح الدين ١٤,٠٠٠ فرس ، أقيم لها عرض عسكري كبير في القاهرة سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، استمر يوماً وشطر من الليل [٦].

١ـ ألإفادة والاعتبار ، ص ٩٩.

٢ـ ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص١٣٥.

٣ـ الجعيدي ، العامة في مصر، ص٣٦.

٤ـ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٠٦.

٥ـ المصدر السابق ، ص١٢٠ـ ١٢١.

٦ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٥٠.

وقد وصفها البغدادي بقوله " أما خيلها فعتاق مسابقة ، ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار إلى أربعة آلاف " (١)، وأضاف المقريزي بقوله " وفي مصر أنواع من الدواب والخيل والبغال والحمير مما يوصف بالجودة لفراهتها " (٢).

أما عن تربية الدواجن فقد كانت منتشرة بصورة كبيرة في أنحاء الريف المصري حتى أصبحت من الأشياء التي اختصت بها مصر (٣)، وكان هناك نوعين من التفريخ في ذلك العصر الأول التفريخ الطبيعي التي تقوم به الدواجن بداخل منازل الأسر الريفية ، والثاني التفريخ الصناعي حيث يتم جمع بيض الدجاج والأوز والبط ويتم وضعه بمعمل الفروج (٤)، فيذكر العمري ذلك " من فضائل مصر أن لها معامل البيض ، وهي كالتنانير يوقد عليه نار ، فتحاكي نار الطبيعة ، كحضانة الدجاج للبيض فيفرخ منها الفراريج دفعة واحدة ، وهي معظم دجاجهم ولا تعمل هذه التنانير إلا بمصر " (٥)، كذلك وصف البغدادي بيوت ترقيد البيض بقوله " يتكون المعمل من ١٠ إلى ٢٠ بيتاً تعرف ببيوت الترقيد ، سعة كل بيت ٢٠٠٠ بيضة ، وبيت الترقيد مربع طوله ثمانية أشبار ، وعرضه ستة وارتفاعه أربعة ، وله باب عرضه شبران ، فوقه طاقة قطرها شبر ، ويسقف البيت بأربع خشبات ويوضع فوق السقف نسيج الكتان وحطبه ، ومن فوق ذلك الطين ثم يرصص بالطوب ويطين سائر البيت ظاهره وباطنه ، أعلاه وأسفله ، حتى لا يخرج منه بخاراً " (٦).

١ـ البغدادي ، ألإفادة والاعتبار ، ص١٠٠.

٢ـ الخطط ، ج١، ص٩٩. وانظر: ابن ظهيرة ، الفضائل ، ص١٣٢.

٣ـ الجعيدي ، العامة في مصر، ص٣٧.

٤ـ الجعيدي ، العامة في مصر، ص٣٧.

٥ـ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١، ص١٨. وانظر : المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٨٧. ابن ظهيرة ، الفضائل ، ص١٣٥.

٦ـ ألإفادة والاعتبار ، ص٩٦.

أما عن أسماك مصر ، فقد كانت على امتداد النيل وفروعه بالإضافة إلى بحيرات مصر المختلفة ، إذ تعددت أنواع الأسماك التي كان يكثر صيدها أثناء انخفاض النيل [١]، وكان السمك مصدراً أساسياً لغذاء سكانها فكان أكثر أدمهم السمك [٢]. فيصفها النويري " وليس في الدنيا بلد يأكل أهله صيد البحر طرياً غير أهل مصر " [٣] ، وأضاف البغدادي " أما أصناف السمك عندهم فكثيرة ، لأنه يتجمع لهم سمك النيل وسمك البحر الملح (المتوسط) " [٤]، ومن اشهر مناطق صيد الأسماك ثغر أسوان ، وبعض أسماكه لا تزيد في حجمها من قدر الأصبع وتوضع في أواني الفخار وتعرض للبيع [٥]، كما ضمت مدينة تنيس بين جنياتها أعداد كبيرة من صيادي الأسماك وطير السمان فقد بلغ عدد المراكب فيها في العصر الأيوبي ثلاثمائة واثنين وسبعين مركباً[٦]، غذ كان يصطاد من بحيرة تنيس ٦٣ نوعاً من السمك [٧].

أما عن تربية النحل واستخراج العسل ، فقد اشتهرت قرية بنها التي عرفت ببنها العسل ، لطيب عسلها وكثرته [٨]، كذلك في منطقة الفيوم [٩].

١ـ النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص١٥٢. الجعيدي ، العامة في مصر، ص٣٨.

٢ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠٣.

٣ـ النويري، نهاية الأرب ، ج١، ص٣٢٩. وانظر : المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٩٢. ابن ظهيرة ، الفضائل ، ص١٣٦.

٤ـ ألإفادة والاعتبار ، ص١٠٦.

٥ـ المقريزي ، الخطط ، ج١، ص١٠٦ـ ١٠٧.

٦ـ التتيسي ، ابن بسام محمد بن احمد (ت ٥٤٢هـ، ١١٤٧م) ، أتيس الجليس في أخبار تتيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، (د.م ـ ١٩٦٧) ، ص١٥١. الجعيدي ، العامة في مصر، ص٣٨.

٧ـ التتيسي ، أتيس الجليس ، ص١٧٧. القزويني ، آثار البلاد ، ص١٧٨.

٨ـ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص١٥٨.

٩ـ النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص٢٣.

التي بلغ متحصل الديوان السلطاني الخاص من عسلها ثلاثة وعشرين قنطاراً * ، وذلك في سنة ٦٤٢هـ، ١٢٤٤م [١]، أما الإسكندرية ففيها عسالة يتخذون النحل ويجنون العسل ويسافرون به إلى الديار المصرية [٢].

المجاعات والأوبئة والأمراض : لقد تعرضت مصر في عصرها الأيوبي إلى العديد من الأزمات الاقتصادية التي آثرت على اقتصاد وحالة مصر الأيوبية ، ففي سنة ٥٦٧هـ، ١١٧١م ، في عهد السلطان صلاح الدين كثرت عادية الفأر في أكل ثمار النخل والأقصاب والأشجار ، وانتهى الحال إلى أن اعتصر من مائة فدان مزروعة قصباً ستون أبلوجا * وفي شهر شعبان من السنة نفسها [٣] ، سقط برد عظيم كأنه الأحجار المدورة في الدقهلية والمرناحية ، فأستهلك الغلات [٤]، ومات في هذه السنة مائة ألف رأس من الغنم [٥]، كذلك وقع في سنة ٥٧٠هـ، ١١٧٤م بمصر من الجراد ملا يوصف لكثرته ، فأكل الكروم وجميع الفواكه والنخل والأقراط حتى خربت البساتين والكروم ، وتبع ذلك غلاء ووباء ، هلك فيه عالم عظيم [٦] ، أما في سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م شهدت مصر وباء أدى إلى تفشي الموت بمصر والقاهرة .

---

* قنطار: القنطار يساوي ٩٥,٨ كغم . انظر : فالترهنتس ، المكاييل والأوزان ، ص٤١.

١ـ النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص٢٣.

٢ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص٣١٩.

** الابلوجة : بناء مستطيل كالمذاود (معالف الدواب) ، له فتحة من الأسفل ويسع قنطاراً مصرياً أي ٤٥كغم . ينظر : فالترهنتس ، المكاييل والأوزان ، ص٤٠.

٣ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢، ص٥١١ـ ٥١٢. المقريزي ، الخطط ، ج١، ص٢٩٤.

٤ـ المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٤٥ـ ٤٧.

٥ـ المصدر السابق ، ج١، ص٤٨.

٦ـ الدواداري ، كنز الدرر ، ج٧، ص٥٨.

وعامة أعمال مصر ، وتغيرت رائحة الهواء ، ومات في مصر والقاهرة في أيام يسيرة عشر ألف إنسان [١]. أما في سنة ٥٨٠هـ، ١١٨٤م حدثت أزمة اقتصادية بسبب زيادة ماء النيل والتي بلغت تسعة عشر ذراعاً وثلاثة عشر أصبعاً مما أضر ذلك بالقرى وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم وغرقت البساتين والأقصاب وغطيت الثمار ، وتفسخت الأشجار وانقعر النخل وعمت الجائحة الثمار والزروع التي لم تحصد وما حصد وفاضت الآبار ، وانقطعت الترع وكثر الضرر [٢] ، أما في سنة ٥٨١هـ، ١١٨٥م فقد تعرضت مصر إلى زلزال أضر بالكثير من مبانيها [٣]، كما حدث في فترة سلطنة العزيز عماد الدين (٥٩٠ ـ ٥٩٢هـ / ١١٩٤ـ ١١٩٦م) أزمة اقتصادية حادة ، إذ يذكر المقريزي " أنه وقعت الأزمة في البقر والجمال والحمير ، فهلك منها الكثير ، وكثرت بين الأمراء إشاعة أن إقطاعياتهم تؤخذ منهم ، فقصروا في عمار البلاد ، وارتفع السعر بالإسكندرية ، ونقص ماء النيل ، شربت البلاد ، فارتفعت الأسعار وبلغ القمح كل إردب بدينارين ، وأخذ في الزيادة وتعذر وجود الخبز " [٤].

وفي سنة ٥٩٦هـ /١٢٠٠م ، في أثناء سلطنة العادل ، حدثت أزمة اقتصادية تعرضت لها الدولة الأيوبية وكان السبب الرئيسي في حدوثها قصور النيل ، واستمر ثلاث سنوات متتالية ، وقد شبه بعض المؤرخين هذا الوباء بما حدث من غلاء ووباء زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي [٥]، إذ انخفض ماء النيل حتى لم تعد الحياة كافية لزراعة الأراضي مما سبب انتشار القحط ، وتفشي الأوبئة وسوء الأحوال الاقتصادية .

١ـ أبو شامة ، الروضتين ، ج٣، ص١٢ـ ١٣.

٢ـ المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٨٦.

٣ـ المصدر السابق ، ج١، ص٩٠ـ ٩١.

٤ـ المقريزي ، السلوك ، ج١، ص١١٩.

٥ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٢، ص١٧٠. ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣، ص١١٥. الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢، ص٧٨. المقريزي ، الخطط ، ج٢، ص٨١. الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص٢٧.

وصحب هذه المجاعة زلزال حدث في الصعيد هدم كثير من الأبنية فـي مصر ومات بسببه الكثيرون [١].

وقد قام النظام السياسي في العصر الأيوبي على أساس إقطاعي يعتمد اعتماداً كلياً على الأرض كمصدر للثروة ، لذا فإن أحوال النيل نقصاً أو زيادةً تؤثر في جميع أركان الحياة [٢]. ونتيجة خطورة الأزمة التي حدثت بين سنتي ٥٩٦هـ / ٥٩٨هـ ، فقد ذكرها المقريزي بشكل مفصل " وقع الغلاء في الدولة الأيوبية وسلطنة العادل في سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م ، وكان سببه توقف النيل عن الزيادة وقصوره عن العادة فانتهت الزيادة غلى أثنتي عشر ذراعاً وأصابع ، فتكاثر مجيء الناس من القرى إلى القاهرة من الجوع ، وهب هواء أعقبه وباء وفناء ، وعدم القوت حتى أكل الناس بني آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ابنه مشوياً أو مطبوخاً ... وكان الناس قد فنوا بحيث بقي من أهل القرية الذين كانوا خمسمائة نفر ، إما نفران أو ثلاثة ، فلم تجد الجسور من يقوم بها ، ولا القرى من يعمل مصالحها ، فعدمت الأبقار ، بحيث بيع الرأس بسبعين دينار والهزيل بستين ديناراً ، وجافت الطرقات بمصر والقاهرة وقراها ، وما زرع على قلته أكلته الدودة ولم يكن رده لعدم التقاوي والأبقار ، وبلغ سعر القمح عن كل إردب خمسة دنانير " [٣]. وكان من نتائج الوباء الذي حل بمصر والقاهرة سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م أن هاجر العديد من أهالي القاهرة إلى بلاد الشام [٤].

وهذا الوضع النيل على مر العصور ، فإن أفاض أغرق وإن نضب أحرق ، ويبدو أن الحد الأمثل لفيضان النيل مابين سنة عشر وثمانية عشر ذراعاً وازداد عن ثمانية عشر ذراعاً وتزداد حدة الأزمات وشدتها كلما ابتعدنا عن هذين الحدين [٥] .

١ـ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣، ص١١٥. النويري، نهاية الأرب ، ج٢٩، ص٥. الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢، ص٧٨. الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص٢٧. ابن الفرات ، ناصر محمد عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن محمد شجاع ، (البصرة ـ ١٩٦٧) ، مج ٤، ج٢، ص١٨٢.

٢ـ الجعيدي ، العامة في مصر، ص٧٧.

٣ـ المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص٤٥ـ ٤٦. وانظر : البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص١٧٣. ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣، ص١٢٧. النويري، نهاية الأرب ، ج٢٩، ص٦.

٤ـ ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، ج٢، ص١٠٧.

٥ـ ابن مماتي ، قوانين الدواوين و ص٧٦. العامة في مصر، ص٧٨.

فانخفاض النيل يؤدي إلى جفاف الزرع وقلته الأقوات وارتفاع الأسعار وانتشار المجاعات ويعقب ذلك حدوث الأوبئة التي تفتك بالعامة ، وإذا كان هذا هو حال مصر في انخفاض النيل فهو حالها أيضاً في فيضانه الغزير ما ددام يؤدي في النهاية إلى نضوب الموارد وقلة الأقوات فترتب على ذلك ما ترتب على انخفاض النيل (١).

ويبدو أن هذه الأوضاع لم تؤثر فقط على الزراعة ، بل الصناعة لم تسلم من الضرر ، فتعطلت الصنائع وتلاشت الأحوال وفنيت الأقوات والنفوس (٢)، إذ وصفها الذهبي بقوله " وقد كان في البلد أربعمائة نوال للحياكة فلم يبق فيها نافخ نار" (٣).

وقد استمر الغلاء في مصر ففي سنة ٥٩٧هـ، ١٢٠١م حدث غلاء فادح شرع على إثره بعض سكان القاهرة على بيع أثاث منازلهم للحصول على الأقوات التي كانت تباع بأثمان مرتفعة (٤). وأما في سنة ٥٩٨هـ، ١٢٠٢م لم يزد النيل عن خمسة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرين أصبعاً وهي زيادة غير كافية لري الأراضي (٥) ، " فألف الناس الغذاء ، واستمروا على البلاء " (٦)، وأما في سنة ٥٠٠هـ / ١٢٠٣م قد انفرجت الأزمة بعض الشيء حتى بلغت زيادة النيل سبعة عشر ذراعاً فيذكر المقريزي : " وفيها زاد ماء النيل زيادة كبيرة ، ورخصت الأسعار " (٧).

١ـ الجعيدي ، العامة في مصر، ص٧٨.

٢ـ المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٤٦.

٣ـ دول الإسلام ، ج٢، ص٧٩. وانظر : البغدادي ، الإفادة ، ص١٧٨.

٤ـ ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج٤ ، ج٣، ص١٠٧.

٥ـ الدواداري ، كنز الدرر ، ج٧، ص١٥٣. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص١٦٠. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص١٦٢.

٦ـ البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص١٧٦. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، مج٤، ج٢، ص٢٤٠.

٧ـ البغدادي ، الإفادة ، ص١٧٧.

أما عن الزلازل التي ضربت مصر فلم تكن بذلك الأثر البالغ والكبير الذي تعرضت له مصر جراء الوباء الذي تعرضت له نتيجة انخفاض وارتفاع نهر النيل ، ففي سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م حدث زلزالين الأول عم أرض مصر والشام لكن دون أضرار ، فيذكرها ابن الأثير بقوله " حدثت زلزلة عمت أكثر ارض مصر والشام " [١]. وأما الزلزال الثاني فحدث سنة ٦٠٨هـ، ١٢١٢م وكانت شديدة ، فيصفها أبو شامة بقوله " كانت بمصر زلزلة شديدة ، هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر ومات خلق تحت الهدم " [٢]، يبدو أن هذه الزلزلة كانت كبيرة فتأثرت بها مصر وانهار من أثرها العديد من المنازل وتصدع البعض الأخر .

أما في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢١م في سلطنة الكامل ناصر الدين تعرضت مصر لأزمة شديدة نتيجة ارتفاع الأسعار ، الحاد الذي شهدته المدينة لانعدام التي تعرضت لهجوم من الجراد ، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل إردب [٣]، وقد أدى ذلك إلى كثرة القحط وازدياد الفسق وظهور المتسولين والسائلين [٤]، وقد وصفت هذه السنة بأنها " من أشق السنين وأشدها على أهل مصر " [٥].

يبدو أن الأحوال قد تحسنت لفترة ، ثم عادت بعد ذلك بأزمة اقتصادية أخرى في سلطنة الكامل سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣١م بسبب انخفاض نهر النيل ، فلم يزد في هذه

١ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١، ص٢٩٣. وانظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١، ص١٦١. الدواداري ، كنز الدرر ، ج٧، ص١٥٧. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، مج٥، ج١، ص١٦.

٢ـ أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ، ١٢٦٧م) ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المسمى الذيل على الروضتين ، عني بنشره عزت العطار الحسني ، دار الجبل ، (بيروت ـ ١٩٧٤) ، ص٧٨. وانظر: المقريزي ، السلوك ، ج١، ص١٧٥. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢، ص٢٥١.

٣ـ ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج٤ ، ج١، ص٣٤.

٤ـ المصدر السابق ، مج٤ ، ج١، ص٣٥.

٥ـ الدواداري ، كنز الدرر ، ج٧، ص٢٠٨. المقريزي ، السلوك ، ج١، ص١٥٧.

السنة عن ثلاثة عشر ذراعاً وثلاثة عشر أصبعاً ، فارتفع سعر الغلة [١] ، مما ادى إلى تدخل السلطان الكامل لحل تلك الأزمة فسعر القمح بعشرين درهماً * ورقاً للإردب ، وأمرهم بالبيع بهذا السعر ، ومنع الناس من شراء الكثير من المئونة ، واستمر السعر كذلك بقية السنة ، لكنه عاد بعد ذلك وأطلق سعر الغلة في ثالث محرم سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٢م ، وأمر أن يباع بالسعر الواقع ، فبيع القمح بخمسين درهماً ورقاً للإردب ، والخبز أربعة أرطال بدرهم ورق ، فنال الناس من ذلك شدة عظيمة [٢].

وقد شهد عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٧م وباء شديد تفشى في مصر واستمر ثلاثة أشهر ، ومات فيه خلق كثير ، بلغ ممن أهلك منهم على اثني عشر ألف ، سوى من مات بالريف ، علماً أن هذا الوباء لم يعرف اقترانه بانخفاض النيل [٣].

١ـ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص١٥٩. النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٩، ص١٠٥. ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج٤ ، ج١، ص٥٦.

* الدرهم الورق : هو الدرهم الخالص ، أي من الفضة إلا نسبة قليلة مما يخلط به . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٤٣٧.

٢ـ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص١٥٩. ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج٤ ، ج١، ص٥٧.

٣ـ المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٢٥٠.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الصناعـــة

أ – الصناعات النسيجية .

ب – صناعة الجلود والورق .

جـ - الصناعات الخشبية .

د – الصناعات الغذائية .

هـ - صناعة وعمل الخمور .

و – صناعة الصابون .

ي – صناعة الحصر .

ع – صناعة الزجاج والخزف والفخار .

ل – الصناعات المعدنية .

م – الصناعات الحربية .

الصنـاعــة :

قسم ابن خلدون الصنائع حسب ضرورتها إلى : صنائع بسيطة وهي الصنائع التي يحتاجها المجتمع الحضري والبدوي على حدٍ سواء كالخياطة والحدادة والنجارة والحياكة والجزارة ، إما الصنائع المركبة : وهي الصنائع الكمالية التي أوجدتها أحوال النعيم والترف وهذه تنفرد بها المجتمعات المتقدمة والمتحضرة ، فيذكر : " فإذا تحدثت المدينة وتزايدت فيها الأعمال و وقت بالضروري و زادت عليه صرف زائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش " (١)

ويذكر أيضاً : " وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله فإنما يوجد في المدن المستبعدة في العمارة والآخذة في عوائد الترف والحضارة ، مثل الزجَّاج والصائغ والدهان والطباخ والصفار والدياج وأمثال هذهِ وهي متفأوتة وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة ، وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع " (٢)

فالصناعة لغةً مأخوذة من الفعل صنع ، أي صنع الشيء يصنعه صنعاً فهو مصنوع ، وصنيع ، واستصنعت الأمر دعوت إلى صنعه ، والصناعة ما تستطيع من احد ، وقد صنعته فهو صناعتي ، أي اتخذته صناعة (٣) ، وهي حرفة الصانــع

١- ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٦ م) ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الواحد وافي ، وعلي عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، (د . م – ١٩٦٦) ، ج ٣ ، ص (٩٢٣ – ٩٢٤) . وانظر : صباح الشيخلي ، إبراهيم ، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي ، دار الحرية ، (بغداد – ١٩٧٦) ، ص ٣٠ .

٢- ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٣ ، ص (٨٨٤ – ٨٨٥) .

٣- ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ ، ١٠٦٥ م) ، المخصص ، تحقيق خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٩٦) ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

وعمله المصنعة ، و رجل صنيع اليدين ، و صنع اليدين ، أي صانع حاذق بعمل اليدين ، وامرأة صناع اليدين ، أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين (١) ، والصناع (جمع صانع) هم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم . (٢)

إما المعنى اصطلاحـــاً فهي " عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته ، ويكون مما يغير في ذات المصنوع ، كالطحانة والخبازة والطباخة ، أو في صنعته كالنجارة والحدادة والصياغة ، وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير مادته " . (٣)

بما أنه قد عرفنا الصناعات يجب أن ننوه إلى الحرف باعتبارها من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمع الإسلامي إلى جانب الصناعة ، فالحرفة في اللغة أسم من الاحتراف وهو الاكتساب ، ويقال هو يحرف لعياله ويحترف ، بمعنى يكتسب من ها هنا و ها هنا ، وقيل الحرفة هي الصناعة والمحترف هي الصانع ، وفلان حريفي ، أي معاملي ، وحرفة الرجل صنيعته أو صنعته ، وحرف لأهله واحترف ، بمعنى كسب وطلب واحتال ، وقيل : الاحتراف : هو الاكتساب أيــــاً كان . (٤)

إما الحرفة في المعنى الاصطلاحي هي : الطعمة والصناعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب ، وكل ما اشتغل الإنسان به ، فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفه لأنه ينحرف إليها ، يقولون : صنعة فلان أن يعمل كذا ، وحرفة فلان أن يفعل كذا . (٥)

١- ابن منظور ،لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٢٠٩ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢١ ،ص ٣٦٤ .

٢- الأزهري ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الله درويش ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د . م – د . ت) ، ج ٢ ، ص ٣٨ . ابن سيده ، المخصص ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

٣- الشويذي ، ظاهر خير الله ، الحرفة وتوابعها ، مجلة المقتطف ، (د . م – ١٩٠٤ م) ، مج ٢٩ ، ج ١ ، ص (٥٧ – ٥٨) .

٤- ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٤٤ .

٥- الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢٣ ، ص (١٣٣ – ١٣٤) .

من مفهوم الصناعة ، حيث يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان ، فالحرفة هي " الطعمة والصناعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب " ، " والاحتراف هو الاكتساب أيـــاً كان " (١) ، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان ويتصرف للكسب حتى تشمل التجارة ، والزراعة ، وتعليم العلوم ، والسمسرة ، والطبابة والطباخة في الأسواق ، والخياطة ، والصباغة والدباغة والوراقة والحدادة والصياغة والبناء . (٢)

وقد ازدهرت الصناعة في مصر في العصر الأيوبي ومن هذه الصناعات :

أ – الصناعات النسيجية :

بلغت مصر درجة كبيرة من الرقي في صناعة النسيج التي اشتهرت في الوجه القبلي والبحري ، وحذق المصريون في هذه الصناعة منذ العصور القديمة وتقدمت على أيدي المصريين الأقباط متأثرة في الوقت نفسه بالأساليب الزخرفية الساسانية والبيزنطية ، ظل هذا التقدم مستمراً في العصر الإسلامي .

إذ بقيت الصناعة في يد أهل البلاد سواء اعتنقوا الإسلام أو ظلوا على نصرانيتهم لذلك وجدت المراكز الرئيسية لصناعة النسيج في الجهات التي يكثر فيها الأقباط (٣) ، إذ احتلت صناعة المنسوجات الكتانية مكانة بارزة في المجتمع المصري ، فيذكر المقدسي " لا نظير لكتانهم وصوفهم ونبرهم " (٤) ، وساعد على ذلك وفرة المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة ، وهي الكتان الذي كان يزرع في معظم أنحاء مصر (٥)

١- ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٤٤. الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢٣ ، ص ١٢٣

٢- الشويدي ، الحرفة وتوابعها ، ص ٥٧ .

٣- الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص ٥١ .

٤- أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ .

٥- Goitein , S . D ,, : The main industries of the Mediterranean area as reflected in the record of the cairo Geniza . (1961) , p . 178 .

مع شهرة بعض المناطق دون غيرها بزراعته . فيذكر العمري في ذلك " وفي مصر الكتان المعدوم المثل المنقول منه ، ومما يعمل من قماشه إلى سائر أقطار الأرض " (١) ، وقد تركزت صناعة المنسوجات الكتانية في مناطق زراعة الكتان بالدرجة الأولى ، وكان لوجود العمال والصناع المهرة من القبط الذين تخصصوا في مثل هذا النوع من الصناعة اثر بالغ في تطورها وتقدمها في مصر . (٢)

وكانت أهم مراكز لتصنيع المنسوجات هي مدينتي تنيس ودمياط ، حيث برز سكانها في عمل الثياب الملونة والفرش النادرة فضلاً عن حياكة الثياب المصنوعة من الكتان (٣) . فقد اشتهرت مدينة تنيس بصنع الثياب الشروب * التي لا يصنع مثلها في الدنيا إذ كان يصنع فيها العمائم عن طريق القصير الملون (٤) ، كذلك اشتهرت تنيس و دمياط بصناعة الثياب الدبيقية ** التي تميزت بها عن غيرها ، إذ قيل عنهما انه ليس في جميع الأرض ما يدانيها في الحسن والقيمة ، وربمـا يبلـغ

١- مسالك الأبصار ، ج ٢ ، ص ١٨ .

٢- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٢ . البكري ، أبو عبيد (ت ٤٨٧ هـ ، ١٠٩٤) ، المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، بيت الحكمة (تونس – ١٩٩٢) ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥١ . القزويني ، أثار البلاد ، ص ١٩٣ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣٧ .

٣- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٥٥ .

* الشروب : هي منسوجات كتانية رقيقة ناعمة الملمس تدخل في لحمتها خيوط الذهب . ينظر : ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام (ت ٦١٢ هـ ، ١٢١٥ م) ، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، ط ١ ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٢) ، ص ١٢٩ .

٤- اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٧٦ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .

** الدبيقي : نوع من الأقمشة الكتانية الموشاة بالحرير والذهب . انظر : ناصر فرد ، سفرقامة ، ص ١١٢ .

الثوب من ثيابها إذا كان مذهباً ألف دينار أو نحو ذلك ، وما لم يكن فيـه ذهب المائة والمائتين ونحوها وأصولها من الكتان (١) .

وكان أكثر أهل تنيس مياسر وأصحاب ثراء ، وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الكتان في السدى واللحمة غير أوقيتين ونسيج باقية بالذهب صناعة محكمة لا يحتاج إلى تفصيل ولا خياطة وتبلغ قيمته ألف دينار (٢) . ولشهرة تنيس بدقة نسيجها كان يصنع بها كسوة الكعبة ثم ترسل إلى مكة المكرمة (٣) ، واستمر صناعة النسيج في تنيس ، ونجح فيه البوقلمون * الذي لا ينجح في مكان آخر في العالم (٤) ، وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب (٥) . كما كانت تصنع منه أستار هوادج الجمال ولبود ** سروج الخيل الخاصة بالسلطان (٥) .

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٣ . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٨٨ . ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٨١ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص (٥١ – ٧٣) . العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

٢- البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣٧ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٨٤ .

٣- التنيسي ، أنيس الجليس ، ص ١٥١ . ابن اياس ، نزهة الأمم ، ص ١٨٦ .

* البوقلمون : ضرب من الثياب يكون ألواناً للعيون ، وقيل ثوب يتراءى إذا طلعت الشمس عليه بالوان شتى . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٩ ، ص ٣٠١ .

٤- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥١ .

٥- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٩٢ .

** لبود : كل شعر أو صوف متلبد بعضه على بعض فهو لبد ، واللبد : ما تحت السرج ، ويقال ألبد السرج إذا عمل له لبدة ، وفي الأفعال : لبدت السرج والخف لبداً وألبدتهما : جعلت لهما لبداً . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٣٨٦ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .

٦- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٩٢ .

وكانت مصانعها تنتج القصب * الملون ، إذ كان هذا القصب لا ينسج إلا بتنيس ، إما الأبيض فينسج بدمياط (١) ، فيذكر ياقوت الحموي ذلك بقوله " لا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس ابيض " . (٢) ومن المناطق الأخرى التي اشتهرت بصناعة الكتان هي الدميرة ** وفيها صناع كثرة ويعمل بها ثياب حسنة يتجهز بها إلى كثير من البلاد (٣) . كذلك اشتهرت المحلة *** بصناعة المنسوجات الكتانيـــة . (٤) ، ومدينة سنباط **** معظم زراعتها الكتان ، وأهلها ينسجون منه القماش السنباطي والأثواب الناعمة التي لا نظير لها (٥) ، وهناك عدة مناطق لصناعة الكتان منها سمنود *****

---

* القصب : ثياب تتخذ من كتان رقاق ناعمة . ينظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ . ماهر ، سعاد ، النسيج الإسلامي ، (القاهرة – ١٩٧٧) ، ص ٤٤ .

١- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣١ .

٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ . وانظر : القزويني ، اثار البلدان ، ص ١٩٣ .

** الدميرة : قرية كبيرة بحصر قرب دمياط . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ .

٣- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

*** المحلة : المحلة الموضع الذي يحل به وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية وهي عدة مواضع . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٦٣ .

٤- ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، ص ٥١٨ .

**** سنباط : يقال لها سنبوطية و سنموطية بليد حسن في جزيرة قوسنيا من نواحي مصر ومزارعها كتان وبها سوق عامرة وتجارات وأرباح وأموال محدودة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٦١ . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

٥- بنيامين التطيلي ، الأندلسي (ت ٥٦٩ هـ ، ١١٧٣ م) ، رحلة بنيامين ، ترجمة عذرا حداد ، مطبعة الشرق ، (بغداد – ١٩٤٥) ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

***** سمنود : بلد من نواحي مصر جهة دمياط وهي مدينة أزلية ، على ضفة النيل بينها وبين المحلة ميلان يضاف إليها كورة فيقال كورة السمنودية . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

فيها من الكتان الذي يحمل إلى سائر بلاد الإسلام (١) ، إذ كان في القاهرة أعداد كبيرة من الحاكة فرضت عليهم ضرائب ، وقد بلغ مقدار ما حصله والي القاهرة من الحاكة النصارى سنة ٦١٦ هـ ، ١٢١٦ م ، مبلغ ١٣٠٠ دينار . (٢)

إما الفيوم فقد اشتهرت هي الأخرى بصناعة المنسوجات الكتانية حيث كان بها " طرز مشهورة " (٣) ، رغم أن كتان الفيوم كان اقل جودة من غيره (٤) لأنه في غاية الخشونة والغلظ ، قليل البقاء عن استعماله بخلاف ما حوله من البلاد (٥) . وكان يسكن في الفيوم الصناع وأرباب الحرف والنساجون خاصة (٦) .

كما اشتهرت مدينة البهنسا بصناعة طراز الستور فقيل عنها " وبها طراز الستور الذي يحمل منه إلى الأفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا رئيس " (٧)

إذ كان ينسج بها المطرز والقطع السلطانية – ضرب من الثياب الموشاة – والمضارب الكبار ، والثياب المحبرة ، وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعاً ، وقيمة الزوج منه مائتي مثقال ذهب " (٨) ، إما مدينة القيس *

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٣ .

٢- سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٣١ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٩ .

٤- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ .

٥- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ٨ .

٦- ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، ص ٦١١ .

٧- ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٤١ .

٨- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٠ . ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٨١ . الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٤٠ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١١٤ .

* القيس : من البلاد التي تجأور البهنسا ، وسميت قيس لأنه فتحها كان على يد قيس بن الحارث المرادي فسميت به . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٢٢ .

المجأورة للبهنسا تصنع الثياب القيسية . (١)

وتعد المنسوجات الكتانية اشهر المنسوجات المصرية بسبب انتشار زراعته في جميع أنحاء مصر حتى قيل انه في ايام المجاعات كان الناس لا يجدون شيئاً يأكلونه سوى بذر الكتان . (٢)

إما المنسوجات الصوفية فقد راجت هي الاخرى في مصر بعد الكتانية من حيث الاهمية ، وذلك لتوفر المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة من اصواف الاغنام التي اعتاد اهل مصر تربيتها وخاصة في الصعيد (٣) ، إذ تميزت مصر بانتاج انواع ممتازة من المنسوجات الصوفية ، إذ اشتهرت مدينة القيس بانتاج ثياب الصوف الجيدة (٤) ، إما مدينة طحا * فتصنع بها ثياب الصوف الرفيعة (٥) ، كما اشتهر اهل اسيوط بنسج عمائم من صوف الخراف الذي لا مثيل له ، والصوف الرقيق الذي يصدر الى بلاد العجم والمسمى الصوف المصري (٦)

كذلك استخدم الصوف كملابس للفلاحين في صعيد مصر ، كالجبة وهي عبارة عن كساء صوف ثخين ، غامق اللون مسدود كالثوب وبأكمام واسعة (٧) ، إما العباءة وهي كساء صوفي عريض ، مخطط بخطوط مختلفة الالوان يستخدمها الفلاح كغطاء في الشتاء وفراش في الصيف (٨) .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٥١١ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٨٥ .

٢- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٢ .

٣- ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣١ .

٤- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٢ . ابن حوقل ، ص ١٤٩ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

* طحا : وهي كورة بمصر شمالي الصعيد في غربي النيل ، يعمل بها وفي طرزها ستور صوف و اكسية صوف . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٢ . الادريسي ، ج ١ ، ص ٣٨ .

٥- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٢ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٤٩ .

٦- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٣١ . الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٦٠ .

٧- الشربيني ، هز القحوف ، ص ١٧٩ . دوزي ، معجم الملابس ، ص ٩٢ .

٨- الشربيني ، هز القحوف ، ص (٢١٠ – ٢١١) .

إما الشمار فهو عبارة عن قطعة من الصوف يضعها الأطفال على أكتافهم ، ويكون لها أهداب مائلة يزينونها ببعض العقد أو الحرير المملون (١) ، كذلك المئزر الذي يصنع من الصوف الخشن ويلفه الفلاح على رأسه اثناء العمل (٢) ، والقحف هو لباس طويل من الصوف أو الشعر (٣) ، إما صناعة المنسوجات الحريرية في مصر ، فيبدو انها كانت قليلة مقارنة بالمنسوجات الكتانية والسبب في ذلك هو ان المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة والقائمة على دودة القز لم تكن متوفرة بكميات كبيرة بمصر (٤) ، إذ كانت تستورد من خارج مصر . إما اشهر انواع المنسوجات الحريرية ، العتابي * والخز ** والسقلاطون *** والديباج **** والوشى ***** وثياب الحرير الابيض (٥)

١- الشربيني ، هز القحوف ، ص ٢٦٧ .

٢- الشربيني ، هز القحوف ، ص ١١٧ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ .

٤- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ص ١٨ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

* العتابي : زينة الى العتابية وهي محلة من محلات بغداد ، يصنع بها الثياب العتابية وهي حرير أو قطن مختلفات الالوان . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٨ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .

** الخز : صنف من الحرير تتخذ منه ثياب معينة ، وقد سمي الحرير نفسه خزاً. ينظر : النويري الاسكندراني ، محمد بن قاسم بن محمد ، (ت ٧٥٥ هـ ، ١٣٧٢ م) ، الالمام بالاعلام فيما حيرت به الاحكام ، تحقيق اتيبت كومب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اياد الدكس ، (الهند ١٩٦٩) ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ .

*** السقلاطون : نوع من قماش الحرير المغشى بخيوط الذهب ، وهو من المنسوجات التي اشتهرت به في الاصل بلاد الروم ، وانتقل الى مصر زمن الخليفة الفاطمي العزيز بالله في اعقاب الصلح الذي عقده مع الروم سنة ٣٧٧ هـ . ينظر : ابن الطوير ، نزهة ، ص ١٢٩ .

**** الديباج : نسيج مقصب بخيوط الحرير والذهب . ينظر : ابن الطوير ، نزهة ، ص ١٢٩ .

***** الوشى : نقش الثوب ويكون من كل لون . ينظر : الفيروز ايادي ، القاموس المحيط ، ص ١٨٧٦ .

٥- ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٧٦ ، ١٣٠ .

ففي منطقة تنيس يصنع الوشى الذي يقوم مقام وشى الكوفة (١) ، واشتهرت الاسكندرية بنسج ثياب الخز والمنسوجات الحريرية الرائعة (٢) ، وقد كانت هناك بمصر عدة مصانع لانتاج الانواع الفاخرة من الديباج ، والذي يتم تصنيعه في دار الديباج * التي أختصت بعمل هذا النوع من الحرير . (٣)

إما المنسوجات القطنية فقد امتازت بعض المناطق دون غيرها بانتاجها ، كالفيوم الذي بلغ انتاجها من القطن لسنة ٦٤١ هـ ، ١٢٤٣ م ، ٤٤ قنطاراً (٤) ، ويصنع فيها الثياب القطنية ، العرض القطني ، وهو عبارة عن نوع متواضع من الثياب (٥) ، إما في البهنسا فتصنع الثياب المتخذة من القطن والصوف (٦) ، وفـــي تنيس نوع من الاقمشة القطنية المسمى بـ (المقصور) وهي ثياب من نسيج ابيض من القطن ، والذي يبلغ ثمن الثوب منه خمسمائة دينار (٧) ، وفـــي دمياط يصنع القصب والمقصور والذي يبلغ ثمن الثوب منه مائة دينار (٨)

١- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

٢- النابلسي ، لمع القوانين ، ص ٥٣ . الشويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٩٩ .

* دار الديباج : دار الوزارة الفاطمية القديمة التي انشأها الوزير يعقوب بن علي وظلت مكان سكن الوزارة الى وقت قدوم بدر الجمالي فانتقل الى دار اسمها بحارة برجوان واصبحت دار الوزارة القديمة بحارة الوزيرة تعرف بدار الديباج ، فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس في مكانه المدرسة السيفية . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .

٣- ابن الطوير ، نزهة ، ص ٣٩ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ .

٤- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ٢٣ .

٥- الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٦٠ . موسى ، الحياة الاقتصادية ، ص ٣٤٦ .

٦- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١١٤ .

٧- ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٥٢ .

٨- المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

وإما الفوط القطنية فقد اشتهرت بها الإسكندرية [١] .

كان النسيج في مصر صناعة اهلية فرضت عليها الدولة رقابة شديدة وضرائب فادحة ، وللكن ذلك لم يمنع وجود صناعة للنسيج ازدهرت في المصانع الحكومية التي أطلق عليها الطراز * ، وكانت هناك نوعان من الطراز ، طراز الخاصة و طراز العامة [٢] ، إما طراز الخاصة فقد اختص بصناعة ملابس السلطان وخواصه ، والخلع التي تخلع على القواد والعلماء وكبار رجال الدولة ، والهدايا التي ترسل للملوك [٣] ، كما كـــان يتم تعيين مشرفاً يسمى " صاحب الطراز " [٤] ، فإذا ما عدت الاستعمالات الخاصة التي منها المظلة ** وبدلتها البدنة *** ، واللباس الجمعي (الذي يلبس يوم الجمعة) ، حملها ناظر الطراز إلى القاهرة .... وإذا أعاقته ظروف العمل أو غيره من التوجـــه الى القاهرة بنفسه أنـــاب

١- ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٣٠ . النويري الاسكندراني ، الإلمام ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

* الطراز : كلمة فارسية الاصل تعني ففي الاصل المدبج اي الزخرفة التي تزين الثوب ، أو المشى والمزركش ، ثم اصبح يقصد بها ، بعد ذلك ملابس الخليفة الرسمية ، وتطلق كذلك على ملابس كبار الشخصيات المطرزة ، وعلى الاخص المزدانة بشرائط الكتابة المزركشة ، وتطلق اخيراً على الدار التي تصنع هذه الملابس والمنسوجات . ينظر : ابن المأمون ، جمال الدين ابو علي موسى البطائمي (ت ٥٨٨ هـ ، ١١٩٢ م) ، اخبار مصر ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي ، اثار الشرقية ، (القاهرة – ١٩٨٣) ، ص ٢٢ . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٠١ . . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٦ .

٢- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٠ . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٠٢ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٠ . المقريزي ،الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧ ، ٣٠٠

٤- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٣٠ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨١٦ .

** المظلة : هي قية من حرير مزركش بالذهب كانت تحمل فوق رأس الخليفة في المواكب وتشابه لون الثياب التي يلبسها . ينظر : ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٢٣ .

*** البدنة : هي ثوب نسيج للخليفة خاصة ليس فيه من الغزل إلا أوقيتين وباقيه ذهب مغزول . ينظر : البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٩٤ .

عنه شخصاً آخر يشترط أن يكون ابنه أو أخوه . [١]

إما دور الطراز العامة ، وهي المصانع الأهلية ، إذ اشتهرت هذه المصانع بجودة وإتقان منسوجاتها ، حتى أن التاجر كان ينقص من ثمن الثياب التي يعلم مخروجها من هذه المصانع قبل ان تتم ولو بشبر واحد ، فيذكر ياقوت الحموي في ذلك " مإذا عمل بها ثوب وبقي منها شبر ونقل من هذه المعامل ، علم السمسار المبتاع للثوب فينقص من ثمنه ، لاختلاف جوهر الثوب " (٢) . وكانت هذه المصانع تعمل تحت اشراف و رعاية الدولة ويتضح ذلك من وصف المقدسي لصناعة المنسوجات في شطا * بقوله : " وإما الثياب الشطوبة فلا يمكن للقيطر – ان ينسج منها شيئاً منها إلا بعد ما – يختم عليها بختم السلطان ، ولا ان يبتاع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت مايباع في جريدته " (٣) .

وقد انتشرت دور الطراز في مصر والاسكندرية " وبها معامل البز والقماش والطراز الفائق المثل " (٤) وفي محلة الداخل ودميرة (٥) ، وفي منطقة البهنسا دور للطراز الخاصة وطراز العامة (٦) .

ارتبطت صناعة الاصباغ ارتباطاً وثيقاً بصناعة النسيج منذ بدايتها ، التي ازدهرت ازدهاراً كبيراً في العصور الاسلامية فكان لها مراكزها الصناعية المعروفة والشهيرة ، والتـــي

١- ابن المأمون ، أخبار مصر ، ص (٩٨ – ١٠٠) . ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص (١٠٢ – ١٠٣) .

٢- معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ . وانظر : القزويني ، اثار البلاد ، ص ١٩٣ .

* شطا : بلدة بمصر ينسب اليها الثياب الشطوبة ، يعمل فيها الثوب الرفيع الذي يبلغ الثوب منه ألف درهم ولا ذهب فيه ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .

٣- احسن التقاسيم ، ص ١٩٨ .

٤- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ص ٨٨ . النويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ٢ ، ص ١٨٢ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٥٨ .

٥- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .

٦- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٠ . ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٨١ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٦٠ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١١٤ .

لا يزال بعضها محتفظاً بمكانته المرموقة ، ونمت صناعة الأصباغ بطريقة متوازية مع صناعة النسيج وعاشتا دائماً معاً ، ومن الطبيعي ان تزدهر الصناعة من نسيج واصباغ وغيرها ، حيث توجد موادها الأولية وتكثر . (١)

إما عن صباغة المنسوجات وزخرفتها ، وتستخرج الالوان من النباتات التي تدخل في صناعة الاصباغ كالنيلة وحويتات يميل لونه الى الغبرة والزرقة تستخلص منه صبغة زرقاء وتنحصر زراعته في الصعيد (٢) ، والواحات (٣) ، وبعض قرى الفيوم (٤) ، إما اللون الاصفر والذهبي فيستخلص من الزعفران والعصقر وقشر الرمان (٥) ، إما الصبغة الحمراء فمن جذور نبات القوة تستخلص هذه الصبغة . (٦) ، إما الاصباغ غير النباتية فمنها الشب الذي يوجد في الصعيد (٧) ، والواحات (٨) ، ويستخدم في صبغ الثياب باللون الاحمر . (٩) ، وتثبيت الالوان على الاقمشة . (١٠)

١- الشكيل ، علي جهان ، صناعة الاصباغ في الحضارة الاسلامية ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد ٣٢ ، مطبعة دبي ، (الإمارات – ٢٠٠١ م) ، ص ١٤٧ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٢٥٤ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٢ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٧٨ .

٤- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ١٢٩ ، ١٤٣ .

٥- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص (٤١١ – ٤١٥) .

٦- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٧٢ . ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية ، ج ٣ ، ص ١٦٩ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٥٠ . ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله الاندلسي (ت ٦٤٦ هـ ، ١٢٤٨ م) ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، مطبعة محمد باشا توفيق (القاهرة – ١٢٩١ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

٧- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٢٩ .

٨- المصدر السابق ، ص ٣٢٨ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢٢ ، ص ١٢٤ .

٩- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٣١٣ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

١٠- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص (٣٣٤ – ٣٣٥) . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .

إما اللون الاحمر فيستخلص من النطرون ، أضافة الى الاقصر الذي هو اكثر استعمالاً (١) . وإماكن استخراجه الطراقة (٢) ، روأدفوا بالصعيد (٣) . كذلك يستخرج اللون الاحمر من القرمز * ، واشتهرت اسيوط بعمل الفرش القرمز الذي يشبه الارمني (٤) .

ويبدو ان المصانع كانت تقام خارج اسوار المدن ، وذلك تفادياً للروائح الكريهة (٥) ، فيصف البكري دمياط بقوله : " وبقربها موضوع يعرف بالصحراء فيه يقصد القصارون (الصباغون) ثياب الشروب ، وهي تكتفي اليوم عند اعتدال هوائهم ، وموافقته لهم بقصارة اليوم الواحد فيبيض " . (٦)

وكانت لصناعة المنسوجات في مصر الايوبية آدابها وقواعدها المرعبة التي يربون الصناع على أسسها ، فكان المحتسب يتابع ناسجي القماش ويأمرهم بجودة الصناعة و دقة الغزل ، ويمنعهم من غش الناس أو ستر عيوب القماش ، إذ كان على ناسجي القماش ان يأخذوا القماش من الناس بالوزن ، وبعد نسجه يرد الى صاحبه بالوزن أيضاً لنفي التهمة عنه ، كما كان المحتسب يرشدهم الى اعطاء الطريق حقه وعدم مضايقة المارة بمد النسيج في الطرقات . (٧)

كذلك يجب مراعاة الطهارة والنظافة عند هؤلاء الصناع ، فيضعون على باب الدكان حجراً منقوراً يصب فيه الماء للوضوء أو ليستعملوه فيما يتعلق بصناعة

١- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٣٤ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٣٤ .

٣- الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٤٤ .

* القرمز : صبغ أرمني أحمر يقال انه من عصارة دود يكون في آحاجم ، ويقال انه حيوان تصبغ به الثياب فلا يكاد ينصل لونه ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٤ .

٤- اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٧٠ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣١ .

٥- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٦ .

٦- المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

٧- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٦٥ .

النسيج ، وكانوا يكلفون بجعل أغطية لها من الخشب ، أو بغسلها كل يوم سبع مرات إحداهن بالتراب خوفاً من أن يكون الكلاب قد جاءته وولغت فيه بعد انصراف صاحب الحانوت . (١)

كما طالب المحتسب الصناع الذين يعملون في الحرير ، بمخافة الله ومراقبة الضمير في أداء صناعتهم ، كذلك لعمال الصباغة قوانين وأصول يراعونها منعاً من غش الناس في صناعتهم ، فكان يحذرهم من صبغ الثياب بالحناء عوضاً عن القوة ، لان الصبغ بالحناء إذا أصابته أشعة الشمس تغير لونه و زال إشراقه (٢) ، وان لا يصبغوا حرير القز قبل تبييضه لئلا يتغير لونه بعد ذلك ، " ومنهم من يثقل الحرير بالنشا المدبر ، ومنهم من يثقله بالسمن والزيت " . (٣)

كما أن بعض الصباغين كانوا يستعملون العفص * والزاج ** في صباغة الثياب المراد صبغها باللون الكحلي ، فتخرج الثياب صافية اللون شديدة السواد ، فإذا مضت عليها أقل مدة تعود الى اصلها ويتغير لونها . (٤)

وقد اشتهرت عدة مناطق بصناعة الاصباغ في مصر ، منها تنيس إذ وصفت بان فيها المصبغات من الحلل التنيسية التي ليس في جميع الارض ما يدانيها في الحسن والقيمة (٥) ، كذلك اشتهرت الفيوم بكثرة حوانيت الصباغين فيها (٦)

١- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٦٦ .

٢- المصدر السابق ، ص ٧٢ .

٣- الشيرزي ، المصدر السابق ، ص ٧١ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٤١ .

* العفص : ثمر شجر يكون احمر اللون عند نضجه ، فيجفف ويسحق وكان يستخدم في الاضمدة والصباغة . ينظر : ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

** الزاج : مادة معدنية يمكن تحليلها بالماء والطبخ ، وتوجد في العادة مخالطة لاحجار لا تقبل التحليل . ينظر : ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

٤- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٧٢ .

٥- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٤٠ . التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٧٩ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٤٦ .

٦- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ٢٨ .

كما تتطورت صناعة المنسوجات و زخرفتها في العصر الاسلامي تطوراً منتظماً ، حيث بدأ الاستغناء شيئاً فشيئاً عن الرسوم الادمية والحيوانية التي كانت في الفن القطبي ، واستعيض عنها بزخارف هندسية كما بدأت الكتابة تلعب دوراً مهماً في صناعة المنسوجات (١) . إذ برع اهل تنيس في ختم الزخارف وطبعها على المنسوجات ، فاستخدموا لذلك طريقة " الحجارة المنقوشة لضرب الثياب ونقائها وتلوينها " . (٢)

ويبدو ان الحروب الصليبية قد اثرت تأثيراً كبيراُ سلبياً على صناعة النسيج وصناعة وبخاصة في المدن الساحلية التي كانت عرضة لهجمات الصليبين وغاراتهم ، فقد أضطر صلاح الدين ان يأمر بأخلاء تنيس ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م ، (معقل من معاقل صناعة النسيج) ونقل اهلها الى دمياط ولم يبقى بها سوى المقاتلة في قلعتها (٣) ، ثم استولت عليها القوات الصليبية ٦١٦ هـ ، ١٢١٩ م وبعد جلائهم أمر الملك الكامل بتخريبها خوفاً من وقوعها في ايدي الصليبين . (٤)

صناعة الجلود والورق :

كانت الجلود في أول تصنيعها تخضع لعملية اخذ ما عليها من صوف أو شعر ، وقد استخدمت مواد مساعدة تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة مثل مادة الجير وكانت له مواقد خاصة في تنيس . (٥)

إما المرحلة الثانية فهي دباغة الجلود التي تتم خارج اسوار المدن ، لما ينشأ عنها من روائح كريهة (٦)

١- مرهج الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص (٥١ – ٥٢) .

٢- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٦ .

٣- المصدر السابق ، ص (١٧٢ – ١٧٣) . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٢ .

٤- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٢ .

٥- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٥ .

٦- المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

وكان الدباغون يستعملون ثمار شجر القرظ في دبغ الجلود ، " يؤخذ ثمر القرظ فيطحن ويعجن بماء الصمغ وتدبغ به الجلود " (١) ، إما عن اشهر المصنوعات الجلدية في العصر الايوبي ، الانطاع * التي كانت تمتاز بجودتها ومتانتها ، واشتهرت الصعيد بصناعتها (٢) ، وكانت الانطاع تجلب من البهنسا (٣) ، وكانت تصدر الانطاع المستحسنة الى بلاد الشام لجودة صناعتها في الفسطاط . (٤)

وقد عرفت مصر صناعة ألجم الخيل وسروجها ، فاختصت دلاحد بصناعة اللجم المنسوبة صناعتها اليها (٥) . إما صناعة الاحذية الجلدية بانواعها المختلفة ومنها الخفاف ** إذ يقال لصانعها الخفاف والخراز والاسكافي (٦) ، إما الخفاف الناعمة التي كانت تصنع من طير الحواصل *** فقد اشتهرت مصر بصناعتها (٧) ، كما كان هناك نوعاً من الخفاف التي يلبسها النساء تعرف باسم " الخفاف الصرارة " وقد نهى المحتسب الاسكافية عن صنعها ، ونهـى النسـاء عن لبسها فــي الاسواق ،

١- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ٩٠ .

* الانطاع : هي بسط من الجلد الاحمر المدبوغ . ينظر : الفيروز ايادي ، القاموس المحيط ، ص ٩٩١ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٥ ، ص ٥٢٦ .

٢- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

٣- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٢ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

٥- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣١ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٣٦ .

** الخفاف : جمع خف ، وهو حذاء قصير يصنع من الجلد ، يلبسه الرجال والنساء على السواء . ينظر : الشيرزي ، نهاية الرتية ، ص ٧٣ .

٦- الشيرزي ، نهاية الرتية ، ص ٧٣ .

*** طير الحواصل : وهي صنفان ابيض واسود ، الاسود كريه الرائحة لا يكاد يستعمل ، والابيض اجود واطيب رائحة . ينظر : العمري ، مسالم الابصار ، ج ٢١ ، ص (٧٠ – ٧١) . ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

لانها تصدر اصواتاً مميزة ، تلفت الانتباه . (١)

ومن الصناعات الجلدية الاخرى ، الكمرانات * ، وخرائط الجلد والسيور من الجلد الاسود ، وقد اشتهرت الفسطاط بصناعتها إذ كانت تصدر الى الشام (٢) ، كذلك هناك وعاء من الجلد يطلق عليه الجراب يستخدم لحفظ الاشياء الجافة كالدقيق (٣) . اضافة الى صناعة الروايا ** والقرب من جلود الماعز وغيرها من الاغنام لنقل مياه الشرب من النيل ، وذلك لانتشار حرفة السقائين في مصر (٤) ، إذ يذكر المقدسي " ولهم مشارب على شط النيل يحملون منها الماء في الروايا والقرب " (٥) ، إذ كان هناك عدد كبير من السقاؤون في مصر أحصاهم ناصر خسرو " ان في القاهرة اثنين وخمسين ألف جمل يحمل السقاؤون عليها الروايا " (٦)

١- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٧٣ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص١٦٠ .

* الكمرانات : جمع كمر ، وهو حزام جلد يلبسه السلاطين والامراء والجنود فوق ملابسهم . ينظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص (٣١٣ – ٣١٤) .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

٣- الشربيني ، هز القحوف ، ص ٢١٤ .

** الروايا : جمع رواية وهي وعاء مصنوع من جلد الثور يسع اربع قرب ، والقربة سعة جلد ماعز من الماء ، ويحمل الجمل رأويتين عادة ، . ينظر : ابن الحاج ، المدخل ، ج ٤ ، ص (١٧٨ – ١٧٩) . الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ١٣ .

٤- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٧. المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٢٢ .

٥- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٠٦ . ابن بطوطة ، رحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

٦-

إما صناعة الورق فقد بدأت صناعته بالازدهار بعد انقراض انتاج البردي ، وكانت القاهرة والسفطاط من اشهر المدن في صناعة الورق ، التي اعتمدت على مادة الكتان المخلوط مع القطن والخرق البالية وعرفت انواع عديدة من الورق من بينها الورق الابيض الثقيل ونوع آخر كان اسمر اللون خشن الملمس . (١)

وقد صحب صناعة الورق فن تجليد الكتب واستخدم الصناع جلود العجول كما استخدموا الحرير والديباج والاطلسي في تجليد المصاحف بصفة خاصة . (٢) وكان بمصر في العصر الايوبي سوق خاص ببيع الورق يعرف بسوق الوراقين ، وكانت تباع فيه انواع عديدة من الورق في مقدمتها القراطيس التي كانت عبارة عن ورق مصقول لوضع السلع من الحبوب وغيرها بداخله . (٣)

الصناعات الخشبية :

تعد الصناعات الخشبية ضرورة من ضروريات الحياة التي لا يمكن لأي مجتمع الاستغناء عنها لاستخدامها في كافة مجالات الحياة . غير ان الاخشاب لا تقوى على البقاء لتأثرها بالمياه والعوامل المناخية الاخرى ، مما يجعلها قابلة للكسر والتلف ثم الزوال .

وقد نالت الصناعات الخشبية في مصر مكانة هامة وذلك لوفرة الاخشاب اللازمة لهذه الصناعة (٤) ، كذلك اهتمـام الدولـة بتأمين الاخشاب اللازمـة لبعض

١- ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ج ٤ ، ص ١٠٨ . الشكيل ، علي جهمان ، صناعة الورق في الحضارة الاسلامية ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دائرة البحث العلمي والدراسات ، مطبعة دبي ، (الإمارات – ٢٠٠٠) ، العدد ٣١ ، ص ١١٨ .

٢- مرهج الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص ٥٨ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

٤- البكري ، المسالم والممالك ، ج ٢ ، ص ٨٩ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٦ . النابلسي ، لمع القوانين ، ص (٤٨ – ٤٩) . القزويني ، اثار البلاد ، ص ١٤٩ .

الصناعات كصناعة بناء السقف ، إذ قامت بأستيرادها من المدن الايطالية [١] ، وبلاد الشام . [٢]

كذلك السواقي كانت تصنع من خشب السنط بالخرير [٣] ، والشواديف [٤] ، وغيرها من ادوات الزراعة . كما استخدم الخشب في صناعة التوابيت للقبور [٥] ، ولبعض ادوات الغزل والنسيج كالنول والمسنج [٦] ، واعواد الطواحين [٧] ، وادوات المنزل كالجفنة (القصعة) ، وهي اناء مدور من الخشب لوضع الطعام فيه [٨] . كذلك بعض الالات الموسيقية كالعود والرباب والحنبك والقانون والدف وغيرها [٩] ، وكانت في الفسطاط سوق تعرف بـ " سوق المعازيف " تباع فيها الات الطرب من الطنابير والعيدان [١٠] ، وقد اشتهرت بعض المدن المصرية كالفسطاط بصناعة الصناديق والخزائن والاسرة الخشبية ، وكان لهذه المصنوعات سوق خاصة تباع فيه تعرف بـ " سوق الصنادقيين " [١١] ، اضافة الى سوق الخشابين الذي ترد اليه الاحمال كالجبال من الاخشاب بالمراكب الكبيرة . [١]

١- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

٣- النابلسي ، لمع القوانين ، ص ٣١ . النويري ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٥ .

٤- الشربيني ، هز القحوف ، ص ١٦٢ .

٥- حسن الباشا ، القاهرة تاريخها وفنونها ، ص ٣٦٥ .

٦- البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص ١٧٨ .

٧- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩١٨ .

٨- الشربيني ، هز القحوف ، ص ٢٣٥ .

٩- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ١٠٩ . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

١٠- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

١١- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ .

١٢- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

وقد اشتهر العصر الأيوبي بالصناعات الخشبية وإتقان الحفر عليها ، وزاد استعمال الحشوات ذات الزخارف النباتية ، ومن أدق المنتجات الخشبية تابوت الإمام الشافعي المصنوع عام ٥٧٤ هـ ، والتبوت فوق قبر أم الملك الكامل المصنوع عام ٦٠٨ هـ .(١)

وكانت في مقدمة الصناعات الخشبية ، صناعة السفن ، إذ ارتبطت هذه الصناعة بالصناعات الحربية ، إذ كان لإحاطة الدولة العربية الإسلامية بالبحار أثر في تطور الملاحة البحرية وظهور صناعة السفن ، وكان لوقوع مصر على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر إضافة إلى وجود نهر النيل عامل مهم في نشوء البحرية والتي ترجع إلى وقت مبكر .(٢) وكانت السفن على نوعين ، بحرية ونيلية ، وقد فصلها المقريزي(٣) بقولـــه " الصناعة اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب الحربية التي يقال لها السفن واحدتها سفينة وهي بمصر متمسيين ، نيلية وحربية ، فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر من ثغر الإسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما إلى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج . وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الأسطول ، وإما المراكب النيلية فإنها تنشأ لتمر في النيل صاعدة إلى أعلى الصعيد ومنحدرة إلى الأرض لحمل الغلال وغيرها ".(٤)

يبدو أن القصد من صناعة السفن كان لغرضين الأول دفاعي بمعنى بناء أسطول بحري عسكري مهمته الدفاع عن ارض المملكة من أي عدو خارجي ، والثاني هو لغرض التبادل التجاري مع الداخل والخارج .

يتضح ان صناعة المراكب النيلية كانت مزدهرة اكثر من المراكب البحرية وذلك بسبب اعتمادهم على تجارة العبور فقد كانت ثلاثين ألف مركب ذاهبة الـى

١- إبراهيم ، شحاته عيسى ، القاهرة ، دار الهلال ، (القاهرة – د . ت) ، ص ١١٠ .

٢- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام خلال عصر المماليك ، ص ٥٩ .

٣- الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٧ ، ص ٣٠٧ .

الصعيد وتنحدر منه الى الاسكندرية ودمياط [١] . وقد زادت العناية بصناعة السفن منذ قدوم الفاطمين الى مصر سنة ٣٥٧ هـ ، ٩٦٩ م ، وقد قويت العناية بالاسطول في مصر منذ قدوم المعز لدين الله ، إذ أنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه ، إذ كان لهم اهتمام بأمور الجهاد والاعتناء بالاسطول [٢] . لكن يبدو ان الاهتمام قد ضعف في أواخر العصر الفاطمي ، واستمر على هذا النحو الى ان امر شأور بإحراقه وإحراق الفسطاط ، خوفاً من سيطرة الفرنج عليها سنة ٥٦٤ هـ ، ١١٦٨ م . [٣]

وقد زاد الاهتمام بالاسطول مرة ثانية عند مجيء الايوبين الى مصر ، إذ أدركوا اهميته في جهادهم مع الصليبيين ، فألوه عناية فائقة ، فقد قام صلاح الدين في سنة ٥٧٢ هـ ، ١١٧٩ م ، بأنشاء " ديوان الاسطول " للانفاق على دور صناعة السفن [٤] ، التي كانت منتشرة في مصر والاسكندرية ، ودمياط [٥] ، وتنيس . [٦]

وكان يتبع ديوان الاسطول مراكب أرباع الكيل ومراكب الملوحة ، ومهمتها نقل المراكب الى دور صناعة السفن . [٧]

١- جاستون فيين ، القاهرة مدينة الفت والتجارة ، ص ١٠٣ . الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٦٠ .

٢- ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص ٩٥ . المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٧ .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٨ . ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ . المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٧ .

٥- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٠ .

٦- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٥١ .

٧- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤١ .

وقد كان لدور صناعة السفن دور كبير في خدمة الايوبين في اليمن وبلاد الشام وفي جهادهم ضد الإفرنج ، ففي سنة (٦١٥ هـ - ٦٣٥ هـ ، ١٢١٨ م – ١٢٣٨ م) في عهد السلطان الكامل ، أثبتت دور الصناعة جدارة فائقة في إعداد المراكب الحربية التي كان لها دور كبير في مقأومة الإفرنج (١) ، وقد اهتمت الدولة الايوبية بتوفير الخشب الذي يعد من اهم المواد الأولية لصناعة السفن ، ومنها اشجار السنط الكثيرة التي كانت في مناطق البهنسا والاشمونييت واسيوط وقوص (٢) ، إذ كانت تتخذ لها حراساً يحمونها ، مما ادى الى ارتفاع اثمان اعواد السنط (٣) ، لذلك فرضت الدولة على سكان االمناطق التي تزرع فيها هذه الاشجار ضريبة يقال لها " رسم المراج " نظير ما كان يسمح لهم به من قطع اطراف اشجار السنط التي لا تصلح لعمل مراكب الاسطول والتي كان ينتفع فيها فقط بالوقود . (٤)

ويتم قطع اشجار السنط في شهر برمودة (نيسان) من كل سنة (٥) ، وقد كانت الاخشاب المحلية لا تكفي لصناعة السفن اللازمة للاسطول الايوبي ، اعتمدت مصر على ما كان يردها من بلاد الشام من اخشاب الصنوبر (٦) ، اضافة الى ما كانت تحمله سفن البندقية من بلاد الروم الى الاسكندرية . (٧)

لذلك امر الامبراطور البيزنطي دوق البندقية بمنع امداد المصريين بالاخشاب فأوقف الدوق بيع الاخشاب التـي تصلـح لصناعــة السفن والاكتفاء ببيــع اشجار اللبخ

١- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص (١٠٦ – ١٠٧) . الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ . سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٢٤ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص (٣٤٤ – ٣٤٦) .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٧٥٢ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣١ .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٦ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٣٤٦ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

٥- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٢٥٠ .

٦- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

٧- النابلسي ، لمع القوانين ، ص ٤٥ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

والسنديان على ان لا يتجأوز طول اللوح خمسة اقدام وعرضه نصف القدم . (١)

وقد تكون الاسطول البحري الايوبي من عدة قطع اهمها الشواتي وهي جمع شيتن أو شوتة ، وتسمى أيضاً الغراب وكانت اهم قطع الاسطول يجدف بها بمائة واربعين مجدافاً (٢) ، وهي مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم ، وتحتوي على مخازن لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب (٣) ، ويترأوح ما يحمله الشوتة من المقاتلة في العادة ما بين (١٥٠ – ٢٠٠) مقاتلاً . (٤)

إما الحراقات وهي جمع حراقة ، وهي سفينة حربية تتسع لمائة مقاتل (٥) ، ولا تسير المراكب الحربية بدونها حماية لها ، وكانت تزود بالمنجنيقات لقذف النفط المشتعل على الاعداء (٦) ، كذلك من قطع البحرية الشلنديات وهي جمع شلندي وهي مراكب مسقوفة يقاتل الجندي على ظهرها ويجلس الجدافون للتجديف أسفلها (٧) ، إما البسطات جمع بسطة ، وهي سفن عظيمة الحجم كثيرة القلوع ، قد يصل عدد القلوع في الواحدة منها أربعين قلعاً (٨) ، وتستخــدم لنقـل المــواد التموينيــة

١- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٦ . ادم متنز ، الحضارة الاسلامية ، مج ٢ ، ص ٣١٥ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٠ .

٣- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣ . النويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

٤- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١١٤ . الدراداري ، كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٧١ ، ١٥٩

٥- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٠ .

٦- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣١ . ج ٥ ، ص ١٥١ .

٧- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٠ .

٨- سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الاسكندرية – ١٩٩٣) ، ص ١٣٦ .

والذخائر العسكرية [١] ، ونقل جموع كبيرة من المحاربين . [٢]

كذلك هناك سفن مخصصة لنقل الخيول وتسمى الطرائد جمع طريدة ، وكان اكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً [٣] ، وكان الى جانب تلك السفن المسطحات جمع مسطح ، وهي نوع آخر من السفن الحربية استخدمت لنقل المقاتلة والسلاح [٤] ، إما الاعوادي وهي سفن صغيرة تتبع الاسطول لنقل الامداد والتموين اللازمين للسفن [٥] ، وإما البركوس فهي سفينة مخصصة لنقل مياه الشرب [٦] ، وكانت تستعمل لركوب الجند والناس العامة [٧] .

ولم تقتصر مصر على صناعة الاساطيل الحربية ، بل اشتهرت بصناعة المراكب المستخدمة لصيد الاسماك ، وقد كانت هناك الكثير من المراكب مثل " الجرافات والانكيارات والعتيات والباريات ومراكب الترعة والفلاحين .... وأكثر ما يحمل المراكب منها ستون رجلاً ، وأقله ثلاثة رجال " . [٨]

١- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص (٢٦٤ – ٢٦٥) .

٢- ابو شامة ، الروضتين ، ج ٣ ، ص ٢٠ . النويري الاسكندراني ، الإلمام ، ج ١ ، ص ١٦٤

٣- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٣٩ . النويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤ . سالم ، البحرية الاسلامية ، ص ١٣٦ .

٥- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٤٠ .

٦- المصدر السابق ، ص ٣٤٠ . ابو شامة ، الروضتين ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

٧- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٣ .

٨- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٦ .

الصناعات الغذائية :

أهم الصناعات الغذائية ما يرتبط بالحاجة اليومية الفردية ألا وهي الخبز ، وتبدأ هذه الصناعة بطحن الفلال (١) ، وقد كانت الحبوب تطحن بواسطة الارحاء (الطواحين) التي تدار بواسطة الدواب كالثيران والخيل وغيرها (٢) ، بعد ذلك استخدم الارحاء التي تدار بقوة الماء ، " ومن الطواحين الدائرة بالماء ثمانية في قرية تعرف بابي كسا ، يستقبل دورانها الماء أول النيل " . (٣)

ويبدو ان حرفة الطحان لم تكن موجودة في الريف المصري في تلك الفترة إذ ان غالبية اهل الريف كانوا يقومون بطحن غلالهم بالارحية اليدوية (٤) ، أو يقومون بالاشتراك مع بعضهم في تكاليف اقامة طاحون خاص للقرية كلها فيصبح لكل منهم الحق في الانتفاع بهذا الطاحون لطحن غلاله . (٥)

وكانت الفسطاط من اكثر المناطق شهرة بكثرة الطواحين إذ كان بها " خط الطواحين ، وهو على هيئة صفين كاملين من طواحين متلاصقة بجوار بعضها البعض حتى ان المار بين هذه الصفين كان لا يسمع حديث رفيقه إذا حدثه ، وذلك لشدة دوي الطواحين اثناء دورانها ، وكان من جملتها طاحون واحد يشتمل على سبعة أحجار " . (٦)

١- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٥ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

٣- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ٧ .

٤- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٥ .

٥- المصدر السابق ، ص ٤٦ .

٦- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

اضافة الى ان هناك مناطق اخرى اشتهرت بوجود الطواحين فيها كمنطقة مشتول * بالشرقية إذ اشتهرت بكثرة طواحين الدقيق بها . (١) ، إما مدينة تنيس فقد بلغ عدد الطواحين فيها مائة وستون طاحونة ، منها ما يشتمل على مدار ، ومنها ما يشتمل على مدارين ، ومنها ما يشتمل على خمسة احجار . (٢)

كذلك اشتهرت بلبيس بكثرة طواحين الغلال ، فقد كانتتمد اهل الحجاز بالدقيق والكعك ، وقد بلغ مقدار ما حمل منها في اسبوع واحد ثلاثة الاف حمل جمل من الحبوب والدقيق . (٣) كذلك عرفت الاديرة بكثرة استخدام الطواحين ، وخاصة دير طور سينا ، والاديرة في وادي النطروت ودير اسيوط . (٤)

وكانت المطاحن تضم عدداً من الصبيان الى جانب الطحانين ، إذ كان صاحب الطاحون يستعين ببعض الصناع لمعأونته في العمل ، وكانت مهمة هؤلاء الصبيان استلام القمح من البيوت التي تريد طحنه بالوزن . ثم يعيدونه إليها مطحوناً بالوزن أيضاً ، وكان على الصبي ان يكون أميناً عفيفاً عن المفاسد لانه يدخل بيوت الناس ويخاطب أولادهم وجواريهم . (٥) وبعد ان يتم طحن الغلال يأتي دور العجانين الذين يقومون بعجن الدقيق المطحون كما كان المحتسب يلزم بأرتداء ملابس خاصة تحفظ العجين من سقوط اي شيء ضار به كالعرق أو الشعر أو غير ذلك . (٦)

---

* مشتول : وهي مدينة حسنة العمارة جليلة الارتفاع وهي من كور الشرقية ، وتسمى مشتول الطواحين لكثرة الطواحين بها وتطحن فيها الدقيق الحواري وتجهز الى مصر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٣٢ .

١- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٥ . ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ١٧٦ . ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

٢- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٥ .

٣- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .

٤- Abu – saleh : The churches and monasteries , of Egypt , (oxford – 1895) , p . 203 .

٥- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢١ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص (٩٣ – ٩٤) . ابن الحاج ، المدخل ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .

٦- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢٢ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٦ .

بعد ذلك يأتي دور الخبازون والفرانون ، فيتضح دورهم فيما يمدون به الاسواق يومياً من الخبز الطازج ، بالاضافة الى مايقومون به من تقطيع وخبز العجين الذي يصل اليهم من الاهالي نظير اجر يومي أو شهري عيناً أو نقداً . (١)

وكان الخبز المعروف بالحواري اجود انواع الخبز في مصر ، الذي يصنع من الدقيق الحواري (وهو دقيق لب الحنطة الناعم الخالص) (٢) ، كذلك هناك نوع آخر من الخبز يسمى الخشكار * وهو أردأ انواع الخبز المعمول من دقيق الحنطة . (٣) كما شاعت صناعة الخبز الجاف الذي يصنع من جريش الحنطة ويجفف ويسمى كعكاً وكان اكثر انتشاراً حتى قيل عنه " انه اكثر الحلم طوال العام من هذا الخبز " . (٤) بما ان الخبز هو العنصر الغذائي الرئيسي للفرد وقلته تؤدي الى كثير من الاضطراب كان على المحتسب ان يحتفظ بأسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم لان الحاجة تدعوه الى ذلك . (٥)

إما صناعة السكر فتأتي بعد الحبوب من حيث الاهمية في الصناعات الغذائية . فقد بقيت صناعة السكر مزدهرة في مصر ، ويعود ازدهاره الى المساحات الشاسعة في الدلتا التي كانت تزرع بقصب السكر ، إذ اعتمد في ريها على ما يعرف بري الحياض . (٦)

١- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢٢ . ابن الحاج ، المدخل ، ج ٤ ، ص ١٧١ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٧ .

٢- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٩ . ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٦٥ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٩١٢ .

* الخشكار : هو الدقيق الذي لم تنزع نخالته . ينظر : ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية ، ج ٢ ، ص ٦١ .

٣- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢٣ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

٥- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢٢ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٧ .

٦- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٦١ .

وقد كان يطلق على مصانع السكر بالمطابخ أو المسابك إما مصانع فيسمى بالمعاصر (١) . وقد انتشرت مصانع السكر والعسل في إماكن زراعة القصب ، ففي الصعيد اشتهرت قفط بصناعة السكر ، حيث كان بها اربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب (٢) ، وهناك مناطق كثيرة في مصر اشتهرت بأنتاج وصنع معاصر القصب ومن هذه المناطق هي بهجوره * وكانت بها معاصر كثيرة ، و منية ابن الخصيب ** ، وكذلك أنصنا *** والمراغة **** بالقرب منها ، و دشتي ***** والبلينا بها عدة مسابك للسكر . (٣)

إما صناعة العسل فكانت منتشرة في المناطق التي تشتهر بها زراعة القصب ، وكان الفلاحون يبدأون في كسر القصب في شهر هاتور (نوفمبر) ثم يحمل الى المعاصر فيعصر ثم يبدأ الطباخون في عمل العسل (٤) .

١- الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ١٨ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٤٦ .

٢- الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ١٣ .

* بهجورة : من قرى الصعيد في غربي النيل وبعيدة عن شاطئه يكثر فيها زرع السكر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٤ .

** منية ابن الخصيب : بينها وبين مدينة القبس نصف يوم وهي في الضفة الشرقية من النيل ، وهي عامرة كثيرة الاسواق والحماِمات وحولها حنات وارض متصلة العمارات وقصب واعناب كثيرة . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٤٨ .

*** أنصنـا : مدينة ازلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل وهي حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكه . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٠ .

**** المراغة : وهي بلد صفير فيه نخل وقصب سكر و زراعات وبساتين ، وهي بغربي النيل ، وبينها وبين أنصنا نحو خمسة أميال . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٣٥ .

***** دشتي : بلد بصعيد مصر بشرقي النيل ذو بساتين ومعاصر للسكر و دشتي بلغة القفط معناه المقبلة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٦ . الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٣٩ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٥٦٩ .

٤- مرهج الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص ٥٥ .

وقـد نالت مصر شهرة واسعة بصناعة شراب العسل " وبها شراب العسل وهو لا يعمل إلا بها " (١) ، وبأسفل الفسطاط ضيعة جليلة " ضيعة سيروا " يعمل بها شراب العسل المتخذ بالماء والعسل وهو مشهور بلذته في جميع الارض (٢) . وإما في بلدة شبرا الخيمة و دمنهور فقد اشتهرت بصناعة العسل (٣) ، وكانت مواعيد عمله عند زيادة النيل ، فلا يخالط العسل والماء ثالث (٤) ، ولذلك سمي بـــالشراب العسلي . (٥)

إما عن صناعة الحلوى فقد قامت على صناعة السكر ، إذ شهد العصر الايوبي انواعاً كثيرة من الحلوى التي كانت تعمل من السكر في مصر ، فكثرت في الفسطاط والقاهرة انواع الحلوى والاشربة المتخذة من السكر ما لا يوجد في غيرها من الاقاليم (٦) ، إما حلأوة السكر فكانت تصنع من قبل اهل الصعيد ويحملونها الى الفسطاط وغيرها لتباع هناك . (٧) كذلك هناك انواع من الحلأوة تصنع من القمح والقند وتسمى (النيدة) ولا تعـرف إلا بمصـر (٨) ، وتعد بوش * مـن اشهـر منـاطـق

١- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٢٦ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣٤ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

٢- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

٣- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٣٤ .

٤- المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

٥- Abu saleh : churches and monasteries . p 82 .

٦- الادريسي ، نزهة المستاق ، ج ١ ، ص ٣٢٦ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .

٧- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

٨- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣٤ .

* بوش : من نواحي الصعيد الادنى في غربي النيل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠٨ .

صناعتها [١] ، إما عن طريقة عمل النيدة وهي " بمنزلة الخبيص ، حمراء الى سوداء وهي حلوة لا في الغاية ، تتخذ من القمح بعد نقعه في الماء حتى يخرج منها النشا ثم يصفى ويطبخ حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق ويعقد " [٢] ، وكان على صناع النيدة ألا يستعملوا إلا الدقيق الطيب العلاقة وأن يكثروا من نشأوتها حتى تكثر حلأوتها [٣] ، وتعد الفانيذ * من انواع الحلوى أيضاً واشتهر اهل سمسطا من صعيد مصر بصناعتها . [٤]

إما عن صناعة الزيوت فقد كانت لها اهمية كبيرة في حياة اهل مصر ، لان منه طعامهم ووقودهم لذلك عني المصريون بزراعة النباتات الزيتية عناية كبيرة . [٥] . كما استخدمت الزيوت في الاكل واضاءة المنازل والشوارع [٦] ، وتستخرج الزيوت من النباتات كالفجل والسمسم واللفت والخس والزيتون [٧] ويعد السمسم المعروف بالشيرج من افضل الانواع رغم ارتفاع سعره [٨] . إما بذور الكتان واللفت والفجل فتستعمل في صناعة الزيت الحار ، لاضاءة المصابيح . [٩]

١- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ١٤٦ .

٢- المصدر السابق ، ص ١٤٦ . ذوزي ، المعجم المفصل ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

٣- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٢٢ .

* الفانيذ : كلمة فارسية الاصل ومعربة ، وهي عبارة عن عصارة القصب تطبخ حتى تصير اغلظ صلابة من السكر الابيض المعتاد . ينظر : الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٥٧ .

(٤) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣١ .

٥- مرهج الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص ٥٦ .

٦- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٢٣٠ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ .

٧- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٨ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

٨- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٢٣٧ .

٩- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٧ . ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٢٠ .

واشتهرت مناطق المعيصرة علـى بعـد عشرين ميلاً الى الشمال مـن القاهـرة بأنتاج الزيت لكثرة معاصر زيت الشيرج فيها . (١) إما في منطقة تنيس ففيها مائة معصرة ، اعداد رجالها مختلفة اقلهم اثنان واكثرهم عشرون (٢) ، كذلك بالقرب من بركة الحبش جنوب مدينة الفسطاط " معاصر الزيت الحار " . (٣) إما زيت الفجل فأمتازت سخا بأنتاجه (٤) ، كذلك في الفيوم (٥) ، وفي اسيوط معاصر للزيت الحار . (٦) و وجدت معاصر للزيت الحار في بعض اديرة مصر كدير اسيوط . (٧)

صناعة و عمل الخمور :

كثرت في مصر اشجار العنب التي يصنع منها الخمور ، فعلى الرغم من كثرة محصول العنب فإن اسعاره تبقى مرتفعة طوال السنة بسبب تحول معظم إنتاجه الى صناعة الخمور لذلك أصبحت هذه الصناعة رائجة في مصر في العصر الايوبي (٨) ، اضافة الى عادة شرب الخمور وخاصة في إماكن اللهو في ايام المواسم كموسم كسر خليج ابي المنجا (٩) ، وفي الاعياد القبطية . (١٠)

١- ليون الافريقي ، وصف افريقيا ،ص ٦٠٩ .

٢- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٥ .

٣- سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٩ .

٤- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٣١ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٧ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ .

٥- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ٩٤ .

٦- Abu saleh : churches and monasteries , p . 133

٧- المصدر السابق p . 133 .

٨- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٩ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥ ، ١٣٤ .

٩- المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ١١٩ .

١٠- Abu saleh : churches and monasteries , p . 88

ويذكر العمري : " ان الناس كانوا يذهبون الى دير ماري حنا ويشربون الخمر هناك " . [١] كما اشتهرت مدينة الامراء بكثرة ما كان يصنع فيها من الخمر إذ كان اغلب سكانها من الاقباط . [٢] كما كان مركز صناعة الخمر منية السيرج ، حيث كان سكانها من النصارى ، إذ عرفت بعصر الخمر وبيعه [٣] ، وكان موعد عصر العنب في شهر مسرى (آب) وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب . [٤] إما المزر فهو شراب العوام وهو نوع آخر من الخمور ، عبارة عن نبيذ يتخذ من القمح أو الشعير . [٥] وكان اكثر انتشاراً في المدن الكبيرة مثل الفسطاط والقاهرة والاسكندرية حيث ساد اللو والمجون واسرف الناس في احتسائه في الاعياد والمناسبات وغيرها [٦] ، فلما ولي الظاهر لاعزاز دين الله الخلافة (٤١١ هـ - ٤٢٧ هـ ، ١٠٢٠ م – ١٠٣٥ م) إذن لاهالي مصر فيما كان يعمل بليلة الفطاسد ، وكان ينفق في تلك الليلة من الاموال ما لا يحصى من مأكل ومشارب وتجاهر الناس بشرب الخمر وصار يجتمع ارباب الملاهي وارباب الملاكيات من كل فن ويخرج الناس في تلك الليلة في اللهو والفرجة . [٧]

وقد شكل الخمر والمزر في بعض الأوقات دخل للدولة ، ففي سنة ٥٦٧ هـ ، ١١٧١ م ، " ورد الخبر بأن الخمور – بعد تعطيلها وغلق حانـاتهـا وقطـع ذكرهـــا

١- مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

٢- Abu saleh : churches and monasteries , p . 115

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٧٥٧ .

٥- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ١٤٩ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

٦- مرهج الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص ٥٧ .

٧- ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص (٥٨ – ٥٩) . وللمزيد عن هذه الاعياد والليالي . ينظر : مهدي ، مصدية تعبات الكناني ، الحياة الاجتماعية ، في مصر الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى كلية الاداب – جامعة بغداد ، لسنة ٢٠٠٩ ، ص (٢٥٦ – ٢٥٨) .

بالإسكندرية – أعيدت ببذل مال لديون نجم الدين أيوب ، ففتحت مواضعها وظهرت مناكرها " . [١] وإما في سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م ، غلا سعر العنب لكثرة من يعصره ، وحميت بيوت المزر ، وجعل عليها ضرائب فمنها ما كان عليه في اليوم ستة عشر ديناراً ومنع من عمل المزر البيتي ، كما حملت أواني الخمر على رؤوس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر لذلك . [٢] وإما في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م كثرت بيوت المزر بالاسكندرية فهدم منها عشرون بيتاً [٣] ، وقد ابطل الملك العادل سنة ٦١٢ هـ ، ١٢١٥ م ضمان الخمر ، وذلك محأولة الدولة مقأومة بيع الخمور [٤] ، وكانت الدولة تشدد بأحترام شهر رمضان من اعتصار الخمر ، والتجاهر بشراء العنب والجرار . [٥]

صناعة الصابـــون :

انتشرت صناعة الصابون في الفسطاط [٦] ، ويرجع ذلك الى سهولة الحصول على الزيت اللازم من بلاد الشام فضلاً عن ما يرد إليها من الفيوم من الزيت [٧] ، كذلك يستخرج الصابون من الزيتون واللفت والخس والسلجم [٨] ، ويتم صنع الصابون بهيئة قطع جامدة ، وتستعمل النورة * أحياناً في تحضيره وكـــان

١- المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ١١٩ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٤٢ .

٣- المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٣ .

٤- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

٥- المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

٦- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١١٣ .

٧- مرهج الذهبي ، تجارة مصر في العصر الفاطمي ، ص ٥٦ .

٨- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ١٤٦ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

* النورة : هي الجير الذي لم يصبه ماء . أنظر : ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية ، ج ٤ ، ص (٧٦ – ٧٧) .

يخزن على هيئة زيوت مجمدة بعد طبخه وتصفيته ، وان كان في أوعية كسر أو شقف وحول الى وعاء صحيح ، ثم يتخير له من المخازن ما كان بارداً هوائياً فيودع فيه (١) ، وهناك انواع عديدة للصابون في مصر فمنها الصابون الرطب الاحمر والاصفر والاخضر ، وبه شبهت الصابونية التي كانت من انواع الحلوى . (٢)

إما مدينة قفط فاشتهرت بمزارع البقول الموجودة فيها ، إذ يقوم المزارعون بجمعها ثم طحنها وبعد ذلك يتخير جوت الدهون منها ويصنعون منه انواعاً من الصابون الذي وزع على جميع مدن مصر . (٣) إذ وصف قفط بالنظافة لما يتمتع به من عناية وجهد في صناعته . (٤)

إما الفسطاط التي كان بها مطابخ للصابون (٥) ، كذلك الاسكندرية من المراكز الهامة لصناعة الصابون من زيت الزيتون ، إذ اشار ابن جبير الى موضع الصبانة بالاسكندرية والذي يضم مطابخ الصابون . (٦) ولكثرة انتشار الحمامات العامة في المدن المصرية (٧) ، كثر استخدامهم للصابون . كما كان للمحتسب دوراً في هذه الحالة ، إذ كان يأمر اصحاب الحمامات بغسل الارضية من بقايا الصابون لكي لا يتزحلق الناس بها فيصابون بالضرر . (٨)

١- الدمشقي ، ابو الفضل جعفر بن علي (بعد ٥٧٠هـ ، ١١٧٤ م) ، الاشارة الى محاسن التجارة ، تحقيق فهمي سعيد ، دار ألف باء ، (بيروت – ١٩٨٣) ، ص ٨٢ .

٢- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ١٤٦ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

٤- الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٧٧ .

٥- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١١ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١١٣ .

٦- رحلة ابن جبير ، ص ١٣ .

٧- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص (١٤١ – ١٤٢) . التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٧٦ . ابن بطوطة ، رحلة ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

٨- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٨٨ .

صناعة الحصر :

تعد صناعة الحصر من الصناعات الصغيرة ، وقد انتشرت مناسج الحصر في القاهرة والفسطاط تسعمائة منسج لصناعة الحصر ، كما اشتهرت الفيوم ومنوف ودمياط بصناعة انواع جديدة منه (١) ، ويرجع انتشار الصناعة و رواجها الى كثرة استخدامه في المنازل ، كذلك لم يقتصر استعماله على عامة الشعب فقط بل افترشت به المساجد ودور القضاة والولاة (٢) ، لذلك تمت زخرفته بألوان مختلفة (٣) ، واستخدم أيضاً مع السعف في تغطية أسقف المنازل والحوانيت ، كما استخدم كحوائط للحماءات التي كانت تقام أثناء عمليات القتال (٤) ، ويصف البغدادي طريقة صناعة الحصير بأنها " استخدمت من ورق الموز الهندي ، بأن يؤخذ العيسب فيشقق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه هذه الحصير ، ويباع الحصير بدينارين " . (٥)

كما كانت الحصر تصنع من سيقان نبات البردي الذي كان ينمو في وادي النطروت (٦) ، كما اشتهرت في مصر أنواع عديدة منها الحصر العبداني (٧) ، وقد كان يعين لصناعة رجلاً خبيراً كسائر الصناعات الاخرى (٨) ، كما كان لهم سوق يعرف بـ " سوق الحصريين " . (٩) وعلى الرغم من كثرة انتشار مناسج

١- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ٩٦ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٥١ .

٢- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٨ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٨٤ .

٣- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ٢٩ .

٤- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٥٢ .

٥- الافادة والاعتبار ، ص ٨٨ .

٦- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .

٧- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

٨- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٢٤٣ .

٩- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ .

الحصر في مصر إذ بلغت تسعمائة منسج ، إلا أنه لم يبق منها في سنة ٥٩٨ هـ ، ١٢٠٢ م إلا خمسة عشر منسجاً (١) ، وذلك بسبب المجاعة التي حلت بمصر نتيجة قصور ماء النيل عن الزيادة . (٢) كذلك كانت تصنع في مصر الانماط * واشتهرت منطقة البهنسا بصناعتها (٣) ، وهناك دار بالفسطاط يعرف بـدار الانمـاط (٤) ، اضافة الى قيسارية الانماط وسوق الانماطين . (٥)

صناعة الزجاج والخزف والفخار :

ازدهرت صناعة الزجاج والبلور في مصر في العصر الفاطمي أثر بناء كثير من القصور والمساجد والمدارس ، و كان صناع الزجاج يجتهدون في سبيل تزويد هذه المنشأت بالقناديل وألواح الزجاج (٦) ، كما كان يعمل منه المصابيح بالزجاج غير الملون ، أضافة الى وجود الزجاج المزركش الذي يدل على رقي هذه الصناعة (٧) ، فيذكر ناصر خسرو " ويعطي التجار في مصر من بقالين وعطارين وبائعي خردأوات الأوعية اللازمة لما يبيعون من زجاج أو خزف أو ورق ، حتى لا يحتاج المشتري ان يحمل معه وعاء " . (٨)

١- البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ١٧٦ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٥٠

٢- الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ١٧٦ . ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٢ ، ٢٤٠ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

* الانماط : جمع نمط وهي السجادة التي تفرش على سباط . ينظر : دوزي ، تكملة المعاجم العربية ،ج ١٠ ، ص ٣١٦ .

٣- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٣ .

٤- ابن ظافر ، جمال الدين ابو الحسن علي الازدي (ت ٦١٢ هـ ، ١٢١٥ م) ، بدائع البداية ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة – ١٩٧٠) ، ص ٣١٥ . ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

٥- ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

٦- مرهج الذهبي ، تجارة مصر خلال العصر الفاطمي ، ص ٥٧ .

٧- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر ، ص ٦٤ .

٨- سفر نامة ، ص ١٢٠ .

وكانت مدينة الفسطاط اكبر مراكز صناعة الزجاج [١] ، كذلك في القاهرة سوق يعرف بـــ " سوق الزجاجين " [٢] ، وأيضاً في وادي النطرون بالقرب من الاسكندرية معمل للزجاج . [٣]

إما في العصر الايوبي فقد استمرت فقد استمرت صناعة الزجاج في الازدهار حيث استخدم في مجالات عديدة من بينها وسائل الاضاءة من المسارج والقناديل التي كانت تستخدم لانارة المنازل والمدارس والمساجد والمناظر المنتشرة حول البرك وعلى شاطئ النيل [٤] ، كما صنعت منه الصنج الزجاجية التي استخدمت في تقدير الأوزان المختلفة للعملة والتقنيات الصغيرة التي استخدمت في حفظ العطور والكحل وغيرها من أدوات الزينة [٥]

إما عن صناعة الخزف فقد ازدهرت في مصر منذ بداية العصر الاسلامي ، وزاد الاهتمام بهذه الصناعة فتقدمت في سبيل الرقي ، وقد ظهر نوع من الخزف المصري يتميز بالزخارف البارزة المطبوعة بالقلب وبالطلاء الزجاجي ذي الالوان المتعددة وتزخرف هذه الانواع برسوم طيور وحيوانات وزخارف هندسية ونباتية . [٦] ، ويعد فن الخزف من اهم الحرف اليدوية التي برع فيها اهل مصر ، وكان انتاجهم الخزفي من الأواني والتحف المختلفة يصلح من حيث الفخامة والجمال لأن يكون بديلاً لأواني الذهب والفضة ، وذلك بأستعمالهم للخزف ذي البريق المعدني الذي يعتبر فخر صناعة الفخار في العصر الفاطمي والايوبي . [٧]

١- ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٥ ، ص ٧٣ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص

٣- الصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

٤- المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

٥- Miles : Early Arabic class weight and stamps , (New york – 1948) , p . 3

٦- يوسف عبد الرؤوف علي ، الخزف ، ضمن كتاب القاهرة - تاريخها – اثارها ، مكتبة الاسكندرية ، (مصر – ٢٠٠٠) ، ص ٣١٣ .

٧- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

فصنعوا منه الأواني التي تستخدم على المائدة وفي حفظ العطور والبخور وأواني غسل الايدي بعد تنأول الطعام . [١] ووصفت صناعة الخزف في مصر " ويصنعون بمصر الفخار من كل نوع وهو لطيف وشفاف بحيث إذا وضعت يدك من الخارج ظهرت من الداخل وتصنع منه الكؤوس والاقداح والاطباق وغيرها ، وهم يلونونها بحيث تشبه البوقلمون بلون مختلف من كل جهة تكون بها ، ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد في الصفاء والنظافة ويبيعونها بالوزن " . [٢]

كما كان يصدر منه الى الخارج وخاصة الى صقلية ، وذلك لجودة الفخار المصري [٣] . وكانت أواني الخزف للماء تعمل في شهر امشير (شباط) لتستعمل طول السنة ، فأن ما عمل فيه من أواني الخزف يبرد الماء في الصيف اكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور [٤] . وقد اشتهرت الفسطاط بصناعة الخزف والتي كانت تضم بين مواضعها زقاق الغضارين * إذ كان هذا الزقاق من اشهر مناطق الفسطاط بصناعة الخزف [٥] . كما يعين عليهم رجلاً ثقه خبيراً بصناعتهم كسائر الصناعات الاخرى ، حيث كان يؤخذ عليهم عدم صناعة الزيادي إلا من الحصى المطحون وغيره من المواد الاخرى . [٦]

إما صناعة الفخار فهو من الصناعات المعروفة في مصر منذ العصور القديمة ، وذلك للحاجة الماسة لاستخدام الأواني الفخارية في استعمالات الحياة اليومية ، ولطهي الاطعمة وحفظها ، ومن الأواني المصنوعة الطاجـن ، وهـو أنـاء فخـاري

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

٢- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٩ .

٣- Coitrin , p . 188 .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٢٤٦ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٧٥٣ .

* الغضارين : من الغضارة ، وهي الطحين اللازب الاخضر الحر . ينظر : الفيروزايادي ، القاموس المحيط ، ص ٤٥٠ .

٥- ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٥ ، ص ٤٢ .

٦- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٢٣٢ .

مدور لطهي الطعام . [1] والفخار هو نوع من الخزف يؤخذ من طينة البيئة المحلية وتشكل منه الأواني دون اضافة مواد اخرى اليه أو حذف شوائب ، لذا فهو يصنع من طينة طبيعية . [2] وصنعت عدة أواني من هذا الفخار منها القفولة وهو أناء فخار صغير يطبخ فيه البيار * وهو نوع من الاطعمة المصرية [3] ، والمترد وهو أناء من الفخار الاحمر إذ يعد من اكثر الأواني استعمالاً لتقديم الطعام في الاعراس [4] ، وكذلك تم صنع الجرار والازبار والقلل وأوعية العسل والخل والنبيذ والسمن [5] . وأنتشر صناع الأواني الفخارية في صعيد مصر لتواجد الطي الصالح لهذه الصناعة ، فأسوان بها جبل الطفل يعمل منه الفخار وكيزان الفقاع (نوع من النبيذ تتخذ من الشعير) ولا يوازيه شيءٌ من نوعه ، وإما الفخار الاقصري ليس في ديار مصر مثله . [6]

كذلك انتشرت في الفسطاط والقاهرة صناعة الفخار ، ففي سنة ٦١٦ هـ ، ١٢١٩ م ، وعلى أثر قيام الافرنج بهاجمة دمياط أمر السلطان الكامل بطلب الجرار وكل أواني الفخار الفارغة من القاهرة ومصر يملأها رملاً ويردم بها الخندق ونودي بذلك في واجتمع على ساحل البحر من الجرار والأواني ما لا يحصر [7]

١- الشربيني ، هز القحوف ، ص ٨٢ .

٢- ماهر ، سعاد ، الفنون الزخرفية ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر – ١٩٨٥) ، ص ٢٨٢ .

* البيار : وهو عبارة عن ملوخيه ناشفة وفول مدشوش يضيفون اليه بعض البصل المقلي بزيت الشيرج . ينظر : الشربيني ، هز القحوف ، ص ٢٣٦ .

٣- الشربيني ، هز القحوف ، ص ٨٢ .

٤- المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

٥- سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٣١ .

٦- الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ١٤ ، ١٨ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٥٢ .

٧- سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٣١ .

الصناعات المعدنية :

ارتفعت صناعة المعادن في مصر ، إذ استفاد المصريون من ثرواتهم المعدنية والطبيعية ، و خلف هذا العصر الكثير من المصنوعات الراقية ، وتوجد في مصر بعض المعادن التي استخدمت في كثير من الصناعات التي أسهمت في رفع مستوى الأوضاع الاقتصادية ، اضافة الى بعض المعادن التي دعت الحاجة الى استيرادها وتصنيعها . (١)

وأولى المعادن المستخرجة هي الذهب والفضة ، إذ تعد مدينة العلاقي الواقعة على مسيرة خمسة عشر مرحلة من اسوان اكبر مدينة لمناجم الذهب ، وكذلك كانت الصحراء الواقعة شرقي النيل في الصعيد بين اسوان وعيذاب اهم مناجم الذهب (٢) ، وكان العمال يخرجون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر ويبحثون عن الشيء المضيء ثم يحملونه صباحاً مع الرمل الموجود معه فيغسلونه بالماء وتتم عملية استخراج التبر * والسبك ** بعد سبكه . (٣) كما يتواجد الذهب في الفسطاط ، إذ فيها جبل يحتوي على معدن الذهب (٤) ، كذلك يوجد الذهب الصالح بجبل المقطم (٥) ، وفي الواحات (٦)

١- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٥٢ .

٢- اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٧٢ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٥١ . البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٤٠ .

* التبر : هو الذهب بأجمعه ، وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جوامع الارض ، وقيل أيضاً الذهب المكسور . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

** السبك : وهو السبيكة المعمولة من الذهب والفضة حيث تذاب وتفرغ في مسبكة مصنوعة من الحديد . ينظر : ابن منظرو ، لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٤٣٨ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٤٠ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦٦٠ .

٤- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٠٩ .

٥- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٣ . المقريزي ، الخطط ، ص ٣٥١ .

٦- الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦٠٠ . سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٤٣ .

وفي أسوان ، أضافة الى وجوده في مدينة قوص . [١] إما عن استخراج الفضة فكانت بكميات أقل من الذهب واهم مناطق استخراجها هي منطقة العلاقي جنوب أسوان [٢] ، وتم صناعة سك النقود الذهبية والفضية من الذهب والفضة [٣] ، والثريات [٤] ، كذلك الملابس الفاخرة يدخل في صناعتها مقادير – تختلف حسب قيمة الثوب والشخص المصنوع لهُ – من خيوط الذهب [٥] ، وقد أرسل صلاح الدين هدية الى نور الدين زنكي سنة ٥٦٩ هـ ، ١١٧٣ م " مائدة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالاً ، وخمس ختمات إحداها في ثلاثين جزءاً مغشاة بأطلس أزرق ومضبية بصفائح ذهب وعليها أقفال من ذهب ، ومكتوبة بخط من ذهب ، وأواني ذهب ، وحلة مرايش أصفر مذهب ، وحلة مرايش أزرق مذهب ، وحلة فستقي بقصب مذهبة " . [٦]

إما المعادن الاخرى التي استخدمت في مصر هي الحديد والنحاس ، فعلى الرغم من إن أنتاج هذه المعادن لا تكفي لسد حاجة الصناعة القائمة على هذه المعادن ، لذا كانت مصر تستورد هذه المعادن أضافة الى الرصاص والقصدير من المدن الايطالية ، ومن بلاد الشام [٧] ، وكانت الحدادة من الصناعات المصرية المميزة ، لكونها من الصنائع الضرورية في العمران البشري [٨] ، ومن هذه الصناعات الآلات والادوات الزراعية كالمنجل والفأس . [٩]

١- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٥٧ .

٢- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٤٠ .

٣- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص (٣٣١ – ٣٣٢) .

٤- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٨ .

٥- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٤٣ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٣٨ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ . ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٤٦ .

٦- المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص (٥٤ – ٥٥) .

٧- النابلسي ، لمع القوانين ، ص ٤٥ .

٨- ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٣ ، ص (٩٢٣ – ٩٢٤) .

٩- ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٢٠١ .

والطورية وهي فأس عريضة طويلة مقوسة أكثر من الفأس [١] ، والمعأول [٢] ، كذلك صناعة الادوات المنزلية كالخزائن والاكواب والصناديق [٣] ، والسكاكين والامقاص والابر [٤] كذلك صناعة المسامير من أوزان وأحجام مختلفة ومتنوعة [٥] ، وصناعة الضبب (الاقفال) . [٦] وصناعة المفاتيح والابواب التي كانت تستخدم لحماية وتحصين أسوار المدن ، فكان لسور مدينة تنيس أبواب عددها ١٩ باباً ، وكان واحد منها مصفحاً بالنحاس ، وما سواه مصفح بالحديد . [٧] كذلك استخدم الحديد في صناعة الاكيال والموازين . [٨]

وقد اشتهرت تنيس بصناعة الحديد كالمفارض والسكاكين ، فيذكر ناصر خسرو : " رأيت مقراضاً في مصر ، صنع في تنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية ، يفتح إذا رفع مسماره ويقص إذا نزل " [٩] ، واشتهرت دلاص بصناعة الحديد [١٠] ، وكـذلك القاهـرة مركزاً لصناعة الالات والادوات الحـديـديـة وبهـا سـوق

١- ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٧٧ .

٢- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٢ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

٤- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٤ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٢٣٣ .

٥- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٧٩ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٥٨ .

٦- ابن بسام ، المحتسب (ت الربع الأول من القرن ٧ هـ ، ١٣ م) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة دار المعارف ، (بغداد – ١٩٦٨) ، ص ١٤٧ .

٧- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٧٤ .

٨- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٣٣ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٨٨ .

٩- سفر نامة ، ص ٩٥ .

١٠- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣١ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٣٦ .

للحدادين [١] ، وسوق الخراطين ، أي خراطي الحديد وصناع السكاكين وغيرها من الادوات . [٢]

إما النحاس فصنعت منه الأواني المنزلية كالمقالي [٣] ، والقدور [٤] ، إذ وصفت قدور مصر حسب ما ذكره ناصر خسرو : " رأيت قدوراً من النحاس الدمشقي كل واحد منها يسع ثلاثين مناً ، وكانت من الطلأوة بحيث تضمنها من الذهب ، وقد حكوا لي أن امرأة تملك خمسة الاف قدر ، وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم في الشهر ، وينبغي أن يردها المستأجر سليمة " [٥] ، كما صنعت من النحاس الاقداح والاباريق [٦] ، والاسطال [٧] ، والطاسات [٨] ، والطشت [٩] ، وصفائح مصاريع الابواب [١٠] ، كما استخدم البرونز في صناعة المباخر [١١] ، والمسارج (المصابيح) [١٢] ، وغيرها من الادوات المنزلية .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

٢- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

٣- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٢٠ .

٤- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ٢٥ .

٥- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١١٩ .

٦- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

٧- ابن ظافر ، بدائع البداية ، ص ٣١٩ .

٨- الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص ١٧ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٥٨ .

٩- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ .

١٠- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٤١ . التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٧٤ .

١١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

١٢- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٧٤ .

ومن الصناعات المعدنية التي راجت في ذلك العصر صناعة التكفييت * وهي تطعيم النحاس بالذهب والفضةزخرفة وكتابة . (١) ، وقد أقبل الناس على شراء الادوات المكفتة فلا تكاد تخلو دار بالقاهرة والفسطاط من عدة قطع نحاس مكفت (٢) ، وكان سوق الكفتييت مشتهراً بهذه الصناعة في مدينة القاهرة إذ عمل الكفتييون على أنشاء هذه السوق وعملهم هو تطعيم أواني الشرب والطسوت بالذهب والفضة . (٣) كما كانت العروس لا يخلو جهازها من دكة نحاس مكفت . والدكة عبارة عن شيء يشبه السدير يعمل من خشب مطعم بالعاج والابنوس أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض ، تبلغ أكبرها ما يسع نحـــو اردب من القمح وطول الاكفات التي نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع في عرض أصبعين ومثل ذلك دست أطباق عدتها سبعة بعضها في جوف بعض ، وغير ذلك من المنابر والسرج والاحقاق والاشنان والطشت والابريق والمبخرة ، فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتي دينار ذهب . (٤)

وقد خلف العصر الايوبي عدداً من التحف المعدنية (طشوت ، شمعدانات ، واسطرلابات) يحمل بعضها أسماء بعض سلاطين بني أيوب ، والبعض الاخر موقع عليه من صانعيه (٥) . كل هذه التحف توضح مدى أتقانهم لصنعهم وتطور الصناعة في العصر الايوبي .

---

* التكفييت : كلمة فارسية بمعنى كفتت بمعنى وضع مادة غالية الثمن في مادة أرخص منها مختلفة عنها في اللون ككفت النحاس والبرونز بالذهب والفضة ، وقد انتشر هذا الاسلوب في زخرفة المعادن في العصر الايوبي بمصر . ينظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، دار النهضة العربية . (القاهرة – ١٩٦٥) ، ج ٢ ، ص ٩٧٥ .

١- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٨ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

٣- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٦٤ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

٥- سأويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

وقد شارك أصحاب الحرف العاملون في الصناعات المعدنية بصورة كبيرة في كل من دار الضرب ودار العيار ، فكانت دار الضرب تضم العديد من السباكين والنقاشين والضرابين (١) ، والسبك هو الذي يحدد العيار المناس من المعادن المختلفة ثم يذيبها ليسهل تشكيلها للغرض المذابة من أجله . (٢) ، ويقوم النقاش بحفر الكتابات المراد إظهارهاعلى السبيكة مقلوبة حتى إذا ما تم سبكها قرأت صحيحة (٣) ، وكان أشهر نقاش للنقود والحلي في أواخر العصر الايوبي سعد الدين الاسعردي الذي لم يقتصر عمله على نقش النقود والحلي فقط بل عما أيضاً بنقش النحاس (٤) . إما عمل الضرابين هو الضرب على السبيكة قبل ان تبرد والختم على السكة المصبوبة ثم جلائها قبل السماح بتدأولها (٥) . وكانت دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية (٦) ، مفتوحة لكل من يرغب في ضرب نقود خاصة به على الصورة المعهودة في ذلك العصر نظير أجر معلوم تتقاضاه دار الضرب للصناع منه نصيب (٧) . كما قام صناع العيار بصنع الموازين والسنج والمكاييل للتجارة والباعة ، وكذلك إصلاح ما أستهلك منها أو تلف . (٨)

١- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٤٩ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٣١ .

٣- ابن بعرة ، منصور الذهبي الكاملي ، (القرن ٧ هـ ، ١٣ م) ، كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، لجنة إحياء التراث العربي الاسلامي ، (الجمهورية العربية المتحدة – ١٩٦٦) ، ص ٣٦ .

٤- حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٣ ، ص ١٢٩٤ .

٥- ابن بعرة ، كشف الاسرار ، ص ١٩ ، ٣٧ .

٦- كانت دور ضرب منذ العصر الاموي حتى مجيء الفاطمين على مصر ٣٥٨ هـ ، في الفسطاط والاسكندرية واتريب والفيوم وفرما ونيروه ، أضافة دار الضرب الاميرية في القاهرة وقوص ، وبمجيء الايوبين لم يبق هذه الدور وانما تركز بدارين رئيسين هما القاهرة والاسكندرية . ينظر : ابن بعرة ، كشف الاسرار ، ص (٢٩ – ٣٠) .

٧- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص (٣٣١ – ٣٣٣) .

٨- نفس المصدر السابق ، ص (٣٣٣ – ٣٣٤) .

إما الزمرد فكانت بلاد الصعيد المصدر الرئيسي لمناجم الزمرد الذي كان يصدر الى أوربا واسيا والحبشة [١] ، واشتهرت مصر أيضاً بهذا المعدن [٢] ، وفي جنوب أسوان على مسافة ثمانية أيام من قوص في بحرية منقطعة عن العمارة وجدت مناجم الزمرد أيضاً [٣] . وكذلك في منطقة ادفو [٤] ، ويستخرج الزمرد عن طريق قيام العمال بالحفر في الجبل فيجدونه على شكل عروق في تجأويف الاحجار البيضاء ، ويتم استخراجه على هيئة قطع صغيرة كالحصى منبثة في تراب المعدن ، فينخلون التراب فتظهر القطع الصغيرة خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة [٥] . وكان السلطان يعين أمناء ومباشرون يتولون استخراج الزمرد وتحصيله ، ولهم رواتب يتقاضونها ، ثم ينقل بعد ذلك ما يستخرج من الزمرد الى الخزائن السلطانية فيأخذ منه ما يحتاجه الخاصة ثم يعرض الباقي للبيع . [٦]

إما المعدن الاخر فهو الزبرجد الذي يكون أقل قيمة وأقل جودة من الزمرد ، وتكون مناجمه في صعيد مصر من جنوب النيل في تربة منقطعة عن العمارة [٧] . وهو المكان الوحيد في العالم الذي به بلورات بالحجم الكبير الذي يسمح باستخدامها في أغراض الحلي وصناعة المجوهرات [٨] .

١- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٥٣ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٨١ . التيفاشي ، أحمد بن يوسف (ت ٦٥١ هـ) ، أزدهار الافكار في جواهر الاحجار ، تحقيق محمد يوسف ومحمود بسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . م – ١٩٧٧) ، ص ٢٥٤ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ص ١١ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٤٠ . شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٣٢ .

٤- الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٤٣ .

٥- المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ص ١٢ .

٦- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ ، ١٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤١٦ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦١٤ .

٧- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٤١ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

٨- التيفاشي ، ازهار الافكار ، ص ٢٥٦ .

إما عن حجر اللازورد فهو حجر رملي يحتوي على الكبريت المشع ذي اللون الازرق ، وله فوائد علاجية ، إذ أنه ينفع العيون إذا جعل في الكحل ، وإذا سقي مع العسل ينفع في وجع الكبد [١] . وقد اشتهرت به منطقة الواحات الخارجة به جبل سامي الذروة فيه معدن يستخرج منه حجر اللازورد [٢] .

يتضح مما سبق أهمية الصناعات المعدنية في مصر وانتشارها في جميع مناطقها حسب اهمية المعدن المستخرج منها ودخوله في الصناعات المحلية وصناعة الادوات اللازمة للمنازل وغيرهـــــا .

الصناعات الحربية :

في ظل الحروب التي خاضها الايوبي ضد الصليبين وحاجة الجنود والمتطوعة على ادوات القتال المتزايدة والمضطردة كان على صناع الادوات الحربية رفدهم بما يحتاجون اليه ، فأزدهرت الصناعات الحربية و زخرت الفسطاط والقاهرة بالعديد من أرباب الحرف العاملين بها [٣] . وقامت الدولة بأنشاء دار السلاح ، إذ كان يحفظ فيها السلاح بالقلعة وتسمى (الزردخاناة) فالسلاح هو (خاناة) ويكون معناها بيت السلاح ، وهذه الدار بها العديد من الصناع المقيمين لاصلاح العدد إضافة الى تجديد الاسلحة القديمة ، وكان الصانع يسمى الزردكاش * ، وقد كانت هذه الخزائن فيها مستخدمون ويجلب اليها ما تحتاجه من الاخشاب والحديد [٤] ، وهذه الدار دائمية ولم تقتصر على السلاطين . بل أن الامراء كانت لهم زردخانات تصنع فيها الاسلحة وأدوات القتال للأمير وجنوده [٥] .

١- التيفاشي ، ازهار الافكار ، ص (١٧٠ – ١٧١) .

٢- الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦٠٠ .

٣- الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٥٠ .

* الزردكاش : كلمة فارسية تعني صانع الزرد وهو حلقة الدرع ، وللزردخاناة فراشون وغلمان غير الصناع . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١١ .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٣٥٤ . ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص (١٣٣ - ١٣٤) .

٥- الجميلي ، النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام ، ص ٥٨ .

ومن أهم الاسلحة التي صنعت في العصر الايوبي الاقواس وهي الات لقذف النشاب ذات النصول مثلثة الاركان على اختلافها وتكون على عدة انواع منها اقواس الزيار * ، واقواس الجروخ ** ، وقد استخدمها الايوبين في قذف السفن الافرنجية عند اقترابها من السواحل [1] . وقوس الحسبان *** ، وقوس الزنبورك **** وهو من اقواس الحصار ويستخدم في الدفاع عن المدن والقلاع وسمي بالزنبور وذلك لشبه بين صوت الزنبور والصوت الذي يحدثه وتر القوس عند انطلاقه [2] . واستخدم رماة السهام الجعاب ***** في الحروب [3] .

---

* اقواس الزيار : تتكون من صفحتين من خشب السنديان طول كل منها ستة إذرع وعرضها شبر ونصف السير وهي من أشد الاقواس رمياً وأعظمها جرماً ، وتحتاج الى عدد من الرجال وتنصب عادة على الابراج . ينظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

** الجروخ : هي الاقواس التي تستخدم لقذف السهام والنفط . ينظر : ابن مماتي ، قوانين الدوأوين ، ص ٤٥١ . النويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

٤- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٣٨ ، ٤٢٤٧ .

*** الحسبان : وهي اقواس تطلق سهاما سريعة شبهت بالجراد ، وانبوب القوس يسع مجموعة من السهام الصغيرة عددها حوالي خمسة سهام ، فإذا اطلق خرجت كالجراد المنتشر دفعة واحدة . ينظر : الطرطوسي ، مرضي بن علي بن مرضي (ت ٥٨٩ هـ ، ١١٩٣ م) ، الاسلحة القديمة ، تبصرة ارباب الالباب في كيفية التجارة في الحروب ، تحقيق كارين صادر ، (بيروت - ١٩٩٨) ، ص (١٢٤ - ١٢٥) . ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٣٤ .

**** الزنبورك : عبارة عن سهم في سمك الابهام وفي طول الذراع ، وله أربعة أوجه وطرقه من حديد ، مريش ليكون في أنطلاقه أكثر ثباتاً . ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٣ . النويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

٢- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص (٢٤٤ - ٢٤٥) .

***** الجعاب : وهي أوعية من الجلد لحفظ السهام يحملها المحارب على كتفه . ينظر : ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) ، المخصص ، تحقيق خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - ١٩٦٦) ، ج ٢ ، ص ٦٩ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٩ ، ص ٣٢٣ .

٣- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

وتعد الفسطاط من اشهر مناطق صناعة الاقواس ، وفيها سوق النشابين الذي تباع فيه السهام [١] . إما السيوف فكانت على انواع أيضاً منها الصماصم * المصقولة ، والسيوف المحدبة [٢] ، وهي أسلحة هجومية ، وكان لها سوق خاصة تعرف بسوق السيوفيين [٣] . كذلك من الاسلحة الرماح ومنها القنطاريات التي تصنع من الخشب الزان [٤] ، والمزاريق وهي الرماح القصيرة [٥] ، والصبربرات وهي رماح طويلة مخصصة للطعن [٦] ، والرماح القنا ** وهو الة للطعن أيضاً [٧] .

إما اللتوت وهي جمع لت وهي عمد حديد ذات رؤوس مستطيلة الشكل مغرسة ، لها مقابض من الخشب المحكم التدوير [٨] ، وفي سنة ٥٥٩ هـ ، ١١٦٣ م حين قام أسد الدين شيركوه بإخراج جنوده من بلبيس " وقف يراقبهم وبيده لت من حديد يحمي به ساقتهم والمسلمون والافرنج ينظرون إليه " [٩] .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

* الصماصم : جمع صمصم وصمصامة ، وهو الست القاطع أو السيف الصارم الذي لا ينثني . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٣٤٧ .

٢- الطرطوسي ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ٤٩ . ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٤٨ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص (٨٤ - ٨٥) .

٤- ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٥١ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

٥- ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

٦- الطرطوسي ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ١٤٠ . ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٥٠ .

** القنا : قصب مسدود الداخل ينبت ببلاد الهند ، ويوصف الخطى نسبة الى الخط بلدة في البحرين يجلب اليها رماح من الهند . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

٧- ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٣٤ .

٨- الطرطوسي ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ١٥٨ . ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٤٨ .

٩- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٦٧ .

كذلك قاموا بصناعة الدبابيس والتي لا تختلف عن اللتوت إلا في رؤوسها فهي مغرسة ، وتكبس بالكميخت (الجلود المدبوغة) الأحمر والأسود [١] ، وهناك الكثير من الادوات الحربية التي تم صنعها كالتراس وهي من الاسلحة الدفاعية التي يحملها الجندي لحماية نفسه من ضربات العدو في المعارك وتكون عادة من الحديد والخشب [٢] ، إما الدروع وهي قميص ينسج من حلق حديدية رفيعة ، وحلقاتها توصل بمسامير ، ومن انواعها الجواشن التي تصنع من الحديد أو الجلود [٣] ، ومن ملحقات الدروع المغفر * والإذرع والسيقان والاكف [٤] ، والخوذ (البيضات) ** التي تستخدم لحماية الرأس ، وتصنع من الحديد ، وتبطن بمواد لينة كالقطن وغيره [٥] . إما المنجنيق فهو من الاسلحة الحربية الثقيلة شديدة التأثير وبخاصة في عمليات الحصار وتستخدم في الحروب البرية والبحرية على السواء [٦] وهناك الة أصغر من المنجنيق ترمى بواسطتها الحجارة أو السهام أو قدور النفط وتسمى العرادة [٧] .

١- الطرطوسي ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ١٦٠ . ابن الطوير ، نزهة الانام ، ص ١٤٨ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

٢- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، ٣٠٧ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

٣- الطرطوسي ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ١٥٥ . ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٠٩ .

* المغفر : قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس ، وقيل زرد من الدرع ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٢٥ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٣ ، ص ٢٤٨ .

٤- النويري الاسكندراني ، الالمام ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

** البيضات : سميت بهذا الاسم لانها على شكل بيضة النعام . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ج ٢ ، ص ٧٣ . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص (١٢٤ - ١٢٥) .

٥- الطرطوسي ، تبصرة ارباب الالباب ، ص ١٥٦ .

٦- المصدر السابق ، ص (١٦٦ - ١٦٧) .

٧- ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٢٨٨ .

إما الدبابة فهي هيكل صنم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللبود من الجوانب ، لحماية الجنود الذين يعملون تحته ، وتتحرك الدبابة بواسطة بكرات أو أسطوانات خشبية فتدفع الى الإمام حتى تلتصق بالأسوار (١) .

١- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٤٨ . ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

الفصل الثالث

التجـــــارة

- المراكز التجارية الهامة

- الأسواق

- المنشأت التجارية التابعة للأسواق :

أ – الفنادق والخانات

ب – القياسر

جـ - الوكالات

- الضرائب التجارية

- أنواع النقود

- دور الضرب

- المكاييل والمقاييس والاوزان

تمهيــد

لم تكن الصناعة والتجارة منفصلتين بشكل قاطع عن بعضهما في ذلك العصر فلقد كان الصناع ينتجون سلعة من السلع يقومون في الغالب بالإتجار فيها كما يتاجرون في السلع المماثلة . (١)

فلقد لعبت التجارة دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية لمصر في العصر الايوبي ، اذ كان لموقع مصر الجغرافي المهم اثر كبير في جعلها مركزاً للتجارة بين الشرق والغرب من خلال اشرافها على موانئ البحر الاحمر ، واتصالها بالبحر المتوسط ، وفي ذلك يقول النويري " مصر فرضة الدنيا ، يحمل خيرها الى سواحلها ، فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند والصين وعُمان والسند ، وسواحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم .... ، وثغر الاسكندرية فرضة العرب ...... ، ومن جهة الصعيد يحمل الى النوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن " . (٢)

يبدو ان هذه الاهمية جعلت الدولة الايوبية تقوم بدور همزة الوصل في النشاط التجاري بين الشرق والغرب ، فالسلع المصدرة من الهند والصين ، تنتقل بحراً الى احد موانئ البحر الاحمر ، ثم الى مصر براً او بالنقل النهري ، اذ تصدر عن طريق ميناء الاسكندرية الى اوربا . (٣)

١- جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، ترجمة وتحقيق عطية القوصي ، الكلوين ، وكالة المطبوعات ، (د . م – ١٩٨٠) ، ص ١٨٢ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٥٣ .

٢- نهاية الادب ، ج ١ / ص ٣٢٧ – ٣٢٨ . وانظر : ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٠١ .

٣- هايد ، ف ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى ، ترجمة احمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – ١٩٩٤) ، ج ٢ / ص ٢٧ .

اضافة الى موقعها الجغرافي المهم ، هناك خيرات ومنتجات وفيرة في مصر فيصفها المقدسي بقوله " وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد ..... ، ومن الصعيد الأرز والصوف والتمر ، ومن تنيس الثياب الملونة ..... ، ومن الفيوم الكتان .... ، ومعاشهم وتجارتهم كل ذلك في غاية الجودة " [١] ، أما ابن مماتي فيصفها " ان اهل الدنيا مضطرون الى مصر ، يسافرون إليهـــا ، يطلبون الرزق منها ، واهلها لا يطلبون الرزق من غيرها ، ولا يخرجون الى سواها ، حتى لو ضرب بينها وبين الدنيا سور لغنى اهلها بها عما سواهــا " . [٢]

وقد اولى الدين الاسلامي اهتمامه بالتجارة وعمل على تشجيعها وازدهارها فقد ورد ذكرها بشكل صريح في عدة مواضع في القرآن الكريم [٣] ، فقد حث الاسلام المسلمين بقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) . [٤]

١- احسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ .

٢- قوانين الدواوين ، ص ٧٨ ، وانظر : المقريزي ، الخطط / ج ١ / ص ٩٢ .

٣- ينظر : سورة البقرة آية (٢١٦) ، (٢٧٥) ، (٢٨٢) ، سورة النساء آية (٢٩) ، سورة التوبة آية (٢٧) ، سورة فاطر آية (٢٩) سورة النور ، آية (٢٧) ، سورة الصف ، آية (١٠) ، سورة الجمعة ، آية (١١) .

٤- سورة الجمعة ، آية (١٠) .

أي إذا فرغ المسلم من الصلاة فليذهب الى التجارة وليبتغوا من رزق الله [١] .
وهناك آية اخرى حدثت على العمل في اوقات اداء فرائض العبادة ، كقوله تعالى (ليس عليكم جناح ات تبتغوا فضلاً من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ...) [٢]

فقد اجازت هذه الآية التجارة في حال الإحرام لانهم كانوا يتحرجون ذلك في صدر الاسلام [٣] ، فقد كان اناس من العرب يتأثمون ان يتاجروا ايام الحج ويسمون من يخرج للتجارة الـداج ويقولون هؤلاء الداج وليس الحاج [٤] .

١- القرطبي ، ابو عبد الله احمد الانصاري ، (ت ٦٧١ هـ / ١٢٢٠ م) ، الجامع لأحكام القرآن ، طـ ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٨) ، ج ١ / ص ١٨ . ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٧٨ م) ، فتح الباري لشرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز الباز وحمود فؤاد عبد الباقي ، طـ ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٩) ، ج ٤ / ص ٢٧٤ .

٢- سورة البقرة ، آية (١٩٨) .

٣- الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ، تفسير التبيان ، تحقيق حبيب قصير العاملي ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – د . ت) ، ج ٢ / ص ١٦٦ .

٤- الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ، الكشاف على حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل ، دار المعرفة ، (بيروت – د . ت) ، ج ١ / ص ٣٤٨ .

أهم المراكز التجارية

اشتهرت بعض مدن مصر في العصر الايوبي كمراكز تجارية هامة ، وكان للموقع الجغرافي والاهمية الستراتيجية وتوفير الامن والحماية على الطرق التجارية المؤدية إليها أثر كبير في زيادة اهمية هذه المناطق . وسنقسم هذه المراكز حسب المواقع الواقعة عليها وهـــي :

أ – المراكز التجارية الواقعة على نهر النيل :

١ – القاهرة :

توسعت القاهرة في العصر الايوبي باعتبارها عاصمة الدولة ومركز نشاطها . وتأتي اهميتها من حيث موقعها الواقع عند التقاء الطرق التجارية بين بحرين : البحر المتوسط والبحر الاحمر (١) ، كما كانت اهميتها تنبع من كونها محطة تجارية لقوافل الحجاج المسلمين من الحج المغربي وقافلة الحج المصري ، لذلك أصبحت نقطة تجمع السلع وقاعدة توزيعها . (٢)

وتزخر القاهرة بالسفن الحاملة للبضائع ، ففي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، كانت هناك اعداد كبيرة منها تقف على ساحل المقس ، اضافة الى التي تقف عند باب القنطرة (٣) . وقُـدر عدد هذه المراكب بمـا لا يقل عن ٣٦٠٠ مركب (٤) .

١- عبد المنعم ، صبحي ، تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الاسلامي حتى عهد الايوبيين (٢١ - ٦٤٨ هـ) ، دار العربي للنشر والتوزيع ، (القاهرة – ١٩٩٤) ، ص ٢٤٩ . هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٢ / ص ٣٢٢ .

٢- جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٠١ ، عبد المنعم ، تاريخ مصر ، ص ٢٤٩ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٤١٧ .

٤ – ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ١٩١ . هايـد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

اذ كانت الحركة دائمية فتجوب المراكب النهر ذهابـــاً وايابــاً ، مما يعطي الارصفة مظهراً حيوياً [(١)] . وكانت عبارة عن محطة رئيسية لنقل السلع بين اوربــا والشرق [(٢)] ، إذ وصفت بأنها عظيمة آهلة يجيئ إليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالاً يحيط بجملته ولفصيله الى خالق الكل جـل وعــلا [(٣)] .

وقيل عنها انها مجمع الصادر والوارد [(٤)] . يبدو مما سبق المبالغة في عدد السفن الواردة إليها وعدد الاموال التي تجبى من هذه التجارة .

واشتهرت القاهرة بأسواقها العامرة وسلعها التجارية الثمينة من صنع النساجين والصباغ وصانعي الاواني الزجاجية [(٥)] . وارتبطت القاهرة تجارياً بميناء الفسطاط ، وتصل اليها المراكب القادمة عن طريق البحر الاحمر – عيذاب – حتى اصبحت مجمعاً لبضائع الصين والهند ، ومنها تحمل الى سائر البلاد [(٦)] .

١- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .

٢- Werner , D , From Adento india and Cairo " Je wish word Traae in the 11th and 12th Centuries , in : yeman 3000 years of Art and civilization in Arabia Felix , published by um Schau – varlag , (Frank furt – 1987) , p . 167 , 68

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦٨ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٨٧ .

٤- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ٢٠١ .

٥- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

٦- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ٢٠١ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦٨ . ليون الافريقي ، وصف افريقيا ، ص ٥٨٧ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٠١ .

٢ – الفسطاط :

تظهر أهمية الفسطاط التجارية من قربها من النيل في موضع متوسط بين الوجهين القبلي والبحري . فيذكر ابن سعيد " يمر النيل مع طولها وينقسم لديها ، وتحط في ساحلها المراكب الاتية من شمال النيل ومن جنوبه بأنواع الفوائد " (١) .

لذا كان من اثر قرب الفسطاط من النيل ، ان اصبحت هذه المدينة أكثر رزقاً وارخص اسعاراً من القاهرة ، لان ما يصل في المراكب التي ترسو في الفسطاط يباع بالقرب منها ، و لا نجد لذلك مثيلاً في القاهرة ، لبعد ساحلها عن المدينة " (٢) . فكان البيع والشراء يتم اساساً في اسواق الفسطاط حتى ان الشخص الذي في الاسكندرية ، يذهب عادة لشراء سلع الشرق من الفسطاط وليس من أي مكان اخر . (٣)

وعندما تعرضت مدينة الفسطاط لحريق كبير في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م بأمر من شاور بن مجير السعدي بإحراقها ، خوفاً من استيلاء الفرنج عليها ، وأمر اهلها بالانتقال الى القاهرة (٤)

١- ابن سعيد ، المغربي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق زكي محمد حسن ، شوقي ضيف ، سيدة كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، (د . م – ١٩٥٣) ، ج ١ / ص ١ – ٢ .

٢- ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٠٨ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٧ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٨٧ .

٣- جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص ٢٥٦ .

٤- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٠ / ص ١٢ – ١٣ . ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ / ص ٧٠ . ابن الوردي ، ابو حفص عمر (ت ٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م) ، تتمة المختصر في اخبار البشر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٦) ، ج ٢ / ص ٧٣ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٩٣٤ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ / ص ٣١ .

وقد شاهد ابن جبير بعضاً من آثار الخراب اثناء رحلته ، إلا انها جددت مباينها في عهد الايوبيين وعادت لنشاطها الذي كان يمارسه اهلها [١] . وعند انشاء مدينة القاهرة كمركز تجاري لم يؤثر ذلك على نشاط الفسطاط التجاري وهذا ما اكده ابن سعيد بقوله " واما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فأنه فوق ما يوصف وبها مجمع ذلك والقاهرة ، ومنها يجهز الى القاهرة وسائر البلدان " [٢] .

وكانت الفسطاط من اهم مراكز مصر التجارية منذ نشأتها [٣] ، ومحطة كبرى لتجارة المرور بين الشرق والغرب [٤] .

كما وصفها العديد من المؤرخين بأنها الان مدينة كبيرة غاية من الخصب والعمارة ، فسيحة الطرقات متقنة البناءات قائمة الاسواق نافعة التجارات [٥] .

١- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٩ .

٢- المغرب في حلى المغرب ، ج ١ / ص ١١ .

٣- Lane – poole , Stanley , AHistory of Egypt in the Middle Ages , (London – 1968) , p . 17 .

٤- القوصي ، عطية ، تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، دار النهضة العربية ، (القاهرة – ١٩٧٦) ، ص ٤٢ .

٥- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٢٣٢ . القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٣٧ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٤٢ .

لذلك اهتم الايوبيون بإنشاء المباني التجارية في الفسطاط ففي سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ ، أمر صلاح الدين أبن اخيه تقي الدين عمر ببناء فندقــاً لتجار الكارم في الفسطاط ، فبناه على شاطئ النيل حيث ترسو مراكبهم ، وأما في سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب عظمت عمارة الفسطاط ، وضخمت اسواقها ، وبني فيها للسلطان قيسارية عظيمة ونقل إليها من القاهرة سوق الاجناد الذي يباع فيه الفراء والجوخ [١] .

٣ – أسوان :

وهي ثغر من ثغور كورة القوصية طوال العصر الايوبي [٢] ، وتقع على الضفة الضفة الشرقية لنهر النيل وكانت قصبة اقليم الصعيد [٣] ، ويقابلها من الشرق ميناء عيذاب [٤] .

وتميز الطريق بين عيذاب وأسوان بشدة الحرارة وقلة الماء . إلا أنه يتميز بقصره ، فكانت تقطعه القوافل في خمسة عشر يومـــاً [٥] .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦٧ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٨٨ .

٢- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٤٥٥ . ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ / ص ٢٠ .

٣- الاصطخري ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد (ت قرن ٤ هـ / ١٠ م) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (مصر – ١٩٦١) ، ص ٤٨ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ص ١٩١ . ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٢٩ .

٤- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ص ١٩١ . ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١٣ . ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ / ص ٣٥ . المقريزي ، الخطط ، ج ٥ / ص ٥٥٤ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٧ .

٥- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٣٣ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٩ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ص ١٩٢ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٧ .

كما اشتهرت أسوان كمحطة تجارية هامة في طريق القوافل الذاهبة الى بلاد النوبة والسودان [(١)] . كما عمل اهل أسوان بالتجارة كالعطارة والصمغ والتمور الذي ينتشر على ضفتي النيل [(٢)] . واشتهرت كذلك بثرواتها الحيوانية من الغنم والبقر والغزلان [(٣)] .

أمـــا عن التبادل التجاري بين مصر والنوبة فكان يتم في قرية يلاق التي كانت بمثابة سوق لأسوان ، تأتي إليها سفن النوبة ، وسفن المسلمين من مصر ، حيث يتم التبادل التجاري بينهما [(٤)] ، أضافة الى التجار كانوا يفضلون الذهاب عن طريقها الى عيذاب بدلاً من قوص لأنه يمتاز بقصره وكذلك تتيح لهم فرصة اكبر في تبادل السلع مع تجار النوبة فيها [(٥)] .

١- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٧٠ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٤٨ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٤٠ .

٢- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠١ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ص ١٩٢ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٩ – ٤٠ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٧ .

٤- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٤٠ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٦١٩ .

٥- المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٥٤ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٩٦ . الحويري ، محمود محمد ، أسوان في العصور الوسطى ، ط ١ ، (القاهرة – ١٩٨٠) ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

٤ – تنيس :

وهي جزيرة في وسط بحيرة مفردة عن البحر الاعظم وبينها وبين البحر الاعظم بر أخر مستطيل ، وهي جزيرة بين البحرين (النيل والبحر المتوسط) و اول هذا البر قرب الفرما والطينة * ، وهناك فوهة يدخل منها ماء البحر الى تنيس في موضع يقال له " القرباج " فيه مراكب تعبر من الفرما الى البر المستطيل الذي يحول بين البحر الاعظم وبحيرة تنيس (١) .

كما تميزت بكونها منطقة تجارية هامة فقد وصفت " بأنها مدينة حافلة بالاسواق العامرة بالحوانيت والطواحين والمعاصر كما كان بها المناسج الى جانب الفنادق والقياسر ودار الصناعة " (٢) .

واستمدت تنيس اهميتها التجارية من شهرتها في تصدير المنسوجات الكتانية الفاخرة التي كان شهرة عالمية (٣) ، فقد عرفت بصناعة " رفيع الثياب من الديبقي والشروب المصبغات من الحلل التنيسية التي ليس في جميع الارض ما يدانيها في الحسن وللقيمة " (٤)

---

* الطينة : وهي مرفأ للسفن . ينظر : ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٩١ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٠١ .

١- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ / ص ٥٢ . القزويني ، اثار البلاد ، ص ١٧٦ .

٢- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٧ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٨ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ١٩ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٠٨ .

٤- - الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٨ . القزويني ، اثار البلاد ، ص ١٧٧ .

ووصفت أيضاً بأنها مدينة كبيرة اهلها مياسر واصحاب ثراء واكثرهم حاكة ، وبها يحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا " (١) .

٥ – قــوص :

تعد اهم مركز تجاري نهري في مصر ، الى الشمال من اسوان لوقوعها عند نهاية القوافل الممتدة بين عيذاب والنيل ، ولكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنين والهنود وتجار الحبشة (٢) ، لأنها محط للجميع ومحط للرحال ومجتمع الرفاق ، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندريين ومن يتصل بهم ، ومنهم يفوزون بصحراء عيذاب (٣) . كما كانت محطة مرور تجارة البحر المتوسط (٤) .

وازدادت اهمية قوص كمحطة تجارية ، بعد ان اتخذها تجار الكارم مركزاً لتجارتهم " فكان فيها مستودعاً لتجارتهم " (٥) ، كما اقيمت في قوص الفنادق والحمامات والمباني التجارية التي اعدت لإقامة التجار والحجاج قبل سفرهم (٦) .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٤٩٩ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٣٧ .

٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٤١٣ . ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١١ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ٨٦ . ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٣٣ .

٣- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٣٧ . الذهبي ، تجارة مصر في العصر الفاطمي ، ص ١١٢ .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٢٥ .

٥- النويري ، نهاية الادب ، ج ٢٩ / ص ٦٥ . هــايد ، تاريخ التجارة ، ج ٢ / ص ٤٩٣ .

٦- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ٧١ . ابن بطوطة ، رحلة ، ج ١ / ص ٢١٨ .

اذ قيل عنها انها " ملتقى تجار عدن " [(١)] ، كما ضمت عدداً كبيراً من المخازن والاسواق الفاخرة وامتلأت بأصناف البضائع كالتوابل والعاج والبخور والتمور والذهب وقطع الرخام الملونة [(٢)] .

كما كان يسكنها عدد كبير من التجار الاثرياء [(٣)] . يبدو من طبيعة قوص ونتيجة لقربها من نهر النيل ووفود التجار اليها اصبحت مركزاً مهماً لسكن الاثرياء وذلك لقربهم من مراكز تجارتهم مما جعلها من المناطق المزدهرة بالتجارة .

٦ – دميـــاط :

تقع دمياط على احد فرعي النيل المسمى باسمها وعادة كان يقصدها التجار الاوربيون كالبنادقة وغيرهم ، لذلك عدت ميناء مصر الاول لوقوعها على مصب النيل وقربها من بلاد الشام وبسبب اهمية موقعها جعلها عرضة لهجمات الغزو الصليبي عامي (٦١٦ هـ - ٦٤٧ هـ / ١٢١٩ م – ١٢٤٩ م) [(٤)] ، اذ تعد من اشهر موانئ النيل وهي همزة الوصل بين نهر النيل والبحر المتوسط [(٥)] .

١- ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١١ .

٢- الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٨٥ . هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٢ / ص ٢٩٣ .

٣- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٢ / ص ٢٩٢ .

٤- البيومي ، اسماعيل ، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٩٨) ، ص ١٨١ . الجميلي ، النشاط التجاري في مصر ، ص ١٥١ .

٥- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ / ص ٤٧٢ . الوطواط ، من مباهج الفكر ، ص ١٣٦ – ١٣٧ . ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١٧ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ٤٢٣ . ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٣٥ .

اذ لعبت دوراً تجارياً واستراتيجياً هاماً بحكم موقعها ، فقد كانت مركزاً لتبادل السلع الصادرة والواردة . وإليها تصل المراكب من اوربـــا ، واقامت فيها جاليات اوربية ، اذ كانوا يزاولون تجارة منتجات بلادهم بها ، وكان لهذه الجاليات قنصليات معتمدة في المدينة (١) .

وكانت مركزاً لصناعة النسيج ، وبها سوق لبيع المنسوجات الى الدول الخارجية ، وقد اطلق على منطقة كازرون اكبر مدن فارس في صناعة المنسوجات ، ودمياط العجم (٢) ، لتشابه المنسوجات الكتانية فيما بينهم . واشتهرت أيضاً بصناعة السكر اذ تعد من المناطق المتقدمة في صناعته (٣) . وقد وصفها ابن حوقل (٤) " ومن جليل مدنها – أي مصر – وفاخر ضواحيها تنيس ودميــاط " .

كما برزت اهمية دمياط كونها سوق للمبادلات التجارية (٥) ، وقد كانت المدينة معرضة للغزو من جهة البحر (٦) .

١- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ / ص ٣٠٠ .

٢- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٣٣ .

٣- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ / ص ٤٧٢ . ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٣٥ .

٤- صورة الارض ، ص ١٥٢ .

٥- الشيال ، جمال الدين ، مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، (د . م – ٢٠٠٠) ، ص ٦٧ .

٦- شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٣١ . ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١٧ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ٩٣ .

لذلك فقد تأثرت بالهجمات الصليبية ، ففي سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، تعرضت لحصار من قبل الفرنج ، وعانى اهلها الشدائد من الجوع وقلة الاقوات والغلاء والوباء نتيجة هذا الحصار (١) .

وفي نفس السنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م قام السلطان الكامل ببناء مدينة المنصورة بالمنزلة ، واقيمت فيها الفنادق والحمامات والاسواق ، فأخذت مكانة دمياط كمحطة تجارية على طريق النيل – البحر المتوسط (٢) . ورغم هذا بقيت دمياط تحظى باهتمام الايوبين ، ففي سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م أعـاد السلطان الصالح نجم الدين تحصين أسوارها وشحنها بالمقاتلة ، وعمر الجسور والقناطر التي حولها (٣) .

ثانياً – المراكز الواقعة على البحر المتوسط :

١ – الاسكندرية :

تقع مدينة الاسكندرية على بحر الروم (المتوسط) عند مصب النيل (٤) ، وهي واقعة على الطريق الساحلي المتجه الى شمال افريقيا ، الممتد من برزخ السويس شرقاً الى فاس في اقصى الغرب (٥) .

١- الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ / ص ٢٠٣ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ٢٠٨ . ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٢١ .

٢- ابو الفدا ، المختصر ، ج ٢ / ص ١٨٤ . هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٢ / ص ٢٩٠ .

٣- القزويني ، اثار البلاد ، ص ١٩٣ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ / ص ٣٣٧ .

٤- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥١ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٦ – ١٩٧ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ١٨ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٤ – ٥٥ . ليون الافريقي ، وصف افريقيا ، ص ٥٧١ .

٥- سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الاسكندرية – ١٩٨٢) ، ص ٢٥٨ .

وهــي " مدينة كثيرة العمارة رائجة التجارة ، شاهقة البناء ... أسواقها كثيرة الاتساع " [١] . كما تردد إليها العديد من التجار عن طريق البر والبحر لمزاولة النشاط معها وهم محملين بمختلف البضائع [٢] .

وبهـذا امتازت الاسكندرية بموقعها الاستراتيجي من الناحتين الجغرافية والتجارية ، فمركزها الساحلي بين مصب فرع النيل الغربي والبحر المتوسط جعل منها سوقاً تجارية دولية ، تنتقل إليهـا كما تنقل منها البضائع الى الغرب الاوربي [٣] . وفي سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م زار الاسكندرية بنيامين التطيلي ، شاهد في مينائها سفناً تنتمي الى تسع وعشرون دولة . وقال عنها " الاسكندرية بلدة تجارية فيها اسواق لجميع الامم ، يؤمها التجار من جميع الممالك النصرانية كافة من البندقية وصقلية وحنبوة وبيزا .... وتأتيها التوابل والعطور بأنواعها فيشتريها تجار النصارى ، ولتجار كل أمة فندقهم الخاص بهم ، وهم في ضجة دجلية يبيعون ويشترون " [٤] .

كما وصفها ابن شاهين بأنها هي التي تحدد أسعار السلع للعالم [٥] . لذا فقد اهتم بهـا الايوبين واستمرت في زمنهم مركزاً تجارياً هاماً ، فقد منح السلاطين تسهيلات تجارية لتجار المدن الاوربية ، ففي سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م كان في ميناء الاسكندرية سبـع وثلاثون سفينة تجارية من حنبوة والبندقيـة ومدن اخرى ، ولـم يكـن

١- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣١٩ .

٢- الشيال ، جمال الدين ، تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٧) ص ١٠٥ .

٣- بنامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٩ . سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٥١٥ .

٤- بنامين ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٩ .

٥- زبدة كشف الممالك ، ص ٤١ .

مثل هذا العدد ذا أهمية كبيرة ، مقارنة بمئات السفن التجارية التي كانت تمتد على ذلك الميناء في فصلي الصيف والخريف [١] . وهذا تأكيد على الاهمية الكبيرة التي تمتعت بها الاسكندرية المتمثلة بالموقع الجيد وكثرة خيراتها وتعدد أسواقها .

٢ – الفرمـــا :

وهي من أقدم المدن بين العريش والفسطاط على ساحل البحر المتوسط على يمين القاصد لمصر [٢] ، وتكتاز بأهمية كبيرة لكونها محطة تجارية قديمة [٣] ، كما تقع على الشاطئ الشرقي لبحيرة تنيس [٤] ، لذا وصفها المقدسي بأنهـا مجمع الطرق ولهـا أسواق حسنة [٥] .

وكان التجار يأتون إليهـا من البر والبحر ليلاً ونهاراً من الفسطاط والشام [٦] . وكان الفرما تصدر التمر الذي تنتج منه بكميات كبيرة [٧] .

١- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٢ / ص ٤٩ .

٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٢٥٦ .

٣- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٥٤ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ٢٠٤ .

٤- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٦٠ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ / ص ٥٣ .

٥- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .

٦- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٥٤ .

٧- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٢٥٥ . ابن خرداذية ، ابو القاسم عبد الله (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٢ م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل (ليدن – ١٨٩٦ م) ، ص ١٥٣ .

يبــدو ان الفرما قد تعرضت هي الاخرى الى الخراب والتدمير على أيدي الصليبين حالها حال المدن الاخرى التي هاجمها الصليبين ، اذ دخلها أكثر من مرة ، كذلك قام بتخريبها الزير الفاطمي شاور اثناء صراعــه على الوزارة مع ضرغــام (١) . كما تعد الفرما مفتاح الديار المصرية لشهرتها بمصائد الاسماك (٢) .

ثالثاً : **المراكز التجارية التي تقع على البحر الاحمر والمحيط الهندي** :

١ – السويـس :

تعد السويس فرضة مصر والشام ، فمنها كانت تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن (٣) . وقد حلت السويس محل القلزم الذي كان من محطات مصر التجارية (٤) ، واصبحت السويس ميناء مصر على البحر الاحمر (٥) .

وقد بدأت بالازدهــار في مجال النقل من مصر الى الحجاز ، فكانت السلع والغلال تصلها بالبر من مصر لتنقل الى جدة وغيــرهـــا (٦) . كما ان بعض سفن البحر الاحمر اخذت بالوصول إليهــا من عدن (٧) .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٩٣ ــ ٥٩٤ .

٢- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .

٣- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٣٠ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٥٣ .

٤- الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٦٦ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٩٦ .

٥- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٣٨٨ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ / ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

٦- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٢٨٦ .

٧- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٣٧ .

وكانت السويس تستقبل سلع تجار الكارم الواردة الى الجزيرة العربية ، وقـد كان يقييم بها وكلاء عن تجـار الهند والصين والحجاز والسودان ، وكانت تستقبل سفن الكارم على مدار السنــة (١) .

٢ – عيـــذاب :

وهـــي فرضة مشهورة (٢) ، تقع على الساحل الغربي للبحر الاحمر (٣) ، وهي من موانئ التجارية المهمـــة ومرسى المراكـــب القادمة من الشرق الى عدن وجـدة (٤) ، كذلك زادت اهميته كونه محطة هامة لطريق قوافل الحجاج الى الحجاز (٥) ، أضافة الى كونه منفـذاً لمعدن الذهب الذي يكثر انتاجه في وادي العلاقي (٦) .

وامتازت اهمية موقعه كونه سوقـاً لتجارة اللؤلؤ من البحر الاحمر فُـيذكـر " وفي بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها يخرج إليه الغواصون في وقت معين من كل سنة في الزوارق ، حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هناك اياماً ثم يعودون بما قسم لهم الحظ " (٧) .

١- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ / ص ٣٢١ – ٣٢٢ .

٢- ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢١ .

٣- البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ / ص ٦١٩ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ١٧١ .

٤- الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٢٤ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٩٦ .

٥- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٤٢ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٦٧ . ابن اياس ، نزهة الامم ، ص ١٩٦ .

٦- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٤ .

٧- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٤٦ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٦٧ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٢٤ .

وتزداد اهميته كونه آمن من الشعب المرجانية التي تشكل خطراً للسفن ، لذلك كان أكثر الموانئ المرغوبة المطلة على البحر الاحمر [١] . ويبـــدو انها كانت مصدر رزق لاهل عيذاب فيذكر ابن جبير ذلك بقولــه " واهلها بسبب الحجاج تحت مرفق كثير لان لهم على كل حمل طعام يحملونه ضريبة معلومة ، ولهم أيضاً من المرافق من الحجاج إكراء الجلاب منهم وهي المراكب ، فيجتمع لهم من ذلك مال كثير في حملهم الى جـــدة وردهم وقت انفضاضهم من اداء الفريضة وما من اهلها من ذوي اليسار ، الا له من الجلية والجلبتان ، فهـــي تعود عليهم برزق واســـع " [٢] .

يبـــدو ان نقل الحجاج من عيذاب الى جـــدة ، وإعادتهم كانت له فائدة تعود لاهل عيذاب اذ اصبحت هذه الطريقة مصدر رزق لهم ، وازهار لمنطقة عيذاب لما تمتاز به من اهمية ستراتيجية .

ولكن على الرغم من تلك الاهمية إلا انها كانت تحمل ظروف خطرة وقاسية على الحجاج فقد عانوا الكثير من الظلم من اصحاب المراكب في عيذاب [٣] .

١- ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٣٣ .

٢- رحلة ابن جبير ، ص ٤٥ .

٣- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٣٤ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٢٤ .

فيصفهـا مرة أخرى ابن جبير بقولـه " ولأهل عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت ، وذلك أنهم يشحتون الجلاب حتى يجلس بعضهم على بعض ، وتعود بهم وكأنهم أقفاص الدجاج المملوءة ، ويحمل اهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء ، حتى يستوفي صاحب الجلية منهم ثمنها في طريـق واحد ، لا يبالي بمـا يصنع البحر بعد ذلك ، ويقولون علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح " [١] .

يتضح مما سبق جشع اهل المراكب في عيذاب في الاموال غير مهتمين بأرواح الحجاج والغرض من ذلك كله الحصول على الاموال الكثيـرة .

٣ – القصير :

وهـي مرسى السفن [٢] ، ويقع شمالي عيذاب [٣] ، وهو ثاني ميناء لمصر على البحر الاحمر من حيث الاهمية لقربها من قوص ، وبعد عيذاب عنهـا [٤] ، فقد كانت طريق تسلكه القوافل التجارية أي قوافل الكارم ، وتعـد فرضة قوص كونها قريبة من موانئ البحر الاحمر الى قوص [٥] وكان المسافر يقطعها في خمسة أيـــام [٦] .

١- رحلة ابن جبير ، ص ٤٧ – ٤٨ . وانظر : المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٥٦٧ .

٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٣٦٧ .

٣- الوطواط ، من مناهج الفكر ، ص ٩٨ . ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١١ . ابن عبد الحق ، عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق محمد البجاوي ، دار الجبل ، (بيروت – ١٩٩٣) ، ج ٣ / ص ١٠٣ .

٤- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٣٦ – ٥٣٧ .

٥- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٣٦٧ . ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١١١ .

٦- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٣٦٧ . الوطواط ، من مناهج الفكر ، ص ٩٨ .

ولكنهـا لم تبلغ عيذاب في كثرة الواصل إليها من التجـار والحجاج [١] ، لقـرب عيذاب من منطقة جــدة [٢] .

أضـــافة الى ان الرياح الموسمية لا تدفـع السفن كثيـراً الى الشمال أبعـد من عيذاب ، لهـذا اعتبرت القصير ميناءً ثانوياً بالنسبة الى ميناء عيذاب [٣] .

الاســـواق :

يُعرف السوق بأنه موضوع البياعات [٤] ، والسوق يذكر ويؤنث وتسوق القوم أي باعوا واشتروا [٥] ، أمـــا أصل اشتقاقها من سوق الناس إليهـــا بضائعهم [٦] ، وجمعها أسواق [٧] .

١- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٣٧ .

٢- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ١٣٤ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٢٣ .

٣- سالم ، السيد عبد العزيز ، البحر الاحمر في التاريخ الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الاسكندرية – ١٩٩٣) ، ص ٦٧ .

٤- ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٠ / ص ١٦٦ .

٥- الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٢٦ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٦ / ص ٣٨٧ .

٦- ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ج ١ / ص ٤٧٦ .

٧- الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٦ / ص ٣٨٧ .

وقـد قسمت الاسواق الى ثلاثة انواع ، الاول الاسواق الرئيسية وهي الاسواق التي تتم فيها المبادلات التجارية وتجارة التوزيع ، أضـافـــة الى انفراد بعضها في بيع نوع من انواع المنتجات الاستهلاكية (١) .

أمـا النوع الثاني فهي اسواق الاحياء الشعبية وتحتوي على عـدة حوانيت منهـا البقالـة وافران الخبازين ومـا شابـه ذلك ، وهي عادة ما تعرف بالسويقة (٢) .

أما النوع الثالث من الاسواق وهي المختصة بالمنتجات الريفية وعادة ما تقع عنـد أطراف المدن (٣)

لعبت الاسواق دوراً واضحاً في حياة البلاد الاقتصادية في العصر الايوبي اذ تركز على النشاط الاقتصادي في هذه الاسواق ، فكانت مراكز البيع والشراء للسلع المحلية التي يحتـاج إليهـا الناس في هذه الاسواق ولسلع تجارة الشرق التي كانت عامل الرواج التجاري في هذه الاسواق .

وقد ازدادت هذه الاسواق وتطورت مع الايام تطوراً كبيراً اذ كانت في مصر والقاهرة وظواهرها الشيء الكثير ، وقـد باد اكثرها فيذكر المقريزي " وكفاك دليلاً على كثرة عددها ان الذي خرب من الاسواق فيما بين اراضي اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقاً ، أدركناها عامرة فيما بين حوايته نحـو الستين حانوتـاً .

١- السيف ، نيكيتا ، التخطيط المادي ، ضمن كتاب المدينة الاسلامية ، ترجمة احمد محمد تعلب ، (اليونسكو – ١٩٨٣) ، ص ١٠٧ .

٢- السيف ، التخطيط المادي ، ص ١٠٦ .

٣- شالميتـا ، بدور ، الاسواق ، ضمن كتاب المدينة الاسلامية ، ترجمة احمد محمد تعلب ، (اليونسكو – ١٩٨٣) ، ص ١١٠ - ١١٢ .

وهذه الخطة جملة ظاهر القاهرة الغربي ، فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر " [١] . وقد اطلق العمري على اسـواق القاهـرة بـ " الاسـواق الممتـدة " [٢] .

وقد تركزت هذه الاسواق حول ابواب المدينة الرئيسية [٣] . وأهـم هـذه الاسـواق :

سوق باب الفتوح [٤] **:** يقـع هذا السوق فيمـا يعرف بشارع المعز الآن ، أي القصبة ، وقد أنشيء هذا السوق في العصر الايوبي ، عندما سكن بهاء الدين قراقوش * بحارة بهاء الدين داراً له في تلك المنطقة ، وقد اختص هذا السوق باللحامين وبائعي الخضر [٥] ، ويقصده الناس من اقطار البلاد ولشراء انواع اللحم من الضأن والبقر والماعز ، ولشراء اصناف الخضروات المختلفة [٦] . و وصفه المقريزي بقولـه " وهي من اجل اسواق القاهرة وأعمرهـا " [٧]

١- الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٠ .

٢- مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ٨٥ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٠ .

٤- انظر : رقم ٥٥ ، خريطة (١) .

* بهاء الدين قراقوش : هو بهاء الدين قراقوش الاسدي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أحد كبار رجال الدولة الايوبية ، وكان متولياً لمشروع سور القاهرة الصلاحي ، ينظر : ابو شامة ، تراجم رجال القرنين ، ص ١٩ .

٥- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٨٥١ . ماكنزي ، القاهرة الايوبية ، ص ٢٦٦ .

٦- مبارك علي باشا ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ط ٢ ، (القاهرة – ١٩٧٠) ، ج ٢ / ص ٧٦ – ٧٧ .

٧- الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨١ .

سوق حارة برجوان [١] :

كان هذا السوق يعرف بالعصر الفاطمي سوق امير الجيوش بدر الجمالي ، وقد اسسه بدر الجمالي عند مدخل حارة برجوان الى الشمال قليلاً من الجامع الاقمر في شارع المعز لدين الله [٢] ، وكان اكبر سوق في القاهرة تباع فيه اعداد كثيرة من الاطعمة والخضراوات واللحوم ويستمر العمل فيه حتى اوقات متأخرة من الليل [٣] ، ولكنه تعطل بأسره سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ – ١٤٠٤ م .

كما يوجد فيه انواع عديدة من الحوانيت المتخصصة في كل نوع من انواع المواد الغذائية ، فقد كان فيه حانوت يباع فيه حوائج المائدة كالبقل والنعناع وغيرهـا ، وحانوت آخر لا يباع فيه إلا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التي تسرج في الليل وقد اشتهرت هذه السوق بشدة الزحام لكثرة الاقبال عليها . [٤]

سوق الشماعين [٥] :

يقع هذا السوق في القصبة بالقرب من الجامع الاقمر وكان سابقاً على انشاء الجامع (٥١٩ هـ / ١١٢٥ – ١١٢٦ م) [٦] ، وكان هذا السوق موجوداً في العصر الفاطمي ويعرف بسوق القماحين وبعد مجيء الايوبين (٥٧٦ – ٦٤٨ هـ) الى مصر تغير أسم السوق الى الشماعين [٧] .

١- انظر رقم ٥٤ ، خريطة (١) .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٨٥٣ .

٣- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٦ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٣ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٣ .

٥- انظر رقم ٥٠ ، خريطة (١) .

٦- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٤ .

٧- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٤ .

وكانت تبيع فيه الشمع ، وكانت هذه من اعظم الاسواق لأنها مكتضة بالحوانيت ، وتبقى مفتوحة الى منتصف الليل [١] . وكانت حركة هذه السوق تزداد في بعض المواسم مثل موسم الغطاس [٢] ، حيث تعلق الفوانيس طوال الليل بالسوق اثناء الاحتفال بهذا الموسم ، وتحول هذه السوق الى شعلة مضيئة كذلك في شهر رمضان كان الاقبال على هذه السوق كبيراً لشراء الشموع الكبيرة الحجم للاحتفال بهذه المناسبة [٣] .

سوق الدجانين :

وهذه السوق تباع فيه انواع الطيور في جميع أيـــام الاسبوع ، مـــا عدا يوم الجمعة ، إذ تتحول هذه السوق الى سوق لبيع الطيور الخاصة بالزينة مثل القماري والبيضاء والسمان وغيرها [٤] .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٤ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٥ .

٢- ينظر الفصل الثالث ، ص ١٤٨ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٥ . جاستون فييت ، القاهرة ، ص ١٥٧ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٥ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن ، ص ١٥٧ .

سوق الحلاويين :

وهي التي تباع فيها الحلوى المتخذة من السكر وتشمل على حلاوة متنوعة صنعت على اشكال الحيوانات والطيور والفاكهة وبطريقة متقنة ، ويكثر فيها الزحام ايام شهر رمضان ، اذ يتم فيها صناعة الحلوى الخاصة بعيد الفطر ويتم توزيع جزء مما يصنع على بقية اسواق القاهرة ومصر والارياف .(١)

سوق الخروقيين (٢) :

يقــع سوق الخروقيين * في موضع شارع امير الجيوش نسبة الى بدر الجمالي وهو الطريق الواصل بين شارع المعز وشارع بورسعيد في القسم الشمالي الشرقي من القاهرة ، وكان هذا الشارع يجري في زمانه من القصبة الى باب القنطرة على الخليج بين حارة بهاء الدين وحارة برجوان (٣) ، وبعد زوال الفاطمية عرف بسوق الخروقيين .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٩٢ – ٥٩٣ .

٢- انظر رقم ٥٣ ، خريطة (١) .

* الخروقيين : من الخرقة ، والخرقة القطعة من الثوب ، والخرقة : المذقة منه ، وهي الثوب او الرداء الغليظ والامتعة والملاحق المتان وما اشبه ذلك ، ينظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص ١٢٦ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٩٢ – ٥٩٣ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٥ .

وكانت تشمل على عدة حوانيت للحاكة والخياطين والرسامين ، وسائر الثياب المخيطة ، والامتعة والفرش [١] . وفي هذا السوق عمر الامير مازكوج الاسدي مدرسته المعروفة بالازكجية . [٢]

سوق الجملون الصغير [٣] :

يقع الى الشرق من القصبة في موضع شارع ديبا الحالي غرب وكالة قوصون وجنوب زيادة جامع الحاكم * ، وعرف بالجملون الصغير [٤] ، نسبة الى الامير جمال الدين بن صيرم أحد امراء الملك الكامل الايوبي [٥] .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٩٥ – ٥٩٦ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٥ .

٢- تقع هذه المدرسة بالقاهرة على رأس سوق الخروقيين بناها الامير سيف الدين أيـازكوج الاسدي مملوك أسد الدين شيركوه واحد امراء السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وجعلها وقفاً على الحنفاء من الحنفية فقط في سنة (٥٩٢ هـ / ١١٩٥ – ١١٩٦ م) وكان ايازكوج رأس الامراء الاسدية بديار مصر في ايام السلطان صلاح الدين وايام ابنه الملك العزيز عثمان . ينظر : ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ١٩٨ .

٣- انظر رقم ٦٢ ، خريطة رقم (١) .

* جامع الحاكم : اول من اسسه العزيز بالله بن المعز وخطب فيه وصلى بالناس ، ثم أكمله الحاكم بأمر الله ، وكان يعرف بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور وقد تم عمارته في سنة (٣٩٣ هـ) وحبس عليه الحاكم عدة قياسر واملاك بباب الفتوح ، وقد هدم في الزلزلة في سنة (٧٠٢ هـ) . ينظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ / ص ١٩٦ .

٤- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٩ .

٥- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٩٦ .

وقد انشأ ابن صيرم أيضاً المدرسة الصيرمية في هذا السوق او بجواره (١) ، وكانت تحوي هذه السوق على الكثير من دكاكين البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان واصناف ثياب القطن (٢) .

سوق المهمازيين وسوق اللجميين (٣) :

وهما سوقان متصلان ببعضهما البعض ظهراً بعد زوال الحكم الفاطمي (٤) ، وتقع في القصبة الى الغرب من الجامع الازهر في مواجهة دار الضرب (٥) ، ويباع فيه لوازم حيوانات الركوب ، كالمهاميز *

١- وهي المدرسة التي بناها الامير جمال الدين شويخ بن صيرم احد امراء الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب وتوفي في التاسع عشر من صفر سنة ست وثلاثين وستمائة ، وتقع من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة امير الجيوش . ينظر : ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٠٥ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٨٨ .

٣- انظر رقم ٥٨ ، خريطة (١) .

٤- ويدل على موقعها في العصر الحديث شارع الغورية . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١١٢ – ١١٣ .

٥- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٧ .

٦- مهاميز : جمع مهماز وهي آلة من حديد تكون في رجل الفارس ولها رأس حادة يضرب بها جانب الفرس لتتحرك ويزداد عدوها ، ويصنع المهماز من ذهب خالص او فضة خالصة وفي بعض الاحيان من حديد مطلي بالذهب او الفضة . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ / ص ١٤٤ .

والسلاسل والسروج التي كان يعمل بعضها من الجلد البلخاري الاسود ليستعمله القضاة والشيوخ (اقتداءً بعادة بني العباس في استعمال السواء على ماجوده بديار مصر السلطان صلاح الدين بعد زوال الدولة الفاطمية) [١] .

سوق المرحلين :

يقع هذا السوق بالقرب من رأس حارة برجوان ، وقد اختصت ببيع ما يحتاج اليه في ترحيل الجمال للسفر من الاروية وغيرها من سائر ما يحتاج اليه ، ويقصدها الناس من سائر انحاء مصر ، وتعد من أعمر الاسواق في موسم الحج ، فكل من اراد ان يعد مائة رجل او اكثر في يوم واحد ووجد مشقة في تحقيق ذلك يمكنه ان يحقق غايته هنــا نظراً لوفرة كمية المعدات اللازمة في المتاجر ومخازن التجار [٢] . ويدل ذلك على نشاط السوق وسهولة حركة البيع والشراء فيه .

سوق السلاح [٣] :

يقع هذا السوق في وسط بين القصرين بين بيبرس البندقداري ومدخل قصر يشتاك [٤] ، وقد أنشئ هذا السوق بعد زوال الدولة الفاطميــة ، وكان يبــاع فيه القسى *

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٨ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٩ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٢ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٣ .

٣- انظر رقم ٥٦ ، خريطة (١) .

٤- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٧ .

* القسي : جمع قوس ، وهو قضيب من الخشب يشد طرفاه أقصر من طول القضيب فيقوس ، ويوضع فيه السهم فيطبقه . وهي على انواع كبيرة وصغيرة . ينظر : الطرطوسي ، تبصرة أرباب الالباب ، ص ٦ – ١٠ .

والنشاب * والزرديات ** ، وغير ذلك مما يحتاجه الجند من انواع الاسلحة المختلفة [(١)] .

سوق الشوايين [(٢)] :

وهو اول سوق وضع بالقاهرة اثناء خلافة المعز سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ – ٩٧٦ م ، وكانت في الاصل سوق الشرايحيين (الجزارين) الذين تم نقلهم بعد سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ – ١٣٠١ م ، وتمتد هذه السوق من باب حارة الروم الى سوق الحلاويين أي الى الشرق من القصبة (شارع المعز لدين الله) [(٣)] .

سوق باب الزهومة [(٤)] :

كان هذا السوق في العصر الفاطمي سوقاً للصيارفة ، وكان حوله عدد من الاسواق ، وقـد أخذ هذا السوق اسمه من اسم باب في الركن الجنوبي الشرقي بالقصر الفاطمي الشرقي [(٥)] .

---

* النشاب : وهي النبال يرمى بها القسي وتعتبر من انواع الرماح ، ويصنع من قصب مدور من الداخل او من خشب الزان ، ويركب عليه رأس ، ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ / ص ١٤٠ – ١٤١ .

** الزرديات : هي عبارة عن قمصان تصنع من الزرد الخالص وبعضها يكون قصيراً والبعض الاخر طويلاً يغطي ساقي الفارس . انظر : ابم سيدة ، المخصص ، ج ٢ / ص ٧١ – ٧٢ .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٦ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٩ .

٢- انظر خريطة ١ ، رقم ٤٨ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ١٠٠ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٣ .

٤- انظر خريطة (١) ، رقم ٥١ .

٥- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ٢٦٤ .

وكان يقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة * الى نحو رأس الحريريين اليوم ، وسوق العنبر الذي كان آنذاك سجناً يُعرف بالمعونة ** ويقابل السيوفيين آنذاك سوق الزجاجين ، وينتهي الى سوق القشاشين الذي يعرف اليوم بالخراطيت (١) ، ولكنه ازيل وبنى فيه المدرسة الصالحية ، فيذكر المقريزي انه بعد زوال الدولة الفاطمية تغير ذلك كلــه (٢) ، فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة الى درب السلسة *** ، كما تحول سوق باب الزهومة الى سوق للمأكل والاطعمة وكان من اجل اسواق القاهرة وأفخرهـــا موصوفاً بحسن المأكل وطيبهـــا (٣) .

---

* خط الخشيبة : سمي بالخشيبة لأنه كان يقع على مدخله في العصر الفاطمي خشيبة تمتع الافراد من المرور راكبين لوجود مسجد بجوارها كان في وقت من الاوقات مدفنــاً للخليفة الفاطمي الظاهر (٥٤٤ – ٥٤٩ هـ) ، وقد ازال صلاح الدين هذه الخشبة . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٠ .ويدل على هذا الخط في الوقت الحاضر شارع المقاصيص . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١٠٧ – ١٠٨ .

** سجن المعونة : كان هذا السجن في الاصل خطة لقيس بن سعد بن عبادة الانصاري (رض) الذي جعلها بعد موته للمسلمين ، وجعلت مخزنــاً للفلفل في العصر الاموي ، فعرفت بدار الفلفل ، وفي العصر العباسي جعلت داراً للشرطة ، وفي العصر الفاطمي حولت الى حبس . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ١٨٧ – ١٨٨ .

١- كانت هذه الاسواق جميعاً تقع على شارع الجوهرجية الحالي . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١٠٥ .

٢- الخطط ، ج ٢ / ص ٩٧ .

*** درب السلسلة : سمي بهذا الاسم نسبة الى السلسلة التي كانت توضع عنده مساءً لمنع المرور من خلال ميدان بين القصرين وذلك في العصر الفاطمي . ينظر : المقريزي : الخطط ، ج ٢ / ص ٣٨ .

٣- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٥ .

سوق البندقانيين [١] :

يقع الى الغرب مباشرة من الازهر ، في منتصف المسافة بينه وبين الخليج [٢] ، وكان يعرف قديمـاً سوق بئر زويلة ، وكان هناك بئر قديمة برسم إصطبل الجميزة * الذي كان فيه خيول الخلفاء الفاطميين ، وبعد زوال الدولة الفاطمية اختط مكانه الدور وعرف موضع الاصطبل بالبندقانيين [٣] ، وقيل لهذا السوق سوق البندقانيين ، وصارت فيه فيما بعد مساكن وسوق من جملته عدة دكاكين لعمل قسي البنادق الذين جعلوا لهم حوانيت في هذا السوق [٤] .

سوق الشرابشيين [٥] :

أنشئ بعد سقوط الدولة الفاطمية ويقع في القصبة عند موقع جامع الغوري الآن او بالقرب منه [٦] ، وسمي بالشرابشيين نسبة الى الشربوش *

١- انظر خارطة (١) ، رقم ٥٣ .

٢- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٥ .

* اصطبل الجميزة : سمي بالجميزة لأنه كان في وسطه شجرة جميزة كبيرة وكان يقع الى الجنوب الغربي من القصر الصغير ويشغل الآن المنطقة الممتـدة من عطفة المارستان الى آخر شارع سوق السمك القديم . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ص ١٣٩ – ١٤٠ .

٣- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ص ١٥٩ – ١٦١ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ١٠٤ – ١٠٥ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٦ .

٥- انظر خارطة (١) ، رقم ٥٩ .

٦- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١١٢ ، ١١٧ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٨ .

* الشربوش : هو غطاء الرأس يوضع عليهـا ويشبه التاج ويبدو انه مثلث الشكل ، وقد اختص الامراء بلبسه . ينظر : هايد ، الملابس المملوكية ، ص ٥١ .

وكان يباع فيه الخلع التي يلبسها السلطان والامراء والوزراء والقضاة وغيرهم [١] . وبجانب هذا السوق أنشيء سوق الحوائصيين ** وكانت تباع فيه ملابس الاجناد وازيائهم [٢] ، وكذلك أنشيء سوقي الجوخيين والفرائيين في تلك الفترة لأن الجوخ والفراء اصبحـا من لوازم الجند وزيهم [٣] .

سوق بين القصرين [٤] :

يقع في القسم الشمالي من الساحة التي تتوسط بين القصرين الفاطمين ، واصبح سوقـاً للأطعمة بعد زوال الدولة الفاطمية وتغيير استخدام القصرين [٥] ، فكان به سوق كبير للمـأكل يجلس فيـه الباعة مساء كل يوم لبيـع الانواع المختلفة من الطيور المقلاة ولحم الاوز المطحين علاوة على الاجبان والفواكـه والحلـوى [٦] .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٩٨ .

** الحوائصيين : نسبة الى الحياصة او المنطقة كما كانت تعرف ايضاً وهي حزام يشد به الوسط كان يصنع من معادن ثمينة . ينظر : هايد ، الملابس المملوكية ، ص ٤٧ – ٤٨ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٩٩ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ١٠٣ . مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ٢٤٨ ، ٢٥٢ .

٤- انظر خارطة (١) ، رقم ٦٠ .

٥- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٢٩ ، ٩٧ . ماكنزي ، الدولة الايوبيـة ، ص ٢٦٨ .

٦- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٢٨ . مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ٨٩ – ٩١ .

سوق الصـاغـة [١] :

كانت هذه السوق تقع في مواجهة المدرسة الصالحية الى الجنوب مباشرةً من مدرسة قلاوون ، في موضع مطانح القصر [٢] ، وموقعهـا حاليـاً في سوق شارع الجوهرجية [٣] .

سوق البيـاطـرة [٤] :

يقع هذا السوق بين الصاغة والقصر الشرقي وقد نقلت الى هذا الموقع من ركن الملحق في وقت بناء المدرسة الصالحية ، اذ كان ركن الملحق يقع خلف الجامع الاقمر مباشرةً [٥] .

١- انظر خارطة (١) ، رقم ٦٤ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ١٠٢ . ماكنزي ، الدولة الايوبيـة ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

٣- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١٠٨ .

٤- انظر خارطة (١) ، رقم ٦٥ .

٥- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ٢ / ص ١١٩ . ماكنزي ، ص ٢٧٠ .

والى جانب الاسواق الكبيرة كانت هنالك سويقة وهي مصغر سوق ، تختلف عن السوق في الحجم ومن هذه السويقــات :

سويقة البلشون :

وتقع هذه السويقة خارج باب الفتوح ، ونسبت الى سابق الدين سنقر البلشون احد مماليك السلطان صلاح الدين الايوبي (١) ، وكان له ايضاً بستان بالمقس خارج القاهرة يعرف ببستان البلشون (٢) .

سويقة الصاحب (٣) :

تقع هذه السويقة الى الغرب من الجامع الازهر بالقرب من الشاطئ الشرقي للخليج ، وقد عرفت بسويقة الوزير نسبة الى الوزير يعقوب بن كلس * وزير الخليفة العزيز بالله اذ كانت على باب داره ، وقـد عرفـت داره فيمــا بعـد بـدار الديبــاج **

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦١٠ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٥٩ .

٢- ماكنزي ، الدولة الايوبيــة ، ص ٢٦٨ .

٣- انظر رقم ٤٩ ، خريطة (١) .

* يعقوب بن كلس : هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم (٣٦٧ – ٣٧٣ هـ / ٩٧٧ – ٩٨٣ م) أزل الوزراء الفاطمين في الديار المصرية كان يهوديــاً ثم أعتنق الاسلام على المذهب الاسماعيلي . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ / ص ٢١ – ٣٤ .

** دار الديباج : تحتل هذه الدار مساحة كبيرة من المنطقة الواقعة فيمــا بين اول درب سعادة من جهة جامع جقمق الى عطفة الصابونجية ومن شارع المنجلة من اول هذه العطفة الى شارع الحطاب بطولــه . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ص ١٩٩ .

إذ كان ينسج فيها الديباج وهو الحرير ، وفي نهاية الدولة الفاطمية عرف هذا السوق بـالسوق الكبير (١) ، ولمـا ولـي صفي الدين عبد الله بن شكـر الدميـري وزارة الملك العادل ابي بكر بن ايوب سكن في هذا الخـط وأنشأ بهِ مدرستـه التي تعرف اليوم بـالمدرسة الصاحبية ، وأنشأ ايضاً رباضه وحمامـه المجاورين للمدرسة فعرفت بعد ذلك بـسويقة الصاحب (٢) .

سويقة المسعودي (٣) :

تقع هذه في وسط الجزء الغربي من القاهرة شمال سويقة الصاحب ، وهي من حقوق حارة زديلة بالقاهرة شيب الى الامير صارم الدين قايحاز المسعودي مملوك الملك المسعود أقسيس ابن الملك الكامل وقد ولـى المسعودي ولاية القاهرة وكان ظالمـاً غاشمـاً جبـاراً (٤) ، وقـد قُتـل المسعودي سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٦٥ – ١٢٦٦ م (٥) .

أضافة الى مصر والقاهرة فقد حوت مدن اخرى اعداد كبيرة من الاسواق ، فالإسكندرية التي تميزت بكثرة الاتساع والازدحام (٦)

١- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦٠٤ – ٦٠٥ .

٣- انظر رقم ٦٣ ، خريطة (١) .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦٠١ .

٥- ماكنزي ، الدوبة الايوبية ، ص ٢٦٩ .

٦- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٤ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣١٩ .

وصفت بـأنــها " مقنطرة لا يصيب اهلها المطر " [١] ، وكذلك مناطق اخرى تكثر فيهــا الاسواق مثل دميرة [٢] ، وقيلوب [٣] ، ودميــاط [٤] ، كذلك مدينة سنباط فيها تجارات واسواق عامرة [٥] .

كما اشتهرت الجيزة " بـسوق السمـك " فكان السمك يحمل على الجمال من بركــة قارون بالفيــوم الى هذه السوق [٦] ، كذلك الفيوم فيهــا اسواق متصلـــة مسقوفــة [٧] ، وفيها سوق خاص بالدواب ، اذ بلغــت الرسوم المترتبــة عليـه في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م ، مبلـغ ١٥٥ دينار [٨] .

أمــا قـوص فقد كانت " حفيلة الاسواق متسعة المرافق ، كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار " [٩] .

١- البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢٠ / ص ٦٣ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٤ .

٢- البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ / ص ٦٢٢ .

٣- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٨ .

٤- العمري ، مسالك الابصــار ، ج ٢ / ص ٩٤ . ابن دقماق ، الانتصــار ، ج ٤ / ص ٨١ .

٥- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ٢ / ص ٣٥٥ – ٣٣٦ . ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ٢٠٠ .

٦- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ٢ / ص ١٣٢ .

٧- النابلسي ، تاريخ الفيــوم ، ص ٢٦ .

٨- المصدر السابق ، ص ٣٠ .

٩- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٤٠ . ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ٢٢٨ .

كذلك تميـزت تنيس بأسواقها الفخمة اذ بلغ عدد الدكاكين فيها ألفان وخمسمائة دكان (١) ، وقـد غلب عليهــا التخصص ، فكان بهــا ١٥٠ وكان يبـاع فيه البز والثياب (٢) ، و ١٠٠ دكان للعطارة (٣) . يبـدو ان سوق تنيس تميز بكبر حجمه بدليل عدد الدكاكين الموجودة فيــه .

هذه كانت الاسواق الدائمة أي كان العمل بها طوال الاسبوع وهناك اسواق في مصر عُرفت " بـالأســواق الاسبوعيــة " التي تعقد في يوم محدد من ايام الاسبوع ، يعرفه التجار وعامة الناس ، فيجتمعون فيه من اجل ممارسة نشاطاتهم التجارية ، ومن هذه الاسواق سوق الجيزة ، فقد كان يعقد كل يوم أحد وكان يقصدها التجار من انحاء مصر (٤) ، فيصفــه المقريزي " والجيزة لها في كل يوم أحد سوق عظيم تجلب اليه من النواحي أصناف كثيرة جـداً من البضائــع ويجتمع فيه عالم عظيــم " (٥) .

١- التنيسي ، انيس الجليس ، ص ١٨٤ .

٢- المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

٣- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٩١ .

٤- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٩ . الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٨٣ .

٥- الخطط ، ج ١ / ص ٥٧٥ .

أمـــا قرية دمسيس * فكان بهـا سوق يعقد كل يوم سبت [١] ، وقرية قدقوس ** بهـا سوق نافعة يعقد كل يوم أربعــاء [٢] ، وايضاً مدينة انتوهـي *** بها سوق يعقد في يوم معلوم [٣] ، وفي الفيوم في منطقة بحوية لهــا سوق يوم الخميس [٤] .

يتضـح ممـــا سبق ان اسواق مصر قد تميزت بأتساعهــا ، كما كانت معظم اسواق مصر والقاهرة مبلطة ومسقفة لحماية السابلـــة من المطــر [٥] .

---

* دمسيس : بالفتح ثم بالسكون وهي قرية من قرى مصر بينها وبين سمسنود أربعة فراسخ وهي قرية عامرة ولها سوق يوم السبت يباع فيها ويشترى من الثياب والامتعة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ / ص ٤٦٣ .

١- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٤ .

** قدقوس : وهي قرية كبيرة جداً ذات بساتين وزروع ، ولها سوق نافعة يوم الاربعاء . ينظر : الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٤ .

٢- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٤ .

*** انتوهـي : وهي مدينة عامرة ولها اسواق وتجارات بينها وبين دمسيس تسعين ميلاً ولها سوق في وقت معلوم . ينظر : الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٣ .

٣- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ / ص ٣٣٤ .

٤- النابلسي : تاريخ الفيوم ، ص ٦٩ .

٥- الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٤ .

وقـد خضع النشاط الاقتصـادي لأشراف الدولـة من خلال عدد من الموظفين أهمهم المحتسـب الذي كان يقوم بالتفتيش على بضـائـع التجـار من حيـث الجودة والرداءة لهـم من الغش [١] ، ومن احتكار السلع والتلاعب في المكاييـل والموازين والاسعار [٢] .

وقـد عرفت اسواق مصر وظيفة المحتسب قبل العصر الايوبي ، فيذكـر المقدسي " ان المحتسب عندهـم كالأميـر " [٣] . أضـافـة الى وظيفة المحتسب السابقة كان له دور في ابعاد حوانيت الصناعات التي تحتاج الى نـار كالخبـازين واصحاب الحدادة والطباخ وابعادهـم عن حوانيت العطارين والقطانين والحريريين ، حتى لا يحصل الضرر من مجاورتهم [٤] .

كما كان المحتسب يشرف على اصحاب الحرف والمهن وكان له دفتـر خاص بهِ يُعرف (بـدفتر المحتسـب) يسجل فيه اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، كما كان يخصص لكل حانوت من الحوانيت كمية محـددة من الدقيق لكل يوم ويلزمهم بذلـك اذا امتنعـوا [٥] .

١- ابن تيمية ، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ، الحسبة ومسؤوليـة الحكومة الاسلاميـة ، تحقيق صلاح عزام ، دار الشعب (القاهرة – ١٩٧٦) ، ص ٢١ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٦١ .

٢- الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ١٥ .

٣- احسن التقاسيم ، ص ١٩٨ .

٤- الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ – ١٢ .

٥- الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢١ – ٢٤ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٦٥ – ٩٦ .

وأمـا المكان الذي يشرف على مراقبة المكاييل والموازين فقد اولت الدولة في العصر الايوبي الإشراف على هذه الدار وقـد اطلق عليه (دار العيـار) ، فيصفها ابن مماتي " هذه الدار يحتاط فيها للرعية في موازينهم وسنجهم ومكاييلهم ، ويحترس المستخدمون والمحتسب على التغيير فيـهـا بما يصح ويحقق عندهـم ، ومن حضر إليهـم ، ورغب في ابتياع شيء منهم أباعوه وحصل من فضل الثمن ما يرد الدار ارتفاعـاً ، وجرت العادة بـأن يعايـر على أربـاب الموازين فمـن وجدوا سنجه زايدة او ناقصة استهلكوهـا وبـاعوا عليه غيرهـا ، بعد ختمهـا ...... وكانوا لا يمكنون احـداً أن يـزن بزلـط ولا حجـارة " (١) .

ولكثرة الحرف وتعددهـا ، لم يكن بوسع المحتسب الاشراف عليها بمفرده ، لذلك اتخذ له " عرفـاء " لمساعدتـه ، واوضح ذلك الشيزري بقولـه " ولمـا لم تدخل الاحاطة بأفعال السوقة تحت وسع المحتسب جاز لـه أن يجعل لأهل كل صنعه عريفـاً من صالح اهلها خبيراً ببضاعتهـم بصيراً بغشوشهم وتدليساتهم ، مشهوراً بالثقة والامانة يكون مشرفاً على احوالهم ويطالعه بأخبارهم وما يجلب الى سوقهم من السلع والبضائع ، وما تستقر عليه الاسعار ، وغير ذلك من الاسباب التي يلزم المحتسب معرفتهـا " (٢) .

كما كان في كل سوق من اسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائـع عريف يتولـى أمرهـم " (٣) .

١- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ . وانظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٢٨٦ .

٢- نهاية الرتبة ، ص ١٢ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٦٤ .

٣- المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ١٨ .

كما كان على اهل السوق القيام بتنظيف السوق من الاوساخ والطين المتجمع وغير ذلك مما يضر بالناس (١) ، كما منع المحتسب أحمال الحطب والتين وروايــا الماء واوعية الرمــاد واشباه ذلك من الدخول الى السوق لمــا فيهــا من الضرر بملابس العامة في السوق (٢) .

يتضــح ممــا سبق ان العريف لا بــد ان يكون من اهل الحرفــة والأهم من ذلك انه لم يكن مختــاراً من اهل مهنته وانمــا يتم اختياره من قبل المحتسب كرقيب لأهل الصنــاعة ، وينتظر منه منع غشهم وتدلسيهم إذ أنه الخبير في تدقيق الجانب الفني ، فكان يشرف على مراحل الصناعة المختلفة حتى إعدادهــا وبيعها .

بل أن بعض الحرف كان يشترط على أصحابهــا ألا تتـم مراحل معينة منها إلا بحضوره ومن هؤلاء الهرائسيون * والنقانقيين ** كما كانت تستعين بهم الدولة في تقييم بعض المنتجــات (٣) .

١- الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٤ .

٢- المصدر نفسه ، ص ١٣ .

* الهرائسيون : وهم الذين يقومون بصنع الطعام من خليط القمح واللحم . ينظر : الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٦ .

** النقانقيون : وهم صانعوا المصارين المحشوة باللحم والتوابل والبصل . ينظر : الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢٨ .

٣- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، ص ١١٩ . الجعيدي ، العامة في مصر ، ص ٦٥ .

المنشآت التابعة للأسواق :

أقيمت في مصر في العصر الايوبي عمائر تجارية مختلفة من أجل تهيئة السبل أمــام التجار والاجانب منهم بصفة خاصة من أجل ممارسة اعمالهــم التجارية دون عناء كبير ومن هذه المنشآت الفنادق والقياسر والوكالات ، وهذه العمائر وان اختلفت اسماؤهــا وطراز عمارتهــا ، إلا أنها جميعهــا انشئت لتحقيق غايــة واحدة ألا وهــي خدمة الحركة التجــارية .

يبــدو انه لا فرق بين الفنادق والقياسر والخانات والوكالات لأنها جميعــاً مساحات ومؤسسات تقوم بجانب مهمة البيع والشراء ، بوظيفة النزل ومحل الإقــامـة للتجــار وخزن بضائعهم ، وتؤدي مهمة البيع بالتجزئــة ، وتبنــى فوق هذه المؤسسات رباع تؤجــر لطوائف معينة من التجار [١] ، كما وصفهــا ابن بطوطـة [٢] ، طريقه من مصر الى الشام " بكل منزل منها فندق ، وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاجــه لنفسه ودابتــه " .

١- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٦ .

٢- رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ٢٣٢ .

الفنــادق والخـانـــات * :

كان تعبير خان وفندق مترادفين من حيث ناحية التخطيط العام والاداء الوظيفي لكلتــا المنشأتيــن [١] ، فالفندق عبارة عن فنــاء ضخم مربع على شكل الحصن محاط بسور متين تمتـــد خارجــه حدائــق ، ويتــألف الفندق من عدة أدوار تشرف على ساحة داخلية تستخدم لتعبئة السلع والمتاجـر وتفريغهــا ، اذ كانت مستودعات التجار وحوانيتهم في الدور الارضي ، وامــا الدور العلوي فيحتوي على حجرات للنوم [٢] .

وكانت الفنادق قد اقيمت اصلاً للتجار الاجانب [٣] ، كما كان يشرف على كل فندق موظف يعرف بالفندقــي تختــاره الجاليــة التي تبيع لهــا الفندق ويكون مسؤولاً عن تسديد رسوم التجار للسلطان ، ورصد جزء منها لإصلاح وصيانة المبنى [٤] .

---

* الفندق كلمة لاتينية الاصل وتعرف بالخان في المشرق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ / ص ٤٦١ . اما الخان فهو كلمة فارسية الاصل ومعناها الدار ، وفي القاهرة كانت تطلق على السكن المعد لاستقبال واقامة التجار الاجانب ، والكلمتان تطلقان على منشآت من نوع واحد وان كان المرجح استعمال كلمة الخان في المشرق والفندق في غربه . ينظر : القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٩٧ – ١٩٩ .

١- Raymond , Ander and Gaston Wiet , Les marcbes du , (Gaire – 1979) , p . 2 – 15 .

٢- هــايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ / ص ٣٠٣ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٦ . جاستون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٩٧ .

٣- القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٩٩ .

٤- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ / ص ٣٠٤ .

كما ان الفنادق لم تكن مقتصـــرة على سكن التجار الاوربيين ، بل كانت هناك فنادق لتجار الشام والمغرب ولتجار الكارم على طول طريقهم التجاري ، اذ كان تجار الكارم يبنون الفنادق على حسابهم الخاص ولمصلحتهم في قوص وعيذاب والاسكندرية (١) .

اذ كانت هذه الفنادق مركز لنشاطهم التجاري اذ يبيعون فيهــا التوابــل لتجار اوربــا (٢) . ومن هذه الفنادق في العصر الايوبـــي :

فندق ابي الثنـــاء :

يقع هذا الفندق في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص ، وذكر ابن جبير انه نزل في هذا الفندق حينمــا زار مصر سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م (٣) .

فندق ابن قريش :

وهو الفندق الذي قام بأنشائه القاضي شرف الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن قريش ، وهو احد كتاب الملك العادل ابي بكر بن ايوب وخدم ايضاً في دولة ابنه الكامل محمد بديوان الانشاء ، وقد توفي شرف الدين سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (٤) . وقـد كان موضعهــا في السابق اصطبلاً (٥) .

١- القوصي ، تجارة مصر ، ص ٢٠١ .

٢- Fischel , W , The spice trade in the Mamluk Egypt , (JESHO) , Vol – 1 , (1958) . p . 164 .

٣- رحلة ابن جبير ، ص ١٩ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٨٤ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٦ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

٥- - ويدل عليهما في العصر الحديث الحوانيت الواقعة تجاه الشرم والجملون ومطهره الغوري وما خلف ذلك . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ص ١٧١ .

فندق الكارم [١] :

كان عبارة عن فندقين احدهما كبير والاخر صغير [٢] ، وقد انشأه الأميـر تقي الدين بن عمر * – ابن أخ السلطان صلاح الدين – سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وقد خصص هذا الفندق لنزول تجار الكارم ** الذين ازدهرت تجارتهم في تلك الاثنـــاء [٣] .

كذلك كان في الاسكندرية عدة فنادق منها فندقان للبنادقة وفندق لكل من الجنويين والبيازنة ، ولتجار نابولي وتجار كريت وتجار مرسيليـــا [٤] . كذلك فندق الصفار وهو من الفنادق القريبة من وسط المدينة في الاسكندرية ايضاً [٥] .

١- انظر خارطة ٣ ، رقم ٩٦ – ٩٧ .

٢- ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ج ١ / ص ٩٦ .

* تقي الدين بن عمر : هو الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بني أيوب المشهور بصاحب حماة (ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) ، ابن اخي السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي ، وكان ينوب عنه في مصر اثنـــاء غيابه ، وظل كذلك الى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م حيث ولاه صلاح الدين مدينة حماه واشتهر بها . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ / ص ٤٥٦ – ٤٥٧ .

** تجار الكارم : هم تجار السلع القادمة من الهند وجنوب شرق آسيـــا ، وكان من اهم تجارتهم معها البهار والسلع الثمينة . ينظر : القوصي ، تجارة مصر ، ص ٩١ .

٣- ابو شامة ، الروضتين ، ج ٢ / ص ١٩ . القوصي ، تجارة مصر ، ص ٢٠١ .

٤- بنيامين التطيلي ، ص ١٧٩ . هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ / ص ٣٠٤ – ٣٠٥ .

٥- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٣ .

فنـدق النخـلـة [١] :

يقع على الطرق الشرقي للسوق الكبير بجوار المدرسة التقوية مباشرةً (على شاطئ النيل قبالة المقياس) . وكان في موضع الفندق إسطبل ، وقد اوقف الفندق تقي الدين عمر على المدرسة التقوية [٢] .

أمـــا الخانـــات فهي ايضاً عبارة عن مبنى ضخم يشتمل على عدد كبير من الدور ، ويحتوي على عدد كثير من الحجرات ، ويتوسطـه فناء كبير على هيئة رواق مغطى بحيث يسهل استخدامه كمخزن للبضائع ومـاوى للدواب في حـال إقامة التجار فيه [٣] ، وكانت بعض الخانات تشيد لأعمال الخيـر ، كإيواء أبنـاء السبيل والمسافريـن [٤] ، وفي خارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافـر ما يحتاجه له ولدابتـــه [٥] .

١- انظر خارطة ٣ ، رقم ١٠٢ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٣٦٤ . ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ / ص ٩٣ . ماكنزي ، الدولة الايوبي ، ص ٢٨٤ .

٣- القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٩٧ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٥ .

٥- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ / ص ٢٣٢ .

ومـــن أهـم الخـانـــات فـي العصـر الايـوبــي :

خان مسرور (١) :

سمي بهذا الاسم نسبة الى مسرور * احد خدام السلطان صلاح الدين ، وكان من اجل الخانات واعظمها ، وهو مكانات ، احدهما كبير على سيرة من سلك من سوق باب الزهومة الى الحريريين ، والصغير على يمينه من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الازهر (٢) .

وقد كان يتكون من عدة بيوت ، وبه مسجد جامع تقام فيه الجمع والجماعات وكان ينزله اعيان التجار الشاميين (٣) .

خان السبيل :

ويقع هذا الخان خارج باب الفتوح وقد انشأه الأمير بهاء الدين قراقوش ، وقد جعله لأبناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وكان به بئر وساقية وحوض للشرب (٤) .

١- انظر خارطة (١) ، رقم ٧٦ ، ٧٧ .

* وهو مسرور احد الخدام في القصر الفاطمي ثم أختص بالسلطان صلاح الدين ولم يزل حياً الى الايام الكاملية ، ثم انقطع الى الله تعالى ولزم داره وبنى الفندق الصغير الى جانبه ، وهو مائة بيت إلا بيتاً ، وكان لمسرور بر كثير بالشام ومصر . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٣ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٢ – ٥٧٣ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

٣- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١١١ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٥ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٧ . القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٩٨ .

خـان منكـورش [١] :

سمي هذا الخان بمنكورش * ويقع بالقرب من الجامع الازهر في خط سوق الخيميين [٢] ، وقـد انشأه الامير منكورش في سلطنة صلاح الدين [٣] .

وكــان هناك ما لا يـقـل عن مائتــي خان مختلفة الاحجـام والاغراض في مصــر ، وقد كان أيجــار الواحـد منهـا لم يكـن يقل عن اثني عشر ألف دينار في السنــة [٤] .

يتضــح ممــا سبــق ان هذه المنشآت كانت تـؤدي نفس الغرض من حيث استراحة المسافريـن والتجــار ، وقـد ازدهـرت هـذه المنشــآت نتيجة ازدهــار التجارة وازديــاد حركة الانتقــال والسفر خاصــة من قبـل التجـــار [٥] .

١- انظر خارطة (١) ، رقم ٧٤ .

* منكورش : وهو ركن الابن زوج ام الاوحد بن العادل ، وهو احد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وتقدم حتى صار أحد الامراء الصالحية ، عُــــرف بالشجاعة وإصابــة الرأي ، وجودة الرمي توفي سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٦ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٦ . ماكنزي ، الدولــة الايوبيــة ، ص ٢٧٦ .

٣- ويدل على موقعه في الوقت الحاضر المباني الواقعة خلف وكالــة المخلل بالقرب من جامــع محمد أيبـك في شارع الصنادقيــة . ينظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١٠٠ .

٤- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٢٢ .

٥- - القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٩٨ – ٢٠٠ .

القيــاســر :

قياسر جمع قيسارية * ، وهي اكبر من الاسواق وتتكون من عدة أروقــة مسقوفــة بينمــا يحتوي السوق على رواق واحد فقط ، ، كما تحتوي القياسر على ورش للصناعــة بينما تعرض الاسواق بضائع للبيع فقط ، وكان صناع كل حرفــة او باعة كل نوع من البضائع يتركزون في نفس القيسارية او السوق ، ولـو احتوت قيسارية واحدة على عدد من الصناعات فكل منها تتجمــع في رواق واحد [١] .

وتعـد القياسرون المنشآت التجارية التي كان لهــا دور رئيسي في تجارة القاهرة زمن الايوبيين [٢] ، إذ وصفهــا ابن جبير بقولـــه " وكأنهــا الخان العظيم تتغلق عليها ابواب حديـد وتطبق بهــا دكاكين وبيــوت بعضهــا فوق بعض " [٣] .

وقـد كانت القياسر من انشاء الدولة [٤] ، إلا أنهــا في مصر من إنشــاء التجار وكبار الدولــة [٥] .

---

* القيسارية او القيصرية نسبة الى قيصر ملك الروم ، اطلقت على عدة مدن قديمـة تكريماً لبعض قياصرة الروم . ينظر : الجواليقي ، المعرب من كلام الاعجمي ، ص ٢٧١ .

١- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧١ .

٢- القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٩٢ .

٣- رحلة ابن جبير ، ص ٩٣ .

٤- Goitein : A Mediterranean Society , p 194 .

٥- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٥٨ .

ومن هذه القياسر التي أنشئت فــي العصــر الايوبــي :

قيساريـــة جهاركس [١] :

بناهـا الامير فخر الدين جهاركس * ، تقـع هذه القيسارية على الجانب الشرقي من القصبــة الى الجنـوب من ضريـح الغـوري ، وقد تم بناؤهـا سنــة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ – ١١٩٦ م [٢] .

قيسارية ابن قريش [٣] :

تقع هذه القيسارية عند مدخل سوق الجملون الكبير الى الغرب مباشرة من القصبة ، وقد انشأهـا القاضي المرتضى ** في ايام السلطان صلاح الدين ، وكان مكانهـا اصطبلاً [٤] ، وكانت سكنى للتجار الارمن والبزازين [٥] .

١- انظر خارطة ١ ، رقم ٧٢ .

* جهاركس : هو ابن منصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي ، الملقب فخر الدين كان من اكابر امراء الدولة الصلاحية . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ / ص ٣٨١ .

٢- الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ / ص ١٣١ . المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٦٦ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

٣- انظر خارطة ١ ، رقم ٦٦ .

** القاضي المرتضى : هو القاضي المرتضى بن صفي الدين ابو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش المخزومي ، احد كتاب الانشاء ايام صلاح الدين ، قُتل شهيداً في عكا سنة ٥٨٦ هـ ، ودفن بالقدس . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٨٨ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٥٨ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧١ .

٥- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٣ / ص ١٧١ .

قيسارية الفائزي [١] :

تقع هذه القيسارية على الجانب الشرقي من القصبة الى الجنوب مع التقائهـــا الحالي بشارع جوهر القائد وقد عرفت فيما بعد بقيسارية النشابين وتقع عند مدخل سوق الخراطين بالقرب من سوق المهمازيين [٢] .

وقـد انشأهــا الوزير الاسعد شرف الدين ابو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسي ، وكان من جملة نصارى صعيد مصر ، قدم الى القاهرة واسلم ايام الملك الكامل ، كما تولى نظر الديوان في ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب مدة يسيرة وتولى بعض اعمال ديار مصر [٣] .

وقـد خلع من هذه الوظيفة لاتهامه بالاستيلاء على بعض الاراضي فسجن ثم افرج عنه ، وسافر الى دمشق مع الملك المعظم نوران شـــاه سنة ١٢٤٩ ــ ١٢٥٠ م واصبح بعد ذلك وزيراً للملك المعزايبك ، وبعد تنصيب الملك المنصور علي (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ ــ ١٢٥٨ م) بفترة قصيرة أتهم بالتآمر لعزل السلطان الصغير وتوليــه الملك الناصر يوسف الايوبي صاحب دمشق فسجن وتم خنقــه [٤] .

١- انظر خارطة ١ ، رقم ٧٣ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٦٧ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٤ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٦٨ .

٤- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٥ .

قيسارية القاضي الفاضل [١] :

وتقع هذه القيسارية على القصبة في مواجهة جامع المؤيـد [٢] ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى القاضي الفاضل عبد الرحيـم البياني [٣] .

قيسارية الشرب [٤] :

وتقع هذه القيسارية على القصبة الى الجنوب مباشرةً من مدرسة الوري [٥] ، وكانت وقفاً لصلاح الدين الايوبي على صوفية خانقاه سعيد السعداء ، وكانت في الاصل اصطبلاً [٦] .

قيسارية ابن ميسر الكبرى :

تقع بسوق وردان ولها خمسة ابواب [٧] ، وتباع فيهـا القماش الجديد والكتـان الابيـض والازرق ، وتمضي تجارة القاهرة إليهـا في يومي الاحد والاربعاء لشراء الاصنـاف المذكـورة [٨] .

١- انظر خارطة ١ ، رقم ٧١ .

٢- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ١٣١ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٦٤ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٣ .

٤- انظر خارطة ١ ، رقم ٧٠ .

٥- مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٢ / ص ٢٥٢ .

٦- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٥٨ . ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٧٣ .

٧- ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ / ص ٤٠ .

٨- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧١ .

الــوكــالات :

وهــي من المنشآت التجارية التي اقتصرت على نزول التجار القادمين من المشرق الاسلامي ، وكانت بالقاهرة والفسطاط منشأتان تجاريتان في العصرين الفاطمي والايوبي ، يطلق على كل منها دار او دار الوكالة ، وكانت دار الوكالة منشأة حكومية يقوم فيها الموظفون الماليون للدولة بتقدير قيمة البضائع المستوردة او المارة بالبلاد في طريقهــا الى أمــاكــــن أخرى ليقدروا قيمة المكوس او الجمارك المفروضة عليهــا [١] .

أمـــا المقريزي فيصفهــا " وهي في معنى الفنادق والخانات ينزلهــا التجــار ببضائع بلاد الشام " [٢] وتشتمل على بيوت كثيرة وسكان كثيرون ، وتتــم فيهــا عمليــات البيــع والشــراء بالجملة وبالتجزئــة وتــوزيـــع ما يــرد اليهــا الى الأســواق [٣] .

ويبــدو ان الازمة المالية التي تسببت فيهــا الحملــة الصليبيــة على دميــاط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م الى أغلاق دور الوكالــة والفنــادق في الفسطاط والقاهرة التي كانت تبيــع البضائــع وغيــرهــــا [٣] .

١- ماكنزي ، الدولة الايوبية ، ص ٢٨٦ .

٢- الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٧ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٥٧٨ . القوصــي ، تجارة مصر ، ص ٢٠٣ .

٤- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، ج ٣ / ج ٢ / ص ٩٨ – ٩٩ .

الضــرائــب التـجاريـــة :

كانت الضرائب عبارة عن رسوم جمركيــة مكوســاً * تفرض على البضائــع الواردة الى الموانئ المصرية المطلة على البحر المتـوســط [(١)] ، وكانـت تفرض علــى تجــار الروم – بوصفهــم تجــاراً أجانــب غير مسلمين – وقــد عرفت باسم " الخمس او الخمس الرومــي " وتــؤخـــذ من التجــار الاجانب في الاسكندريــة ودميــاط وتنيـــس [(٢)] .

فالخمــس هو " عبارة عمــا يتــأدى من تجــار الروم الوارديـــن على الثغــر بمقتضى ما حصلوا عليــه ، وبمــا بلــغ ما يستخرج منهم عمــا قيمتــه مائــة دينــار ما يناهـــز خمسة وثلاثين دينـــاراً ، وربمـــا أتحط عن العشرين ديناراً ، ويسمى كلاهمــا خمساً " [(٣)] .

---

* المكوس : ما يؤخــذ من التجار في الاسواق والثغور . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ / ص ٢٢٠ .

١- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٣١ .

Chahen , Cl , Makhzumiyyat : Etudes Sur L' histore economique et financiere de L' Egypte medieval , Leidenn- Brill , 1977 , p . 75 .

٢- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٣١ .

٣- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٣٦ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٣١ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٣١٣ .

يـــدل ذلك على ان قيمــة الضريبـــة المفروضــة على البضـــائـع تخضع لظروف التجــارة الدوليــة في ذلـك ، والاوضــاع السياسية والاقتصــاديــة في الدولــة الايوبيــة .

وقـد كانت هذه الضريبــة تختلـف من مركب لآخـر حسـب حجم المركب ونوعيــة حمولتــه ، فهناك مراكب تدفــع رسومــاً بالكامل وهي المراكب التي تكون بضاعتهـــا ألف دينــــار فما فوق ، أمــا البعض الاخر فأنهــا تدفع رسوماً بحق الثلثين عن ستمائة وستة وستين دينـــاراً ، مائــة وواحــد دينــار ونصف وثلث ، والقسم الاخيـر مراكب تدفع رسومــاً بحـق النصف عن خمسمائــة دينــار ، خمسة وسبعيــن ديناراً ، وثمن ونصــف ، وقد أطلق على هذه الفريضة اسم " القوف " [١] .

يبـدو ان هذه الضريبة تفرض على المراكــب التي تـصـــل الى الموانــئ وبعد تفريغ حمولتهــا وسلعتها تحـدد الرسوم عليها .

وهـنـاك ضريبة تسمـى " العرصــة " وتؤخـذ عن محاسبة المراكــب الخمسيـة على رسم الاشراق ، ورسم صحب البحــر ورسوم الولايــة ، ورسوم التـرجمـــة ورسوم كاتب الخمس والمحاســب [٢] .

١- Cahen : Makhzumiyat , p . 90 .

٢- Rabie , Hassanein , The financial system of Egypt (A . H . 564 – 741 / A . P . 1169 – 1341) , oxford university press , London < 1972 , p . 91 .

أضـــافـة الى فرضها على كل تـاجر يصـل على ظهر إحـدى المراكب فيـدفــع ضريبــة ٢٠ % على قيمة ما معـــه من سبائــك او عملة نقديــة [١] .

وفـــي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م وصـل متحصـل الاسكندرية من مـال الخمـس حوالــي (٢٠,٦١٣ دينـــاراً) [٢] .

أمـا المكوس والضرائــب التجاريــة المفروضة على التجار المسلمين ، فقـد اعتبرهـا الفقهـاء داخلة ضمـن الزكـاة ، اذ يستطيع التاجر ان يطوف عامـاً كامـلاً أينمــا شـاء من حـدود البـلاد معفى من المكوس متى دفـع المكـس مرة واحدة وهـو" العشــر " بالإضافة الى الزكاة الشرعية على عين المـال وهي عن كل مائــة دينــار ديناران ونصــف [٣] .

ويـذكــر ابن جبير انه عنـدمــا وصـل الى الاسكندريــة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م وهـو في طريقه لإداء فريضة الحج طالبهم أعـوان الزكاة بـأداء زكاة ما معهـم ، دون أن يبحثـوا إذا ما كان قد حــال عليهــا الحول او لـم يحل ، رغـم ان ما كانوا يحملونــه ليس للتجارة وانمــا لـزاد طريقهـم [٤] .

١- هايد ، تاريخ التجارة ، ج ٣ / ص ٣٢٥ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٣١٣ .

٣- سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد - الدار المصرية اللبنانية للطباعة ، (القاهرة - ٢٠٠٠ م) ، ص ٥٣٦ .

٤- رحلة ابن جبير ، ص ١٣ .

أمـــا عن " رسم التوفيـر " فهو من الرسوم المفروضة وهـو عمـــا يستخرج على يـد جهبذ الديوان من التجار المشترين وتجـار الروم عن كـل مائة دينــار سدس وثمن دينار (١) .

ولمـــا قدم الشاعر ابن عنين * من اليمن الى مصـر أيـام الملك العزيـز عثمـان ، قبض أرباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وتشددوا في مطالبتـه بزكـاة ما معه ، فأنشـد الابيات التاليـــة :

ما كُـل ما يتسمى بالعزيـز لها أهـل ولا كل برق سحبـه غـدقُ

بين العزيزين فرق في احفالهما هذاك يعطي ، وهذا يأخذ الصدقة (٢)

أمـا عن " مال الدولية " فهي من الضرائب التجارية وهي نوع من الزكـاة يدفعهـا اصحاب الحوانيـت وكانت تجمع من عدة قرى في الفيـوم مثل " ذات الصفـا وعليها من الزكـاة خمسة وعشرون دينـاراً وثمن تفصيله دوليـة ثلاثة دنانيـر عن عقـار ..... " (٣) ، وكـذلك في قرية سنـورس (٤) .

١- سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٥٣٥ .

* ابن عنين : هو محمد بن نصر الله بن مكارم الحسين بن عنين ابو المحاسن أعظم شعراء عصره ، ولد سنة ٥٤٩ هـ وتوفي سنة ٦٣٠ هـ . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ / ص ٢٥ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٣١١ - ٣١٢ .

٣- النابلسي ، تاريخ الفيوم ، ص ١٠٥ .

٤- المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

وقـد كـان على جميع حوانيت مصر ان يدفعـوا زكاة (الدوليـة) ليس على صفقاتهم التجارية فحسـب ، بل على السلع التجـارية التي تباع في حوانيتـهم (١) .

أنــواع النــقـــود :

تعـد العملة هي القاعـدة الاساسيـة للتعامـل بين الافراد في البيـع والشراء ، فكانت النقود المتعامـل بهـا في الدولـة الايوبيـة عي النقود الفاطميــة لأنه تغير العملة لا يتـم في يوم وليلة .

بالإضــافة الى اوضاع مصر في بداية عهدها الايوبي وما كانت تعانيه نظراً للكوارث التي تعرضت لها القاهرة في اواخر ايام الفاطمين .

ومنهـا مـا ذكـره المقريـزي عندمـا تعرض النقـد لضائقة قويـة في سنـة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م بقولـــه " وفيها عمت بلوى المصارف بأهل مصر ، لان الذهب والفضة خرجـا منهـا ومـا رجعـا ، وعدمـا فلم يوجـدا ولهج الناس بما غمهم من ذلك ، وصاروا اذا قيل دينـار أحمر فكأنما ذكرت حرمــة الغيور لــه ، وإن حصل في يــده ، فكأنمـا جاءت بشارة الجنـة لــه " (٢) .

١- Rabie : The Financial , p . 99 .

٢- المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ، النقود الاسلامية المسمى شذور العقود بذكر النقود ، تحقيق محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، (النجف - ١٩٦٧) ، ص ٢٨ . وانظر : المقريزي ، السلوك ، ج ١ / ص ٤٦ .

والسبب في ذلك هو اختفــاء الذهب وليس الفضة من ايدي الناس . ولذلك أصــدر صلاح الدين مرسـومـاً جعل بمـوجبـه الفضــة قاعـدة للتعامـل ، وحساب قيمة الدينــار بمــا يصرف به من دراهــم [١] ، ولمــا كان صلاح الدين نائبــاً لنور الديــن زمكـي نقش على احد وجهي الدراهـم الفضيــة الجديـدة اسم نور الديــن وعلى الوجه الاخر اسم الخليفة العباسي المستضيء بــأمـر الله [٢] .

فقـد أمـر السلطان صلاح الدين بسـك عملة ذهبيــة جديـدة وقـام بضرب اسمه على احد وجهيهــا ، كمــا ضرب على الوجــه الاخر اسم الخليفة المستضــيء بــأمر الله وذلك في سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م أي بعـد وفــاة نور الدين وقيام الدولة الايوبيــة [٣] .

وفـــي سنــة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م ضرب عملــة ذهبيــة ثانيــة ونقش اسمه واسم الخليفة العباسي الناصــر لديــن الله [٤] وأمــا في سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٨ م أبطـل صلاح الدين سـك الدراهـم السود [٥] .

١- المقريزي ، الخطط ، ج٣ / ص ٥٣٣ .

٢- المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٨ . السلوك ج ١ / ص ٤٥ .

٣- ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص ٥٢ .

٤- Balog , p : The conage of the Ayyubids London - 1980 , p . 79 .

٥- الدراهم السود كانت اسماء على غير مسميات كالدنانير الجيشية ولم تبلغ قيمة الدرهم الاسود سوى ثلث درهم شرعي . العمري ، مسالك الابصــار ج ٤ / ص ١١٤ . القلقشندي ، ج ٣ / ص ٥١٠ . " وكان التعامل بها خسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين . ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٦٧ .

ثـم أمـر بضـرب دراهـم جديـدة سماهـا بالدراهـم الناصرية وجعلهـا من فضة خالصة ونحــاس نصفين بالســواء [(١)] .

وبـعــد أن تـولــى السلطان الكامل الولاية بعد صلاح الدين تغير أسم السلطان الايوبي على النقود فقط وظلت النقود التي سكهــا صلاح الدين مستخدمة الى مجيء الكامل إذ عدت فترة حكمــه (٦١٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م) بداية عصر جديد للنظام المــالي المصـري [(٢)] .

فقـد كان الكامل مولعاً بعيــار نقاوة الدنانير الاميريــة (نسبة الى الأمـر بأحكــام الله الفاطمـي) ، واراد البروز عنهـا ، وكان لا يوجـد في شرق الارض ولا مغـربهــا دينار أعلى من عيار الاميري إلا الكاملي [(٣)] ، إذ بلــغ سعـر صــرف الدرهــم ٤٣ درهمــاً للدينــار الكاملي [(٤)] .

وفـــي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م أمر السلطان الكامل بضرب دراهـم مستديــرة تألفت من ثلثين فضة وثلثين نحاس وسُميت بالدراهــم الكامليــة [(٥)] . ومنع التعامل بالنقود القديمــة وقــام بجمعهــا وإعــادة سبكهــا ويعمل منهـا دراهـم جديــدة [(٦)] .

١- المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٩ .

٢- المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٣- ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص ٥٠ .

٤- ساويــرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٤٠ .

٥- المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ٨٩ . المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٩ - ٣٠ . العمري ، مسالك الابصــار ، ج ٢ / ص ١٤ . ساويــرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٤٠ .

٦- الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ / ص ٢٧١ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٦٧ .

يبـدو ان الناس وقعوا في ضائقة وشدة من النقود واختلاقهـا ، ومنع السلطان التعامل بالنقد القديم وهو كثير بأيـدي ، ولكرهم للنقد الجديـد لانهم يخســرون فيه الربــع من اموالهم ، لانهم كانـوا يحضرون الى الصيـارف او دار الضـرب خمسة واربعون درهمـاً عتيقـاً فيعطون بها سبعة وثلاثين درهماً جديداً ، فتـكون غرامتهـم فيه الربـع او دونــه [١] .

كمـا أن من يتعـامـل بالدرهم القديم أحـل السلطان دمه ومـالـه ، ومن وجدت معه أحرق ونكل به ، وكان الناس من هذا في شـدة شديـدة [٢] . ولهذا أمـر السلطـان في سنـة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م بـإصدار فلوس نحاسيـة كانت قيمة تلك الفلـوس كل ٤٨ فلس بـدرهـم كاملـي واحـد ، وأنقسم كل فلـس الى أربـع قطـع او كسـور نحاسيـة ، إمعانـاً في تسهيـل الشراء والبيع بين النـاس [٣] .

وقـد كثرت الفلوس ورخصت حتى بلغ الدينـار تسعين درهماً فلوسـاً ، وضـاق الامـر على النـاس ، لان ديوان السلطان لا يستخرج من النـاس في معاملاتــهم إلا ذهبـاً او دراهم ولـم يبق في أيدي الناس إلا الفلوس وكان ذلك في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م [٤] .

١- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٤٥ .

٢- المصدر نفسه ، مج ٤ / ج ١ / ص ٤٦ .

٣- الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٧ / ص ٢٧١ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٤ / ص ١٤ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٦٧ . المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ٩٤ .

٤- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٥ .

دور الضـــرب :

كان بالقـاهرة زمن الفاطمين دار لضرب العملة بجـوار خزانــة الورق ، وقد بقيت هذه الدار الى زمن الايوبين وكانت تحت إشراف الدولـــة (١) .

وكانت تعرف بالدار الامرية نسبة الى الخليفة الفاطمي الأمــر (٢) ، وقـد قام صلاح الدين ببناء دار للضرب بالقـــاهرة (٣) ، كما أضيفت في عهد السلطان الكامل داران أخريان سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م أحدهمــا بالفسطاط والاخرى بقلعة الجبـل (٤) ، أضــافــة الى وجود دار بالإسكندرية والتي سار العمل بها على غرار دار الضرب بالقاهرة (٥) .

١- ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص ٩٢ .

Balog The Coinage of the Ayyubids , p . 62 .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ / ص ٢٤٤ .

٣- المصدر نفسه ، ج ٢ / ص ١٥٩ .

٤- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٤٢ - ٤٤ .

٥- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٣١ .

يبـدو أن دار الضرب التي كانت بالقلعة خصصت لجمع العملات القديمـة من الدراهـم الغيـر جيدة واستبدالها بدراهم جديدة حيث كانت تضرب في اليوم الواحد مائة ألـف درهم يـأخذ عنها السلطان الكامل فائـدة تقدر بـخمسمائـة دينـار [١] .

وكانت أهميـة دور الضرب في انها تختص بإصـدار كافـة العملات المعدنيـة التي تشكل هيكل الاقتصـاد الايوبي ، كما امها تشكل مورداً من الموارد المالية للدولة الايوبية ، ويبـدو ذلك فيمـا يذكـره ابن مماتـي من ان كل ألف دينـار كانت تضرب في دار الضرب بالقاهـرة بثلاثين دينـاراً وقد بلغت سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م أربعة وثلاثين وربع دينار [٢] ، أمـا الدراهم فكانت دار الضرب تـأخذ عن كل ألف درهم أربعة عشر درهماً ونصف [٣] .

وقـد تولى السلاطـين الاشراف العام على دور الضرب وكان لهم نواب يراقبون العمل في دور الضرب من أجل التأكد من جودة العيار المضروب واكتمـال وزنـه ، وتولى هذه المهمة كل من القضـاة والمحتسبين الذين حرصـوا على ان يكون معدن الذهب والفضة صالحـاً لتحويلـه الى دنانير ودراهـم وكان لقاضي القضاة النظر في أمـور الضرب ، وضبـط عيارهـا [٤] .

١- ساويرس ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، مج ٤ / ج ١ / ص ٤٣ - ٤٤ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٣١ .

٣- المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .

٤- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٥٧ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٣١٥ .

ويتـم ضرب النقــود بسبك المعادن المكونة لها حسب النسب المعتمـدة بدار الضرب ويصهـر المعدن حتى درجة السيولة ثـم يصب ليعمل قضبانـاً تـؤخذ أطرافهـا وتسبك لفحــص نسبة المعدن فيهـا ولا سيـما الذهب والفضة ويتـم ذلك بحضور نائب الحاكـم ، ثم تقطع القضبــان قطعاً صغيرة وتصنع النقود المطلوبـة (١) .

وقــد كان يكتب على النقود أسم السلطان ولقبـه وأسم الخليفة العباسي المعاصر لــه ومكــان الضرب وتاريخـه (٢) .

يتضــح ممــا سبق مدى الضرر الذي لحق بأهـل مصر في العصر الايوبي جراء انخفاض قيمة النقود والتغير المستمر في نوعيتهــا ، وفقـد الناس ثقتهـم بالدولة ، لعدم ثبــاتهـا على سياسة نقدية واضحــة ، وازديــاد قلقهم من سرعة تغير النقـود ، وعدم استقرار اسعار صـرفها ، فتكـرر الاعلان عن ضرب نقود جديدة وإلغــاء التعامل بسابقتهــا ، وتحديــد سعر صــرف جديد لكل عملـة .

١- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

٢- ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص ٥٩ - ٦١ .

Balog : The Coinage of the Ayyubids , p 58 , 144 .

الاوزان والمكاييــــل والمقاييــــس :

اعتمدت المعاملات المادية في القاهرة على المكاييـل والموازيـن التي استخدمت لتقديـر السلع والمحاصيـل عن طريق الوزن او الكيل وكان لها دار يعرف بــدار العيــار التي يحفظ بداخلها المكاييل والموازين ، وقـد ارتبطت هذه المعاملات ارتباطاً وثيقاً بحيـاة النـاس وذلك من خلال ارتباطهــا الوثيق في المعاملات التجــاريـة بين الناس أنفسهم من جهة ومن جهة أخرى من جانب التشريع الالهــي في الصوم والزكــاة والخراج والجـزيــة وغيرها من التشريعات الاخرى (١) .

وقــد تعامـل اهل مصر بالرطل كقاعدة لأوزانهم ، كمــا اتخــذوا الاردب اساساً في كيلهم والقصبة اساساً في مساحتهم ، ويمثل الدرهــم قيمة الاوزان والمكاييــل ، وكان الدرهم المصري المعتبر في الوزن يســاوي ٣,١٢٥ غــم (٢) .

الاوزان :

هنــاك الكثير من الاوزان المستخدمة في العصر الايوبي منهــا الرطــل والاوقيــة والقنطــار وغيرها من الموازييــن ، وكانت قيمة الرطل تختلف باختلاف نوع السلعة المراد وزنهــا ، والاختــلاف من مربعــه رخص ثمن السلعة او ارتفاعهــا او ندرتها ، فكان في المحلات ارطـال مختلفة يتعامـل بها الناس في الاسواق (٣)

١- السامرائي ، بهار احمد جاسم ، اسواق بلاد الاندلس من القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن السابع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، (بغداد - ٢٠١٢) ، ص ٢٦٧ .

٢- فالترهنتس ، المكاييــل ، ص ٥٨ .

٣- ابن الاخوة ، معالم ، ص ٨٢ .

كمـــا كان لكل مدينــة رطلهــا الخاص بهــا فقــد " اصطلــح اهل كل اقليم على ارطال تتفاضــل في الزيــادة والنقصــان ...... ولم يوافــق بلد رطلها البلدة الاخرى إلا نــادراً او قرية لقريـــة " [١]

وكان هناك عدة ارطال منهــا الرطل المصــري ويســاوي مائــة واربعة واربعــون درهمــاً (٤٥٠ غـم) [٢] .

وقــد استخدم هذا الرطل في منفلوط ومنية ابن الخصيب [٣] . واما الرطل الليثي فيساوي مائتي درهم (٦٢٥ غم) ، واستخدم في قوص واسيوط واخميم [٤] .

وأمــا الرطل الجروي فيساوي ثلاثمائة واثني عشر درهماً (٩٧٥ غم) [٥] . ورطل المحلة يساوي ثلاثمائة وستة وعشرين درهماً (١,١٨ كغـم) [٦] .

١- ابن الاخوة ، معالم ، ص ٨١ - ٨٣ .

٢- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٤٥٥ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٨٢ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ١٥ . المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ٦٩ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ / ص ٣٢١ . فالترهنتس ، المكاييل ، ص ١٩ .

٣- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٨٢ .

٤- المصدر نفسه ، ص ٨٢ . فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٣٢ .

٥- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٣٢ .

٦- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٨٣ .

أمـــا الاوقية التي يتكون منها الرطل ، فـأوقيــة مصر تساوي اثني عشر درهمــاً (٣٧,٥ غــم) [١] ، واوقيــة الليثي ستة عشر درهماً (٥٠ غــم) ، واوقية قبلوب والفيوم اثني عشر درهماً ونصف (٣٨,٦ غــم) ، واوقية الرطل الليثي ستة عشر درهماً (٥٠ غــم) ، واوقية الرطل الجروي ستة وعشرين درهمــاً (٨١,٢٥ غــم) [٢] .

أمـــا القنطـــار فكان في جميع مناطق مصر متساويـــاً وهو مائة رطل [٣] ، وهو على أربعـــة أنـــواع :

القنطار المصري يعادل ثلاث ويبات وثلث وبحساب الويبــة (١١,٦ كغــم) يكون القنطار المصري (٣٨,٦ كغــم) ، والقنطار الفلفلي استخدم لوزن البهـــارات والتوابــل في الاسكندرية ويســاوي (٤٥ كغــم) ، والقنطـــار الجــروي يساوي مائة رطـل جروي (٩٧,٥ كغــم) ، والقنطار الليثي يساوي (٦٢ كغــم) [٤] .

١- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ١٥ . المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ٦٩ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ / ص ٣٢١ .

٢- البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٢٠٤ .

٣- ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٨٢ .

٤- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٤٠ - ٤١ .

المكاييـــل :

أمـا المكاييل التي استخدمت في مصر وهـــي :

الاردب مكيال مصري ضخم يضم ٦ ويبـات كل ويبـة ٨ أقـداح او ١٦ قدحـاً صغيـراً ، وعليه الاردب ٩٦ قدحاً صغيـراً وهو اردب مصر والقاهرة (١) .

أمـــا في أريــاف مصر فيختلف الاردب فيصل الى احدى عشـرة ويبــة (٢) ، ففي مصر والاسكندريــة يصل ثماني ويبــات أي ما يعــادل أردب وثلث مصري ويساوي ٩٢,٨ كغم (٣) ، واستخدم لوزن القمح والشعير والفـول والحمص والجلبــان والعـدس (٤) .

١- المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٠٨ . السيوطـــي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ / ص ٣٢١ .

٢- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥١٢ . فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٥٩ .

٣- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ١٥ .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٢٠ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٩١ .

وكــان هنــاك في مصر أقداح مختلفة ولكل ناحية منهــا قدح مخصوص بحسب أردبهــا والمستعمل منهــا في مصر القدح المصــري وهو قدح صغير تقديره بالوزن من الحب المعتدل ٢٣٢ درهماً [١] .

وأمــا المـد فهو ينقص قليلاً عن ربــع الويبـة المصريـة وهو أربعة أقداح ، والقدح ٢٣٢ درهماً (٢,٩ كغـم) [٢] ، والكيـل في مصر ٨ أقداح أي ما يعــادل (٥,٨ كغـم) [٣] .

المقاييـــس :

تقسـم المقاييــس الى قسمين الاول لقياس الاقمشــة والاخـر لقياس مساحة الارض .

فالـذراع استخدم لقياس الاقمشة ويختلف طولــه من منطقة الى أخرى فيذكر القلقشندي " أن ذراع الفسطاط يزيـد بعض الشيء عن ذراع القاهرة وربمــا زاد بعض الشيء في النواحــي المصريـة ، وطول الذراع في القاهرة ذراع بـذراع اليـد وأربـع أصــابع مطبـوقـة " [٤] ، ويعرف بــذراع البـز ويساوي ٥٨,١٨٧ سـم [٥] .

١- العمري ، مسالك الابصار ، ج ٢ / ص ١٥ .

٢- المصدر نفسه ، ج ٢ / ص ١٥ . فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٧٥ .

٣- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٧٢ .

٤- صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥١٤ .

٥- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٨٢ .

وكـان البزازيـن أي تجـار القمــاش يقيسون قماشهم بذراع خشب طولـه ٢٤ أصبعـاً * نقش على طرفـه الاول أسم الامـام وهو السلطان ، وعلى طرفـه الثاني أســم المحتسـب خوفـاً من التلاعـب [١] . كما استخدم الذراع لقياس الحصيـر والرخـام [٢] .

وأستخـدم البــاع لقياس الحبال ويساوي ٤ أذرع شرعية والذراع الشرعية تساوي ٤٩,٧٨٥ سم ، ويكون الباع ١٩٩، ٥ سـم [٣] .

أمـــا عن مقياس مساحة الارض فـأهمهـا الفدان والقصبة والجريب والقيراط ، " ان أهـل مصر اتفقوا على ان يمسحوا أراضيهـم بقصبة تعرف بالحاكميـة (نسبة الى الخليفة الحاكم بـأمر الله) ، وطولهـا خمسة أذرع بالبخاري ، فمتى بلغت المساحــة أربــع مائة قصبة أسمهـا فدان " [٤] .

والــذراع البخاريـة تساوي ٧٧,٥ سـم ، فـأن القصبـة تساوي ٣,٩٩ سـم^{٢} ، وأمــا الفدان فيساوي ٦٣٨٤ م^{٢} [٥] .

---

* الاصبع : يساوي ٢,٠٧٨ سم وعليه فإن الذراع الخشب تساوي ٢٤ × ٢,٠٧٨ = ٤٩,٨٧ سم . انظر : فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٨١ .

١- ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٨٠ .

٢- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥١٤ .

٣- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٨٢ .

٤- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٢٧٩ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ٥١٢ .

٥- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٩٤ - ٩٥ .

وأمـا الجريـب فهـو مقياس للارض يسـاوي ١٠٠ قصبـة مربعة ، ويـكون الجريب ١٥٩٢ م^{٢} (١) ، وأمـا القيـراط فيسـاوي ١٦ قصبة (١٧٥,٠٣٥ م^{٢}) (٢) .

١- المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ٦٣ . المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٠٠ . فالترهنتس ، ص ٩٦ .

٢- فالترهنتس ، المكاييل ، ص ٩٨ .

المصـــادر

القرآن الكريم .

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

- الكامل في التاريخ ، مراجعة محمد يوسف الدقاق ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

- ديوان رسائل ضياء الدين ابن الاثير ، ط ١ ، مقدمة هلال ناجي ، الموصل ، ١٩٨٢ .

ابن الاثير ، ضياء الدين الجزري ابو الفتح محمد بن محمد (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)

الادفوي ، كمال الدين ابو الفضل (ت ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ م)

- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

ابن الاخوة ، محمد بن احمد القرشي ، (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) .

- معالم القرية في احكام الحسبة ، نقله روين ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كمبردج ، ١٩٣٧ .

الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) .

- نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

الاصفهاني ، صدر الدين ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم السلفي (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) .

- معجم السفر ، تحقيق عبد الله البارودي ، المكتبة التجارية ، مكة .

الازهري ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الله درويش ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .

ابن اياس ، محمد بن احمد الحفني (٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) .

- نزهة الامم في العجائب والحكم ، تحقيق محمد زينهم ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

الاصفهاني ، عماد الدين ابو عبد الله محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .

- البرق الشامي ، اسطنبول ، ١٩٧٩ .

- الفتح القسي في الفتح القدسي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) .

- الاغاني ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ .

ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م)

- عيوب الانباء في طبقات الاطباء ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الابشيهي ، بهاء الدين ابو الفتح محمد بن احمد بن منصور (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) .

- المستطرف من كل فن مستظرف ، تحقيق ابراهيم صالح ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩ .

البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ /

- الجامع الصحيح ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، دار ابن كثير و دار اليمامة ، بيروت ، ١٩٨٧ .

ابن بسام ، المحتسب (ت قرن ٧ هـ ، ١٣ م) .

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ .

السبتي ، محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) .

- الثقات ، تحقيق السيد شرف الدين احمد ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٧٥ .

البعلي ، محمد بن ابي الفتح الحنبلي ابو عبد الله

- المطلع على ابواب الفقه ، تحقيق محمد بشير الادلبي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨١ .

ابن بعرة ، منصور الذهبي الكاملي (ت قرن ٧ هـ / ١٣ م) .

- كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، لجنة احياء التراث العربي الاسلامي ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٦ .

ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تحقيق عبد الهادي الثازي ، ١٩٩٧ .

البغدادي ، عبد اللطيف (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م)

- الافادة والاعتبار في الامور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق احمد غسان سبانو ، ط ١ ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٣ .

ابو البركان الحنبلي ، عز الدين احمد بن ابراهيم بن نصر بن احمد الكناني (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م) .

- شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٦ م .

البكري ، ابو عبيد (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) .

المسالك والممالك ، تحقيق ادريان فان ليوفت ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، تونس ، ١٩٩٢ .

البكري ، محمد ابي السرور الصديقي (١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م) .

- النزهية الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى ، ط ١ ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

البنداري ، الفتح بن علي (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م)

- سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

بيبرس الدوادار ، ركن الدين المنصوري (ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) .

- مختار الاخبار ، تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

ابن البيطار ، ضياء الدين ابو محمد عبد الله الاندلسي ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) .

- الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، مكتبة المثنى ، بغداد .

بنيامين التطيلي ، ابن يونه النباري الاندلسي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) .

- رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة عزار حداد ، تقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، المجمع الثقافي ، ط ١ ، ابو ظبي ، ٢٠٠٢ .

البيروتي ، ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) .

- الاثار الباقية عن القرون الخالية ، بيروت .

ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتايكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ .

التيفاشي ، احمد بن يوسف (ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) .

- ازهار الافكار في جواهر ، تحقيق محمد يوسف ومحمد بسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، القاهرة .

ابن تيمية ، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ /

- احكام الصيام ،

التنيسي ، محمد بن احمد بن بسام (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)

- انيس الجليس في اخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٧ .

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ /

- كتاب خاص الخاص ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .

ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) .

- رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر .

الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) .

- التعريفات ، دار الكتاب العربي ، تحقيق ابراهيم الابياري ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

الجواليقي ، ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) .

- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد محمد شاكر ، طهران ، ١٩٦٦ .

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

- المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ط ١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اياد الدكت ، ١٣٥٩ هـ .

ابن الحاج ، ابو عبد الله محمد بن محمد الحيدري (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) .

- المدخل ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٢ .

ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

ابن حزم ، ابو محمد علي ، بن احمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)

- الفصل في الملل والاهواء والنحل ، مطبعة الموسوعات ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٢١ هـ .

الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) .

- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ .

ابن حوقل ، ابو القاسم التصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٤٥ م) .

- صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) .

- كتاب العبد وديوان المبتدأ والخبر المعروف بمقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الواحد واقي ، وعلي عبد الواحد واقي ، لجنة البيان العربي ، ١٩٦٦ .

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين ، احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

الدمشقي ، ابو الفضل جعفر بن علي (ت بعد ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) .

- الاشارة الى محاسن التجارة ، تحقيق فهمي سعيد ، دار ألف باء ، بيروت ، ١٩٨٣

ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) .

- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥ .

-الانتصار لواسطة عقد الامصار في تاريخ مصر وجغرافيتها،تحقيق لجنة التراث العربي،دار الافاق الجديدة،بيروت.

الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) .

- كنز الدرر وجامع القرر ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

الذهبي ، الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .

- دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٥٧ م) .

- مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥ .

الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ

ابن زولاق ، (الحسن بن ابراهيم بن الحسين بن الحسن الليثي (ت ٣٧٨ هـ / ٩٩٧ م)) .

- فضائل مصر واخبارها وخواصها ، تحقيق علي محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) .

- الفائق في غريب الحديث ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، ط ٢ ، لبنان .

القرطبي ، ابو عبد الله احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٢٠ م) .

- الجامع لاحكام القرآن ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، مؤسسة الرحالة ، بيروت ، ١٩٨٧ .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) .

- اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ .

القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) .

- اخبار العلماء باختيار الحكماء ، صححهُ محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د . ت .

القلقشندي ، ابي العباس احمد بن علي بن احمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .

- نهاية الارب في معرفة الانساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

-صبح الاعشى في صناعة الانشا ،تعليق محمد حسين،دار الكتب العلمية ،بيروت

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) .

- احكام اهل الذمة ، ط ١ ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٦١ .

- الفروسية ، ترجمة عزت العطار الحسني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ساويرس ، ابن المقفع ، (ت آواخر ق ٤ هـ) .

- سير الاباء البطاركة (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية) ، تحقيق عبد العزيز جمال الدين ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ٢٠٠٦) .

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م) .

معبد النعم ومبيد النقم ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٣ .

السخاوي ، نور الدين علي بن احمد بن عمر (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) .

- تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والسقاع ، تحقيق محمود ربيع ، حسن قاسم ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

ابن ابي السرور ، ابي الحسن علي بن ابي عبد الله محمد بن الرحمن الرومي (

- بلفة الظرفاء في ذكرى تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

السيوطي ، جلال الدين عبد الحافظ (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

- المختار من حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، مراجعة احمد محمد بدوي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، د . ت .

السهروردي ، شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م)

- عوارف المعارف ، طبعه وصححهُ محمد بن عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٩ .

ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) .

- المخصص ، تحقيق خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ .

ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) .

- زبدة الكشف الممالك وبيان الطرق والممالك ، تحقيق بولس راويس ، (باريس ، ١٨٩٤)

ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) .

- تلاحم رجال القرنين السادس والسابع ، عني بنشره عزت العطار الحسني ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٧٤ .

- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد علي ، مطبعة دار الجبل ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ط ٢ .

ابن شداد ، بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م) .

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط ٢ ، ١٩٩٤

الشربيني ، يوسف ابن محمد بن عبد الجواد بن خضر

- هز القحوف في شرح قصيدة ابن شادوف ، ط ١ ، اعداد محمد قنديل ، البقلي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

الشيرزي ، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) .

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، اشراف محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، بيروت ، ١٩٨١ طبعة ثانية .

شيخ الربوة ، محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) .

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ، بطرسبورغ ، ١٨٥٦ .

الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر بن احمد (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .

- الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت .

الصوفي ، محمد بن ابي الفتح

- الصفوة في وصف المملكة المصرية ، مخطوط بالمجمع العلمي ، بغداد ، تحت رقم ٩٤٤ .

الطرطوسي ، مرضي بن علي (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) .

- الاسلحة القديمة (تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الانواء ونشر اعلام الاعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء) ، تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨ .

ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي بن احمد الصالحي (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م) .

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل المنصور ، منشورات محمد بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

ابن الطوير ، ابو محمد المرتضى عبد السلام (٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) .

- نزهة المقلتين في اخبار الدولتين ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ابن ظافر ، جمال الدين ابو الحسن علي الازدي (ت ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) .

- بدائع البدائة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

ابن ظهيرة ، ابو اسحاق برهان الدين ابراهيم بن علي (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) .

- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق محمد السقا ، كامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ، ١٩٦٩ .

ابن عبد الظاهر ، محي الدين عبد الله (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) .

- تشريق الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٢ م) .

- العقد الفريد ، ط ٢ ، المطبعة الازهرية ، مصر ، ١٩٢٨ .

ابن العديم ، الصاحب كمال الدين عمر بن احمد بن ابي جرادة (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) .

- الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، تحقيق سليمى محجوب ودرية الخطيب منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، حلب ، ١٩٨٦ .

ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٨٠٩ هـ / ١٦٧٨ م) .

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط ٢ ، تحقيق مصطفى عبد القادرعطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

عمارة اليمني ، نجم الدين ابو محمد بن ابي الحسن علي بن زيدان القحطاني اليمني (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) .

- ديوان عمارة ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى الارباني واحمد عبد الرحمن المعلمي ، ط ١ ، مطبعة عكرمة ، دمشق ، ٢٠٠٠ .

العمري ، ابن فضل الله شهاب الدين ابي العباس احمد (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .

- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق محمد عبد القادر خربات وآخرون ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط ١ ، الامارات ، ٢٠٠١ .

ابن العميد ، جرجس ابو الياسر ابو المكارم ، (ت ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) .

- اخبار الايوبين ، مكتبة الثقافة الدينية .

القزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) .

مطالع البدور في مقال السرور ، القاهرة ، ١٢٠٠هـ .

الفارابي ،

- الموسيقى الكبير ، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

الفراهيدي ، ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد (   )

- العين ، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

ابن الفرات ، ناصر محمد عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) .

- تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن محمد الشماع ، البصرة ، ١٩٦٧ .

ابو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

- المختصر في اخبار البسر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

- تقويم البلدان ، تصحيح رينود والبارون ماك كوين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ .

ابن الفقيه ، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني (ت ٣ هـ / ٩ م) .

- البلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، عالم الكتب ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٦ .

ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق البغدادي (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م)

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المكتبة العربية ، بغداد .

الفيروز ايادي ، محي الدين محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م)

القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة

الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

- قوات الوفيات والذيل عليها ، دار الثقافة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

ابن كثير ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

- البداية والنهاية ، ط ٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٧٧ .

ليون الافريقي ، الحسن بن محمد الوزان (٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م) .

- وصف افريقيا ، ترجمة محمد صبحي ومحمد الاخضر ، ط١ ، الشركة المغربية للناشرين ، الرباط ، ١٩٥٥ .

ابن المأمون ، جمال الدين اوحلب موسى البطائحي (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م)

- نصوص من اخبار مصر ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري (٤٥٠ هـ / ١١٥٥ م)

- الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

المسبحي ، محمد بن عبد الله (ت ٤١٥ هـ /

- اخبار مصر في سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هـ) ، تحقيق وليم ج . ميلورد ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

المطرزي ، ابو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدين علي (

- المغرب في ترتيب المغرب ، تحقيق محمود فاخوري ، عبد الحميد مختار ، ط ١ ، مكتبة اسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩ .

المقريزي، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي(ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

- المقفى الكبير ، ط ١ ، تحقيق محمد البعلاوي ، دار القرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩١ .

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط ١ ، (تحقيق محمد عبد القادر عطا ، منشورات محمد بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م) .

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، لندن ، ٢٠٠٢ م .

المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله (ت ق ٤ هـ / ١٠ م)

- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ٣ ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١ .

ابن منقذ ، مؤيد الدولة ابو مظفر اسامة بم مرشد الكناني الشيرزي (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .

- الاعتبار ، تحرير فليب حتي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٩ .

ابن مماتي ، الاسعد ابو المكارم (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)

- الفاشوش في حكم قراقوش ، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت

- قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١ .

ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م)

- المنتقى من اخبار مصر ، حققه ايمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

النابلسي ، عثمان بن ابراهيم (ت بعد ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) .

- تاريخ الفيوم وبلاده ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤ .

- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية ، تحقيق كلود كاهن ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ١٩٨٨ .

ناصر خسرو ، علوي (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) .

- سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، تصدير عبد الوهاب عزام ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٣ .

ابن النفيس ، علاء الدين ابن النفيس القرشي (

- الشامل في الصناعات الطبية والادوية والاغذية ، تحقيق يوسف زيدان ، ط ١، نشر المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، ٢٠٠٠ .

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) .

- نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق علي بو ملحم ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

النويري الاسكندراني ، محمد بن قاسم بن محمد ، (٧٥٥ هـ / ١٣٧٢ م) .

- الالمام بالإعلام فيما جرت به الاحكام ، تحقيق ايتبن كومب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيد اياد الدكت ، الهند ، ١٩٦٩ .

الهروي ، ابو الحسن علي بن ابي بكر (ت ٦١١ هـ / ١٢١٦ م) .

- الاشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق جانيت سورويل ، طومني ، دمشق ، ١٩٥٣ .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)

- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣

ابن الوطواط ، جمال الدين محمد بن ابراهيم الكتبي (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

- مباهج الفكر ومناهج العبر ، تحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي ، ط ١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٩٨١ .

اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دار الكتب الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٦ .

- معجم الادباء ، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، حققه عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ .

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب اسحق بن جعفر (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .

- البلدان ، وضع حواشيه محمد امين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

المراجـــع

ابراهيم ، احمد عيسى

- تاريخ البيمارستاتات في الاسلام ، ط ٢ ، دار الرائد ، بيروت ، ١٩٨١

ابراهيم ، حمادة

- خيال الظل ، تمثيليات ابن دانيال ، القاهرة ، ١٩٦٣

ابراهيم ، شحاته عيسى

- القاهرة ، تلبسة الالف كتاب ، دار الهلال ، القاهرة.

احمد ، احمد عبد الرزاق

- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩

احمد ، ليلى عبد اللطيف

- سياسة محمد علي ازاء العربات في مصر ، ط ١ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٦

احمد ، نبيل عبد العزيز

- الطرب والالة في عصر الايوبين واللماليك ، ط ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، ١٩٨٠ .

احمد ، نريمان عبد الكريم

- المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣

ادم متز

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

ارنولد ، توماس

- الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠

اسماعيل ، عباس حلي ،

- السياسة الداخلية في الدولة الايوبية في مصر بعد السلطان العادل ، القاهرة ، ١٩٥٥

اشقر ، سعيد عبود

- الطرقة الباهجة في الامثال والحكم العربية الدارجة ، القدس ، ١٩٣٣

امين ، احمد

- قاموس العادات والتقاليد المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٣

الامين عوض الله

- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، دار الثقافة العلمية ، القاهرة ، ١٩٨٣

بحر ، مجي الرشيد

- القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

بدوي ، احمد احمد

- الحياة الفقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر وبلاد الشام ، طبعة مكتبة النهضة ، ١٩٧٢ .

التنوجي ، محمد

- معجم اعلام النساء ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠١

توفيق ، سامية

تيمور ، احمد

- لعب العرب ، ط ١ ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ١٩٤٨

- الموسيقى والغناء عند العرب ، القاهرة ، ١٩٦٣

جاستون فيين

- القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ترجمة مصطفى العبادي ، بيروت ، ١٩٦٨

جروهمان ، ادولف

- اوراق البردي المصرية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤

الجعيدي ، شلبي ابراهيم

- العامة في مصر في العصر الايوبي ، ط ٢ ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ٢٠١١ م

حسن الباشا واخرون

- القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، اثارها ، مؤسسة الاهرام ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠

- الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥

- الالقاب الاسلامية في التاريخ والوظائف والاثار ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩

حسن ، حسن ابراهيم

- النظم الاسلامية ، ط ٣ ، دار السعد ، القاهرة

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسوريا وبلاد العرب ، ط ٢ ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، ١٦٥٨

حسن ، زكي محمد

- فنون الاسلام ، القاهرة ، ١٩٣٥

حسن ، سعاد محمد

- الحمامات في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٣

حسن ، علي ابراهيم

- نساء لهن في التاريخ نصيب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١

حسين ، علي صافي

- الادب الصوفي في مصر ، ابن الصباغ القوصي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١

الحفني ، ابن ايدكيس

- اللمع في الحوادث والبدع ، تحقيق وتقديم صبحي ، القاهرة ، ١٩٨٦

الحفني ، عبد المنعم

- معجم مصطلحات الصوفية ، ط ١ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٠

الحفني ، محمود احمد

- اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية

- الموسيقى العربية واعلامها من الجاهلية الى الاندلس ، ط ٢ ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ١٩٥٨

حمدي ، احمد ممدوح

- معدات التجميل في متحف الفن الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٥٩

الحرائري ، ابو بكر جابر

- منهاج المسلم ، المدينة المنورة ، ١٩٦٤

حمزة ، عبد اللطيف

- الحياة الفكرية في مصر في العصر الايوبي والمملوكي الاول ، دار المعارف ، ١٩٦٨

الحمامصي ، عبد الله

- البوصيري ، المادح الاعظم للرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨

الخطيب ، حنيفة

- الطب عند العرب ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦

الخفاجي ، احمد عبد الحميد

- جوانب من الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الايوبي ، دار رشاد للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٨١

الخربوطلي ، علي حسين

- تاريخ الكعبة ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٨٧

- مصر العربية الاسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣

خيري ، عبد اللطيف واخرون

- سيكولوجية اللعب ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين ، ٢٠٠٣

دعكور ، عرب

- الدولة الايوبية ، تاريخها السياسي والحضاري ، دار المواسم للطباعة والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٦

الدوري ، عبد العزيز

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار المشرق ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٦ .

دوزي ، رينهات

- تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم النعيمي ، ط ١ ، دار الرشيد للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٧

ديماند ، م . س

- الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد محمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨

الزركلي ، خير الدين

- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمشرقين ، ط ٣ ، دار الفكر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٩

زكي ، عبد الرحمن

- الفسطاط وضاحياتها العسكر والفطائع ، القاهرة ، ١٩٦٦

ابو زيد ، سهام

- مصر الاسلامية منذ الفتح العربي الى نهاية العصر الاخشيدي ، ١٩٨٧

سالم ، السيد عبد العزيز

- تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣

الساعاتي ، حسن

الادب الصوفي في مصر ، مكتبة الدراسات الادبية ، القاهرة ، ١٩٧١

سالبول ، عبد الرحمن

- منشأتنا المالية عبر التاريخ ، المكتبة الثقافية ، دار القلم ، مصر ، ١٩٦٣

ستانلي ، ليفبول

- سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن ، ط ٢ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥١

سيد الاهل ، عبد العزيز

- ايام صلاح الدين ، مطبوعات المجلس الاعلى ، القاهرة ، ١٩٦٤

الشدويب ، حسن

- تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الاسلام الاول الى عصر فارقق الاول ، مطبعة الاستقامة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٨

سيد ، ايمن فؤاد

- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٢

السهروردي (ابي النجيب (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م))

- آداب المريدين ، تحقيق تحسين حميد مجيد ، د . م . د . ت

سلطان ، عبد المنعم

- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، دراسة تاريخية وثائقية ، دار الثقافة العلمية ، ١٩٩٩

سلام ، محمد زغلول

- الادب في العصر الايوبي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٧

ابن الشاطئ ، سمير فراج

- الدولة الايوبية ، ط ١ ، مراية الراية للنشر والاعلام ، القاهرة ، (٢٠٠٥)

شافعي ، سلام

- اهل الذمة في مصر في العصرين الفاطمي والايوبي ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٢

الشامي ، احمد عبد الحميد

- صلاح الدين والصليبيون ، مطبعة النهضة العربية ، ١٩٩١

- دولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام ، ١٩٩٧

الشكعة ، مصطفى

- الادب في موكب الحضارة الاسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨

شلبي ، احمد

- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ط ٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦

الشوات ، عزت

- الموسيقى للجميع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩

الشيال ، جمال الدين

- دراسات في التاريخ الاسلامي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، مصر ، ٢٠٠٠

صالح ، احمد رشدي

الادب الشعبي ،

صباح الشيخلي ، ابراهيم

- الاحتاق في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الاسلامي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٦

الصواف ، مصطفى كامل

- تاريخ الحياة الموسيقية ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق

ضيف ، شوقي

- تاريخ الادب العربي في عصر الدول والولاة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤

طقوش ، محمد سهيل

- تاريخ الايوبين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة ، ط ٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨

عاشور ، سعيد عبد الفتاح

- العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢

- الايوبين والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢

- أضواءجديدة على الحروب الصليبية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٤

- المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧

عاشور ، فايد

- العلاقات السياسية بين المغول والمماليك في الدولة المملوكية الاولى ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٠

عامر ، فاطمة مصطفى

- تاريخ اهل الذمة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٩

عباس ، حسن

- اسامة بن منقذ ، حياته وشعرهُ ، تقديم محمد مصطفى هداره ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية

العبادي ، احمد مختار وعبد العزيز سالم

- تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، بيروت ، ١٩٧٢

عبد الرزاق ، احمد

- المرأة زمن سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، (القاهرة ، ١٩٨٤)

العسلي ، كامل جميل

- وثائق مقدسية تاريخية ، الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٩

العريني ، السيد الباز

- مصر في عهد الايوبين ، القاهرة ، ١٩٥٣

- الحسبة والمحسبون في مصر ، القاهرة ، د . ت .

عطية الله ، احمد

- القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣

عليان ، محمد عبد الفتاح

- محاضرات في الدولة العباسية ، طبعة جامعة الازهر ، مصر ، ١٩٨٥

عنان ، محمد عبد الله

- تاريخ الجامع الازهر في العصر الفاطمي ، ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٢

ابو عوف ، احمد شفيق

- اضواء على الموسيقى العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥

عوف ، احمد محمد

- الازهر في ألف عام ، مجمع البحوث الاسلامين ، د . م ، ١٩٧٠

ابو عيسى ، فتحية محمد معوض

- الفكاهة بعد الجاحظ ، دراسة ونقد ومقارنة ، القاهرة ، ١٩٧٣

عيسى ، عبد القادر

- حقائق عن التصوف ، ط ٤ ، المطبعة الوطنية ، عمان ، ١٩٨١

الغزي ، كامل السبالي الحلبي

- نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط ٢ ، مذمةُ شوقي خفت وحمود فاخوري ، حلب ، دار القلم العربي ، ١٩٩٩

غنيم ، اسمنت

- الدولة الايوبية والصليبيون ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٠

غنيم ، عبد العزيز

- دراسات في تاريخ الازهر ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٣

كحيلة ، عبادة

- العقد الثمين في تاريخ المسلمين ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ١٩٩٦

كلوت بك

- لمحة عامة لمصر ، دار الموقف العربي ، ١٩٨١

الكيال ، باسمة

- تطور المرأة عبر التاريخ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١

كيلاني ، محمد سيد

- ديوان البوصيري ، ط ٢ ، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٧٣

- الحروب الصليبية ، واثرها في الادب العربي في مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٤٩

لويون ، غوستاف

- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ط ٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦

ماكنزي ، رنيل دي

- القاهرة الايوبية ، ترجمة عثمان مصطفى ، المجلس الاعلى للثقافة ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٧

ماهر ، سعاد

- النسيج الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٧

- الفنون الزخرفية ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨٥

ماير ، ك ، أ

- الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الششيتي ، مراجعة فهمي محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢

محرز ، جمال

- المرايا المعدنية الاسلامية ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٣

معلوف ، امين

- الحروب الصليبية كما رأهـا العرب ، ط ٢ ، نقلها الى العربية ، عفيف دمشقية ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٩٣

محمد ، احمد سيد

- الشخصية المصرية في الادبين الفاطمي والايوبي ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢

محمد ، صبحي عبد المنعم

- العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطمين والايوبين ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة

محمود ، علي السيد

- الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨

موسى ، عامر نجيب

- الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي ، دار الشرق ، ٢٠٠٣

نسيم ، جوزيف

- هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل ، د . ت . د . م

نصر ، محمد ابراهيم

- ابن سناء الملك حياته وشعره ، مراجعة حسين نصار ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨

نوار ، عبد العزيز سليمان

- تاريخ مصر الاجتماعي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،

نعيسة ، يوسف جميل

- مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (١١٨٦ – ١٢٥٦ م) ، ط ٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٤

هنتس ، فالتر

- الاوزان والمكاييل الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، الاردن ، ١٩٧١
الوكيل ، فايزة عبد الخالق
- اثاث المصحف في عهد المماليك ، كلية الاثار ، القاهرة ، ١٩٨١
وجدي ، محمد مزيد
- دائرة معارف القرن الرابع عشر – العشرين ، دار توبليس ، القاهرة ، ٢٠٠٠
يوسف ، عبد الرؤوف علي
- الخزف ، ضمن كتاب القاهرة ، تاريخها – اثارها ، مكتبة الاسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٠

رسائل جامعية

(١) الجميلي ، عامر مرضي علاوي

النشاط التجاري في مصر وبلاد الشام خلال عصر المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد ، كلية التربية - ابن رشد ، بغداد ٢٠١٠

(٢) عبد الحميد ، عفاف عبد الجبار

الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي (٣٠٠ – ٨٧٤ هـ / ٩١٢ – ١٤٦٩ م) أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد – كلية التربية للبنات ، بغداد ، ٢٠٠٦

(٣) الذهبي ، ريم هادي مرهج

تجارة مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ١١٧١ م) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية للبنات ، بغداد ، ٢٠٠٩

(٤) ربيع ، حسنين محمد

النظم المالية في العصر الايوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٤

(٥) الكناني ، مصرية تعبان مهدي

الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ – ١١٧١ م) رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب – جامعة بغداد ، بغداد ، ٢٠٠٩

(٦) الطراونه ، مبارك محمد سالم

الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكه . أطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة الى كلية الاداب – جامعة الموصل ، العراق ، ٢٠٠٣

مجلات أو دوريات

(١) الباشا ، حسن

اثر المرأة في فنون القاهرة ، مقال بكتاب القاهرة – تاريخها – فنونها ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة

(٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح

الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، ع ١١ ، ١٩٨٠

(٣) طاحون ، رينات احمد

الحلي في العصر الاسلامي ، مقال بمجلة منير الاسلام ، ع الاول ، القاهرة ، ١٩٧٧

(٤) الشكعيل ، علي جمعان

صناعة الاصباغ في الحضارة الاسلامية ، مجلة الثقافة والتراث ، العدد ٣٢ ، مطبعة دبي ، الامارات ، ٢٠٠١

(٥) الشكعيل ، علي جمعان

صناعة الورق في الحضارة الاسلامية ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دائرة البحث العلمي والدراسات ، ع ٣١ ، مطبعة دبي ، الامارات ، ٢٠٠٠

(٦) الشويري ، ظاهر خير الله

الحرفة وتوابعها ، مجلة المقتطف ، مج ٢٩ ، ١٩٠٤

مراجع أجنبية

- stanleg Lane poole : Ahistory of Egypt in the Middle ages
- stanleg Lane poole : The art of the Saracanes in Egypt .

- Raymond Ander , " La localization des bains publics au caire au quinzieme siècle a'apres les Hitat de Maqrizi . 1978

- Mohamed Mostafa : Islamic ceramic kairo – 1950 .

- Abu Saleh : The churche and Monasteries of Egypt , Oxford – 1897 .

- Wiet (G) , L' Egypt arabe , paris , 1937 .

- stanleg Lane poole , M . A ; Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem , Beriuat , 1964 .

- Goitein , S . D , The main industries of the Mediterranean area as reflected in the record of the cairo Geniza , 1961 .

- Miles : Early Arabic class weight and stamps , Newyork , 1948 .

The Social and Economic Life of Egypt During The Ayyubie Dynasty

(567-648 A H / 1171-1250 AC)

A dissertation Submitted to

The Council of College of Education (Ibn Rushd) Baghdad University

In Partial Fulfillment of The Requirements for

The ph D Degree in Art of Education

Islamic History

Presented By

Azhar Ghazy Matar

Supervised By

Ph. D.

Suhayla Mezbaan Hussein

2013 (A.C) *1434(A.H)*

Abstract

Egypt was ruled by the Ayyubid dynasty nearly a century **(567-648 A H/ 1171-1250 AC)***, the ruling period is considered significant era in the history of Egypt.*

The historians and the writers paid a special interest to Egypt, especially the political field .The studies on the economic and social field, which it will not be tackled in detail; do not give a clear view on as other times.

This study aims to introduce a comprehensive detail on the social and economic life during the Ayyubid dynasty. This study includes an introduction, an analysis of the sources, a preface and eight chapters.

The first chapter includes the individuals in the society; also, it deals with the social classes in the Egyptian society at that time, which includes farmers, manufacturers.

The second chapter tackled the role of the family, especially the woman in Egypt, and how the issues of marriage, the values, and the customs were handled at that time.

The third chapter tackled the activates and the public baths (Hamams) , the games and the public parks for social activities which were performed at that time .

The fourth chapter tackled the religious celebrations, ceremonies and the formal receptions for Sultans in which various classes used to take part in these ceremonies.

The fifth chapter tackled the costumes and the fashions that used to wear according to gender and the religious attitudes , also it tackled the subject of types of food and drinks that they used to have , the social corruptions in the Egyptian society at that time .

The sixth chapter tackled the subject of agriculture, the system of irrigation and the types of crops that they used to grow and the animals, which they used to domesticate.

The seventh chapter tackled the industrial field such as textiles, leather manufacturing, wood and food crafts, shipbuilding and other crafts.

The eighth chapter tackled commerce and the commercial centers, the trading markets, the permanent and the weekly markets, currencies, measurements that were followed in the markets.

The dissertation ended in a conclusion and a table of contents.

✍

The Researcher